عمرو المنوفي

رواية

شمس المعارف



لا تقرأ كتاب شمس المعارف ، ولا أى عمل روائى يدور حوله ، فإن هذه الكتب ملعونة ، وكُتّابُها ملعونون ، فخدمُ هذه الكتب الشيطانية ، لن يرحموا جهل الكاتب أو القارئ ، خاصة لو كانت تحتوى على تعاويذ حقيقية كهذا الكتاب .

تصميم الغلاف : أسامة علام





شمس المعارف

حكاية كاتب رعب

رواية لـ

عمرو المنوفي



الكتاب : شمس المعارف

المؤلف : عمرو المنوفي

تصميم الغلاف : أسامه علام

تدقيق لغوي : أحمد أسامه

رقم الإيداع :2015/9862

الترقيم الدولي : 3-019-778-977-978

الطبعة الاولى : 2015



20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة

ت-02-35860372 011-27772007

Noon_publishing@yahoo.com

النجاح ليس رفاهية ،بل ضرورة مُلِحة.

مقولة من فيلم المزور لـ(لورانس رويك)

أنت خائف، إذًا أنا موجود.

عمرو المنوفي

الجنس هو أرقى وأحط المشاعر الإنسانية.

عمرو المنوفي

تمهيد

هذا المساء لم يكن ناجي إمام ينام وحيدًا في فراشه كما أعتاد أن يفعل في الأيام الأخيرة، بل كانت لديه صحبة ..السؤال هنا : لماذا يهاجمه الكابوس هذه المرة أيضًا ،ولماذا هذه الليلة بالذات يأتي الكابوس البغيض بهذا الوضوح . وكأنما يتم تصويره بكاميرا فائقة الجودة وبثُّهُ بتقَنية الـ إتش دي عالية الوضوح، حتى أن أقل التفاصيل تظهر في الخلفية وبالألوان ..

إن الأحلام الملونة تعني أنه مصاب بمشكلات نفسية حقيقية . وهي علامة لا يمكن إغفالها أو تجاهلها . لقد قرأ عن هذا الأمر في مكانٍ ما . ولكن ليس هذا ما يعنيه الآن ، إنما ما خلف الأمر هو ما يخيفه ..

إن هذه الأحلام أو الكوابيس لو شئنا الدقة ، هي رسالة.. رسالة تعني أنه يتغير ، وإلى الأسوأ دون شك ..

لم يكن الكابوس المخيف مجرد استدعاء لأحداث اليوم فهو لم يذهب لمكان مماثل من قبل ، ولا تنفيث عن خوف كامن أو رغبات مكبوته ..ولم يكن الكابوس مجرد تفاصيل ملونة ودقيقة بل كان هناك إضافة أخرى ..

البرد ..!!

كان يشعر ببرودة شديدة تتسلل إلى أطرافه وعموده الفقري وأسفل عنقه، وجسده يرتجف وكأنما زُجَّ به فجأة بقلب صقيع القطب الشمالي ..

ضربات قلبه مضطربة ،أنفاسه متقطعة، وكأنه يركض منذ يوم كامل ..المكان من حوله غريب ومخيف ، وكأنما تم اقتصاصه من إحدى لوحات فنان مجنون لا يهوى إلا الظلام والظلال ..

اليد العليا للأسود العظيم ..كهرباء استاتيكية عالية تغلف المكان ، وتصيبه بقشعريرة مفزعة ..إنه الظلام الذي تدرك عن يقين أنه ليس ناتجا عن غياب الشمس والضوء .. ظلام مخيف أكثر من الظلام الحقيقي نفسه ، ومختلف عنه في خصائصه التي يدركها ككاتب روايات رعب متمرس ..

المكان من حول ناجي إمام فسيح ومتسع ومُقبِض ، لدرجة أنه يشعر بأن هذا الظلام يتسلل إلى داخله ليعتصر روحه وينتهكها .

يدور حول نفسه في قلق متوقعًا الأسوأ..

حقل كامل من حقول الذرة المصفوفة بانتظامٍ مخيف يظهر أمام عيناه الهلِعَتان، ويمتد في كل اتجاه ..السماء مظلمة داكنة تمتد إلى مدى البصر بلا أي نجوم أو قمر ، وكأنها غطاء حريري أسود وُضِعَ ليكمل رهبة المكان ..إنه يسير دون وعي بين أعواد الذرة المنتصبة كالأشباح في ممرات ضيقة فوق أرض غير ممهدة تؤلم قدماه الحافيتان ..تُرى أين ذهب حذاءه ؟.

يشعر بخوفٍ مجهولٍ يتزايد مع مرور الوقت ..ومعه يزداد اضطرابه ..يتلفت حوله في حيرة ، ورعدة باردة تضرب أعماقه ..

صوت ريح عاصف يغتال هدوء المكان ..

ينصت للريح فيُخيل إليه أنه يستمع لهمهماتٍ أو حديثٍ غير واضح .. ينقبض قلبه ، وترتجف أطرافه من المفاجأة وهو يتساءل في قلق :

هل ما شق الظلام منذ لحظات صرخات حقيقية ؟!..لابد وأنه واهم .. الكابوس كله وهم ..والمفزع أنه يعلم أنه يحلم ، ولكن أن تعيش كابوسًا بكل هذه الواقعية . هو شيء يدعوا للهلع .

يقطع الممرات المتشابكة بين أعواد الذرة الكثيفة بحذر ، يحاول ببصره أن يخترق ظلام المكان ، ليتعرف على مصدر الضوء المجهول الذي بدأ يساعده على رؤية تفاصيل المكان .

يشق الفراغ صوت صرخة عنيفة متألمة، مبددة الهدوء الموتّر للأعصاب ، وكأن هناك من يعذَب أو يحترق حيًا ، فيتوتر أكثر ..

الصرخة تمزق أذنيه فيشعر بالألم ..يركض وسط الممرات الضيقة التي لا يدري من صنعها بقلب حقل الذرة.. ليهرب من الصرخات الشنيعة ..

الضوء يزداد قوة ، ومعه تزداد مخاوفه ..هل هذا الضوء ناتج عن نيران ، ولو كان ناتجًا عن نيران فلابد أن المكان سيتحول إلى جحيم بعد

لحظات ، وهو بداخله .. إن أبشع مخاوفه هي النار ، لذلك لا يتمنى أن يكون مصدر الضوء نارًا تُحيلُ المكان في أي لحظة إلى أتونٍ مشتعل ..

لا يوجد أبشع من أن تموت محترقًا ، مشوهًا ..

لذلك فالعقاب الإلهي في كل الأديان والعقائد كان الجحيم ، والجحيم لا يعني إلا نارًا أبدية ،وألم لا ينتهي .

كل شيء في الكوابيس سهل التحقق ، إنها ألاعيب العقل الباطن المروعة ..

تعود الصرخة مجددًا ، فترتجف أطرافه من الخوف والبرد ، ويتلفت حوله كالمطارد ، و يسد أذنيه بكفيه ..يقف كتمثالٍ لا يكف عن الارتجاف متطلعًا نحو السماء السوداء ، ليرتدَّ إليه بصره كاسفًا ..

السماء دومًا تعني الأمل . ولكنها هنا تزيد من إحباطه ويأسه ..

يعتصر عقله ، أسنانه تمزق شفتيه لتدمى ، يؤلم نفسه ليتأكد من حقيقة وجوده ، هو يدرك جيدًا أنه في حلم ، ولكنه بعد كل هذا الألم لم يعد على يقين من شيء ..ما يراه يفوق الواقع بمراحل ..فلا يوجد واقع بهذه البشاعة ، ولا يوجد حلم بهذا الوضوح والواقعية ..

التساؤلات تنهمر بداخل عقله كانهيارٍ جليدي يعزز البرودة التي يشعر بها، وكانت التساؤلات التي تتردد في عقله دون هوادة كثيرة ومرعبة !!.

أين هو ، وما هذا المكان المخيف ، ولماذا الظلام دامسٌ إلى هذه الدرجة ، ولماذا يرى جيدًا بقلبه ، وما مصدر هذه الصرخات ؟!!. والأهم ما هو المطلوب منه في هذه المرحلة بالذات ؟.

ذاكرته مشوشة إلى أقصى مدى وممسوحة وكأنها صفحة بيضاء لا تلوثها أي أحداث، حتى أنه لا يعرف من هو ؟!..

يتقدم وسط أعواد الذرة التي بدأت تتمايل على بعضها وكأنها تتهامس عليه .. بل هو يسمع همساتها بالفعل ، ويرتجف..

متاهة الممرات لا تنتهي ..يخطوا بخطواتٍ مسرعة أقرب إلى الهرولة بين أعواد الذرة ، لن يظل في هذه الممرات المعقدة إلى الأبد ..يصرخ أثناء عدوه طالبًا النجدة ..فيجيبه الصدى ، وبعد عدة خطوات ينتهي حقل الذرة .

لقد نجا ..!!ولكن مما نجا لا يعرف حقًا..كل ما يهمه الآن أنه خرج من قلب هذه المتاهة المروعة ..

الفراغ ممتد أمامه إلى ما لا نهاية ..مزيج من اللونين المفزعين الأسود والأزرق يشعان في المكان، وكأنه بقلب كرة مظلمة ..

يتحرك إلى الأمام بدون هدى ..يحاول أن يستدعي من ذاكرته أي تفاصيل أو معلومات دون جدوى ..يقطع مسافة كبيرة بقلب الظلام ..قبل أن يسمع الصوت الموتر للأعصاب..صوت تفريغ هواء مختلط بصوت صرخات مرعبة .. يتجمد في مكانه ، يصرخ بصبر نافذ :

- أنا هنا ..أنا هنا ومستعد للموت ..فقط ليكن الآن وبسرعة ، لن أتحمل هذا الجحيم إلى الأبد ..

وعلى البعد تفحُ أعواد الذرة كوحش يستيقظ من غفوته ، وكأنها تدعمه أو ترسل له تحذيرًا ما..

يسمع صوت انفجار مكتوم ويشاهد سحب الدخان تتصاعد من قلب الظلام نحو السماء في مشهد مرعب ..وكأنه جنّيٌ على وشك التجسد من قلب مصباحه بعد قرون من السجن ..

شعر بوجود مخيف أكثر وطأة من الموت ذاته ..البرودة تزداد ، وكأن هناك من خفض حرارة المكان فجأة ..جسده يرتجف وكأنه مصاب بالحمى ..تراجع للخلف خطوتين بحثًا عن ساترٍ غير موجود ، ومن قلب الظلام ظهرت له ما تُمَثِل أسوأ تجسيد لكوابيسه ..كيان معتم يسبح في قلب الظلام والدخان .. السليويت الخارجي يحدد جنسها .. إنها إمرأة ، ولكن المخيف أنها أيضا بلا ملامح ، وكانت تشير له أن يتقدم نحوها ..كان وجهها مطموسًا بلا أي تفاصيل ..كتلة من الظلام تكلل جسدٌ فاتن لو رآه في ظروف أخرى لهام به عشقًا ورغبة ، وربما دعاها لفراشه ..

نظر نحو المرأة التي بلا ملامح في هلع وقلبه يخفق في عنف ..إن أسوأ كوابيسه تتحقق ، وأعمق مخاوفه تتجسد في هذا الكابوس ..

إمرأة بلا ملامح في قلب فراغ مظلم..أي هولٍ هذا ؟!

كل أخطائه تتجسد أمامه في هيئتها المظلمة .. فكر للحظة ، ثم قرر وانطلق يركض نحو حقل الذرة الذي يموج أمامه.

وعندما انقطعت أنفاسه من العدو وجدها أمامه ، كبرهانٍ ساطع على أنه لا مهرب هناك ..

البرد يغتال عظامه وقلبه يكاد يتوقف عن النبض من هول ما يرى .

- لا مهرب لك مني ..الكون كله ملك لي ..أنت ملك لي .

وعندما تحدثت المرأة بصوتها المخيف الذي يدرك جيداً أنه سمعه من قبل دون أن يميز صاحبته.

شقَّ السماء برقٌ عاصف مشتعل ليتحول المكان لجحيم غاضب ..حقل الذرة القريب اشتعل بنيرانٍ ضارية ، وبدأ الفحيح الخارج منه يتحول إلى صخب لا يمكن أن يتحمله ..كان ينظر نحو النيران بهلع ، وصوت المرأة يتردد خلفه كصدى صوت مفزع ، يمزق أعصابه :

- لا تخش الموت يا صغيري فهو راحة ..يجب عليك أن تخشاني ..فأنا مصيرك الأسود ..

عند هذه اللحظة قرر بالفعل أن يموت، لن يستسلم لها، إنها أبشع من الموت ذاته ..سيموت ولو كان موته بأبشع وسيلة في الكون ..

النار !!..

مرحبا بالنيران لو كانت هي الوسيلة الوحيدة ليفر من هذا الوجه البشع ..

انطلق يركض نحو حقل الذرة المشتعل ، الذي تحول مع اضطرام النيران. إلى فمٍ ناري جهنمي ممتد لإلتهامه ..

كان يعرف أن موته بقلب الكابوس ، سيكون موتًا حقيقيا ..سيتفاعل جسده مع كل ما يمر به ، وسيموت بصدمة عصبية هائلة ، نتيجة مروره بكل أعراض الإحتراق . ولكنه لا يبالي .

نظر نحو المرأة ذات الوجه المخيف الخالي من الملامح لينقبض قلبه قائلًا :

- اللعنة عليك أيتها البغيضة ..أنا لست ملكًا لأحد .

وبعدها لم يتردد لحظة واحدة أو يتراجع عن قراره ..

النار بلهيبها وحرارتها المروعة أهون عليه من البقاء مع هذا المسخ الذي بلا وجه ..ودون تردد وكأن كل مخاوفه السابقة من النيران تلاشت ..ألقى بنفسه في قلب النيران المتأججة، ليصرخ من الألم ، حتى قبل أن تمسه ألسنتها المستعرة .

وفي هذه اللحظة استيقظ من نومه صارخًا، هَلِعًا غارقًا في العرق ، يتنفس هواء المكيف في جشع ..يشعر بلفح النيران . بل ويشم رائحة شعر ذراعه المحترق ، ليجد بجواره تلك المعجبة التي شاركته فراشه لهذه الليلة . تنظر نحوه في هلع . قبل أن تصرخ فيه في قوة :

يا إلهي وجهك ..وجهك ..إنهُ ..إنه ..

عجزت تلك المعجبة المصدومة، والتي لا يذكر أسمها عن وصف ما تراه لينتقل إليه رعبها في لحظة واحدة ، ليقفز هو من فوق الفراش مشعلًا ضوء الغرفة . ولينظر إلى وجهه في المرآة ..

ما شاهده في المرآة كاد أن يصيبه بسكتة قلبية لولا أنه تمالك نفسه ، وهو يتنفس هواء الغرفة البارد بنفس الجشع ..فقد كان وجهه أسود كقطع من الليل ، أو كأنه يرتدي قناع جلدي أسود أملس بلا أي ملامح أو تفاصيل ..

نظر لوجهه غير مصدق ..مسه بكفيه ..صرخ في خوف ..تذكر وجه المرأة المفزع الخالي من الملامح ، ثم صرخ في عنف :

- لا لا يمكن أن يحدث هذا لي..ليس بعد كل ما دفعته وأدفعه من ثمن باهظ..!!

يداه تعبثان في وجهه الأملس وهو يفكر في جزع ..لا يمكن أن يفقد وجهه . لا يمكن أن يتشوه بهذه الطريقة وهذا الشكل البشع ..كيف سيواجه جمهوره ومعجبيه . بل كيف سيتحمل هو هذه الكارثة ، بعد كل ما مر به ؟!..

أحداث كثيرة تمر في ذاكرته ..عشرات الضحايا ، لحظات تكريمه ، المعجبين والمعجبات يحيطون به . حفلات تكريم مكتظة بجمهورٍ غريب ، وجوه بشعة من خارج عالمنا . كلمات مخيفة تتردد في عقلة بلُغة

رهيبة مروعة ، كتاب قديم حروفه متألقة بلون ناري ، دائرة مرسوم بداخلها وجه الشيطان بقرنيه ، صديقته ميار خطاب بكل غموضها وسحرها ، وفي النهاية فقد كل أعصابه ، وفي غمرة توتره تناول زجاجة عطر هشَّمَ بها المرآة ، ثم صرخ في اضطراب:

- لا لم يكن هذا العهد ..لم يكن هذا الاتفاق ..لم يكن الاتفاق أبدًا.

ساعتها ، غمر المكان الظلام بسرعة رهيبة، وشعر ببرودة شديدة للحظات ، وزاغ بصره ، بعد أن أحس بالحضور المخيف ، فصرخ بصوتٍ مرتعد :

- النجدة يا سيدي ..النجدة ..

وكأن هناك من لبى النداء على عجل ، فاجتاحت المكان رياح ساخنة لفحت وجهه في قوة، وعبر زجاج المرآة المحطم شاهد التحول يغزو ملامحه ..

كانت تفاصيل وجهه تعود بسرعة فائقة ، وكأنما هناك فرشاة فنان تعيد رسمها وإعادتها إلى هيئتها الأولى بطريقة لا يعرفها ، مثلما كان يشاهده يحدث في أفلام الرسوم المتحركة ..

أغمض عيناه ثم ملأ صدره بالهواء الساخن ، فكاد يختنق ، ولكنه عاد مرة أخرى ليحمل قطعه حادة من المرآة أدمت كفه اليمنى دون أن يشعر ..

وعندما طالع وجهه في المرآة ، ردت له الروح بعد أن وجد ملامحه الوسيمة قد أرتسمت على جمجمته وبلون بشرته الطبيعي ، وأن وجهه قد رُدَّ طبيعيًا إلى سيرته الأولى ..سرح للحظات كادت فيها الفتاة العارية أن تقضي نحبها من هول ما تشاهد وتعايش ، وبدا أنه يحاول أن يتمالك أعصابه عندما صرخت به الفتاة :

- سأغادر الآن أيها الوحش .

لم يبال بحديثها ..فقط نظر نحوها بكم كراهية واحتقار يكفيان نصف سكان العالم للانتحار، وأشار لها أن تغادر ..

نظرت تلك المعجبة لوجهه غير مصدقة ، قبل أن تقول بصوت مرتجف ومضطرب ، وهي تضع بعض ثيابها فوق جسدها العاري لتستره :

- أنت ممسوس ..ممسوس دون شك ..لقد حذروني من صداقة كاتب رعب ولم أصدقهم ..أنتم شياطين وأبناء شياطين..كم أنا حمقاء ..كم أنا حمقاء .

تناولت حقيبتها في سرعة ولملمت فيها ما أستطاعت أن تطاله من متعلقاتها، وغادرت المكان وكأن شياطين الكون كله تطاردها، لقد مرت بتجربة عمرها ، وربما لن تعود لتمسك بأي كتاب مجددًا ، خاصة لو كان لكاتب رعب ..

سمع صوت الباب يُغلَق في قوة، فنسي أن الفتاة كانت موجودة من الأساس ، قبل أن يعود هو ليتطلع إلى المرآة ..وعندما شعر بالحضور الثقيل ، وبجسده يتوتر..أدرك بينه وبين نفسه ، أن هذا هو موعد كتابة الفصل الأخير من روايته الحالية ..إنه موعده مع المجد والشهرة ..

فكر للحظات في تفاصيل الحلم الذي كان سيعجز سيجموند فرويد نفسه عن تفسيره ، قبل أن يقول موجهًا حديثه إلى الفراغ، وكأنما أصيب بمسٍ من الجنون، أو أنه يخاطب كيان خفي يدرك وجوده رغم عدم رؤيته له :

- شكرا لك يا سيدي ..شكرا لك ..

وفي اللحظة التالية دوت في المكان ضحكة مخيفة . لا يمكن أن تصدر إلا عن شيطان رجيم ..

تيك تيك تيك توك

الجزء الأول

أن تكتب ..أن تقتل

الحياة السرية لفوزي جميل

- تيك تيك تيك توك ..لقد حان الموعد .

***

القمر يظهر بخجل عبر قبة السماء من خلف ستائر السحب القاتمة ، ليبعثر ضوئه على الموجودات القليلة المتناثرة في إحدى شوارع القاهرة الخلفية والقريبة من حي شبرا، والتي يبدو فيها كل شيء متحفزًا.

من تلك الصناديق الغامضة المتراصة أمام أحد متاجر الدواجن المغلقة وحتى بلاط الأرصفة، إلى جثة تلك القطة التي تمددت وأنتفخ بطنها وأنتفش شعر جسدها في مشهدٍ مقزز ، مع تلك الرائحة الكريهة التي غمرت المكان من حول جثتها المتعفنة، وفي الخلفية نباح كلب يغتال البرد عظامه ، ليضفي على المشهد بعض الرهبة والوحشة،مع صوت ريح عاصف يُجمِّد الدماء في العروق ، وينذر بشتاء قارص متوقع .

أعمدة الإضاءة تلقي بضوء شحيح لا يبدد من عتمة المساء شيء ، ومن بعيد.. ومن قلب الشارع الخالي من المارة :يقترب شبح رجل نحيل يحمل في يده لُفافةٍ ما يقبض عليها في قوة.. يتقدم ذلك الشخص الغامض ليقتحم الظلام بخطوات رتيبة مسموعة ويتحرك بخطوات متقاربة وكأن هناك خطب في قدمه . فيَحجَل قليلًا بها ولكنه لا يصل به لدرجة العرج.

تحيط به أبخرة صفراء خفيفة تبدو للعيان، وكأنها تنبعث من جسده المتوتر. تتماوج تلك الأبخرة الغامضة في بطءٍ راقص من حوله، وكأن لها ارادتها الخاصة. لتمنحه هالة من المهابة والقسوة والرهبة، وكأنه ملاك أو شيطان خرج من قلب العدم .

يقارب أكثر ليغمر ضوء عمود الإنارة وجهه المرهق . ولتتألق من حوله ذراتٌ غامضة تشبه إلى حد كبير ذباب المقابر المُشِع ، حتى لَيبدوا من بعيد وكأنه جني يتهيأ للعودة إلى المصباح .

إنه مستر فوزي جميل الشاب الخلوق مدرس اللغة الانجليزية. كما يطلق عليه الطلبة وقاطني هذه المنطقة الشعبية المزدحمة، وإن كانت هيئته المزرية الحالية لا تشي بمظهره الأنيق الذي يبدو عليه في الصباح عند توجهه إلى المدرسة التي يعمل بها.

يقترب بخطواته الهادئة مخترقًا الظلام . ليقع على وجهه غير الحليق المتورم ضوء عمود إنارة أخر يقف منتصبًا كمسلة معدنية في منتصف الشارع، لتتوهج الذرات اللامعة حول جسده ولتظهر تلك الهالة العجيبة التي تحيط به مرة أخرى في مشهد موتِّرٍ للأعصاب، ولتظهر ثيابه المتجعدة غير المهندمة . لتؤكد لنا جليًا أن يومه لم يكن سعيدًا على الإطلاق .

الإرهاق والإحباط يظهران بوضوح على وجهه الشاحب ..ترتسم على قسماته الوسيمة ملامح الحيرة والإرهاق والضياع وكأنه تناول عدة كؤوس من الخمر أو قام بتدخين الحشيش ، ويظهر على ثيابه الملطخة

ببعض الطين اليابس والدماء الجافة أنه قد خرج للتو من مشاجرة ضارية لم يربحها ، وتلك الكدمة العنيفة الزرقاء التي تظلل عينه اليسرى، شاهدٌ حقيقي على أن للعين حارس كما يقولون في الأمثال الشعبية . وبأن بقاء العين سليمة بعد هذه الإصابة الفادحة معجزة من معجزات الخالق ، وليست مهارة شخصية منه .

البرق يسطع في السماء ، يليه هزيم الرعد منذرًا بليلة ماطرة عنيفة ، فيخطفان بصره وعقله.

***

ومضة من الذاكرة !!.

المكان : المتجر القريب من الطريق الدائري .

صوتٌ صارخ متضرع :

- لا تقتلني إن عندي طفلان

صوت فوزي جميل الغاضب :

- إنه قدرك يا عزيزتي ..لقد أختارك الموت الليلة ..

صوت طلقات سريعة مع انتشار رائحة البارود المحترق ..

الدماء تتناثر في كل مكان ..

صوته الجشع يردد :

- أنا أنفذ مشيئة عُليا ، ولن يكون أطفالك سببًا لعدم تنفيذها ..ربما يكون القدر رؤفًا بك فأُلحقهم بك في القريب العاجل ..

إظلام ..!!

***

يقطع مستر فوزي جميل شارعه الصامت في رتابة بخطوات واثقة هادئة لا تحمل للدنيا أي هم ، ولا تشي بما يدور في عقله المنهك ..

يطأ جثة القطة المنتفشة ليسحقها بأقدام عمياء، فتنفجر بطنها في مشهد مقزز بشع مع تناثر أحشائها في كل مكان، وليبدأ عفن أسود غريب في اجتياح الجثة، وكأنها تحترق احتراقًا داخليًا كيميائيًا، ولتتضاعف حدة الرائحة التي صارت أقوى وأعنف، وليعلق في حذائه المتسخ بالطين بعض من وبرها المُخضَّب بالدماء الذي لم ينتبه له فوزي، ليكمل طريقه بلامبالاة عجيبة ، ودون أن يرى تلك التحولات العجيبة التي أصابت بقايا القطة وحولتها لرماد أسود متفحم. بعد أن أحاطت بها تلك الذرات المتوهجة.

السماء بدأت تقذف بداناتها المائية في غزارة وهو يسير بخطواته الهادئة لا يعبأ إلا بما يدور بداخل عقله .

***

ومضة من الذاكرة !!.

المكان : المتجر القريب من الطريق الدائري .

صوت رجل غاضب :

- لقد قتلتها أيها الوغد وبدم بارد .

صوت فوزي جميل مُستَفِزًا :

- لا تقلق أيها الرفيق ستلحق بها الآن..

صوت عراك هائل ..صرخة منه بعد أن نالته قبضة صاحب الصوت الغاضب ، وكاد عن طريقها يفقد بصره ..

- بوم بوم بوم ..ثلاث طلقات أنهت الصراع ..

هدوء ورائحة الموت تغتال المكان ، مع خمسة من الجثث الغارقة في دمائها .

إظلام .

***

يقطع مستر فوزي طريقه صوب منزله ، مرسلًا إلى سماء الليل سحبًا كثيفة من سيجارته المحلية مزعجة الرائحة ، وصوت خطواته الرتيبة يصنع ضجة محدودة تكسر حاجزا الصمت والظلام ، قابضًا على تلك اللفافة الورقية ، التي تلطخت ببقايا الزيت الناتجة عن تلك الشطائر

ذات الرائحة الشهية. والتي أستطاع أن يقتنصها من رحمي صاحب عربة الكبدة المرابض عند ناصية شارعه . والذي كان قد أوشك على الرحيل. بعد أن اقتربت الساعة من الثالثة فجرًا ..الجوع كان أقوى من كل الأحداث التي مرت به ..

لماذا لم يقتل رحمي ؟! لا يدري ..الصوت يدوى في عقله :

- ولماذا يقتل رحمي من الأساس ، بل لماذا يستعذب القتل الآن ؟!.

يمسح قطرات الماء عن وجهه بحركة لا إرادية ، وقد بدا من نظراته الشاخصة أن وعيه في مكان آخر..هناك شيء ما هام يستولي على وعيه وتفكيره . شيء جعله لا يشعر بالبرد ولا ينتبه للظلام ولا لتلك الأحداث المخيفة التي تدور من حوله ، ولا للأمطار ..

الضباب يتشتت من فوق صفحات ذاكرته ..أحداث عديدة تصدمه ، ولكنه أعتادها ..يتذكر الآن أحداث كثيرة وتتلاشى أحداث أخرى كالبخار ..

ومن الأحداث التي يذكرها جيدًا الآن ، أن عمله في المدرسة الخاصة التي استلم العمل بها مؤخرًا ينتهي في الثانية بعد الظهر، يقوم بعدها بالذهاب إلى مركز الدروس الخصوصية لتدريس بعض الحصص لطلبة الثانوية العامة ..كعمل إضافي يُدر عليه دخلًا حقيقيًا بجوار مرتبه الحكومي الهزيل، ثم يعود لشقته المُستأجرة ليقطع باقي اليوم بين القراءة وشبكة الإنترنت. وربما الحديث مع خطيبته إيمي عبر برنامج المحادثة الشهير سكاي بي،ولا مانع من بعض التجاوزات التي تمنح للعلاقة وهج خاص محرم .

أيامه في المعتاد متشابهة..يوم يسلم لأخر ..لا جديد فيها ..وهذا ما يعرفه عنه سكان منطقته وطلبته وزملائه ، لا أكثر ولا أقل ، ولا أحد منهم يعرف أي شيء عن حياته السرية ،ولا ما يفعله في تلك الليالي الغامضة التي يعود فيها متأخرًا ..تلك الحياة التي لا يتذكر منها إلا لمحات لا تفسر أي شيء .

***

ومضة من الذاكرة !!.

المكان : المتجر القريب من الطريق الدائري ..

مشهد لخمسة من الجثث تم رصها بعناية ، الرؤس تصنع دائرة مركزية . والأقدام منفرجة في كل اتجاه كزهرة أدمية متفتحه تغمرها الدماء ..يَهُمُّ بإخراج أدواته من معطفه ..صوتٌ يرج أركان عقله يخبره . بأنه ليس هناك وقت ليمارس هوايته الأثيرة ، ولكنه يصر على وضع لمسته الخاصة ..

لوحته الفنية الجديدة ستعج بالنيران ..

المتجر مشتعل . وهو يقف متفرجا ، وعلى وجهه إبتسامة وحشية ..

صوته العميق الصارم :

- لقد أنفذت مشيئتك اليوم ، وغدًا يوم جديد ..

إظلام .

***

الحقيقة أن لكل منا حياته السرية ، وسره الخاص ، الذي لا يتمنى أن ينكشف أو يُهتك ستره ،ولكن حياة فوزي جميل تختلف تمامًا ، وإن كانت النساء هي محور هذه الحياة ، كمعظم الحكايات الأخرى : إلا أن علاقة فوزي جميل بنسائه تختلف تمامًا عما جال في عقولكم الخبيثة إلى حد ما ..

إنها علاقة معقدة، ومخيفة ، وأكثر سوداوية ..علاقة لابد وأنها تخيفه هو شخصيًا .

انتهى من عمله اليوم في مركز الدروس الخصوصية في السابعة مساءًا، وبعد السابعة مُحِيَت ذاكرته بطريقة غامضة ، فلم يعد يدرك أين أمضى باقي الوقت ولا لماذا تلطخت ثيابه بالطين والدماء ، ولا سر تلك الكدمة الزرقاء التي تحيط بعينه، ولا لماذا لا يُشغل عقله بالتفكير في الأمر بالاهتمام الكافي والواجب أن يتم في مثل تلك الحالات المزعجة؟..

وهذه الرؤى الغامضة التي تهاجمه طوال الوقت..أي جحيم هذا الذي يحيا فيه إن الأمور الغريبة والغامضة التي تحدث له طوال الوقت ، جعلته يعتاد كل شيء غير طبيعي يمر به: و استيقاظه في أماكن مجهولة لا يدري عنها شيء، وعودته في مثل هذا الوقت المتأخر في هذه الهيئة المزرية ،حتى تلك النباتات التي تذبل وتموت بمجرد مروره بجوارها ، لتجف سيقانها وتتساقط أوراقها ويحيط بها عفن غريب .

عن أي نباتات يتحدث ؟!!..اللعنة على ذاكرته البخارية ..

كل شيء غريب في حياته أصبح معتادًا وبشدة . كما أنه أعتبر نفسه ، لعنة تسير على قدمين.. لعنة لا تعرف ما أصابها ولماذا؟.

إنه في النهاية حي، وهذا كل ما يهمه، فكل شيء أخر يمكن علاجه وإصلاحه مادام في صدره نفس يتردد .

يصعد الدرج بهدوء ..يعبق أنفه رائحة الحشيش الصادرة عن شقة تلك الأرملة الوحيدة ميرهان ، والمتسلل من أسفل باب شقتها المغلق ..

لابد وأنها تتعاطاه في صالتها الصغيرة ، ولابد وأنها أسرفت أيضًا في تدخينه فالرائحة شديدة ويستطيع أن يشمها الأموات ولا يمكن تجاهلها..

إنه الاكتئاب دون شك .. لقد أخبرته مرارًا في تلك الجلسات التي تضمهما معًا والتي تنتهي دوما بوجودهم معا فوق فراشها ، أن الحشيش هو الشيء الوحيد القادر على ضبط حالتها النفسية المتدهورة ..

إنه الوسيلة الوحيدة لتتصالح مع هذه الحياة البغيضة التي حرمتها من الزواج مرة أخرى والأطفال .

يفكر مرتين قبل أن يتجاوز عتبة شقتها، فلا مزاج له اليوم لأي شيء مع هذا الإرهاق الذي يكتنفه ..إنه يرغب في النوم وبشدة ..

ولكن هل يستطع الظفر به ؟!

***

ومضة من الذاكرة !!.

صوت ميرهان المشبع بالغنج والدلال :

- إنك سادي ومتوحش ..ولهذا أعشقك وأعشق أفعالك الخبيثة ..

صوته الحانق :

- وأنت حقيرة وشهوانية ..ولذلك أكرهك ..

ضحكة رقيعة ..

إظلام ..

***

يولج مفتاحه في قفل الباب ليعبر إلى شقته ، والحيرة تغمره ..

هل هي شقته حقًا أم هي وهم أخر من أوهامه اليومية؟..ما كل هذه المشاهد التي تدور في عقله ..لابد وأنه جُنَّ أو في طريقه للجنون .

يتطلع حوله في تشتت إلى جدران الشقة الكئيبة ، الخالية من كل شيء؛ إلا مرآة ولوحة لوجهه مرسومة بمهارة .

***

ومضة من الذاكرة !!.

إسم واحد يتردد بداخل عقله دون أي ذكريات ..

- إلهام ..إلهام ..إلهام ..

إظلام

***

إنها شقته إذًا !.

يلقي عقب السيجارة التي انتهت على الأرض المتربة والتي لم يُعنى بنظافتها منذ فترة طويلة، ويسحقها بقدمه في قوة . يُشعل الأضواء ..يتوقف لدقيقة كاملة دون حركة وكأنه ينتظر شيئًا ما .. يُحدق في مرآة الصالة إلى صورته التي تطالعه في وجل ، تبتسم له صورته المنعكسة عبر لُجين المرآة في سخرية أو ربما هي الهلاوس المعتادة ..إن مزاجه ليس رائقًا اليوم لمثل هذه المداعبات السخيفة من مرآته ، والتي انضمت بجدارة منذ فترة طويلة إلى مُجمل الأحداث الغريبة التي يمر بها، والتي لم تعد تثير فضوله كثيرًا.

يشيح بوجهه عن المرآة بلا مبالاة ، ثم يتوجه مباشرة صوب حاسوبه القديم، ودون أن يبدل ثيابه التي لوثت قماش المقعد القديم المصنوع من القطيفة، والذي لا يحميه ذلك البلاستك الشفاف القوي المعتاد ، ويضغط زر التشغيل . ثم يجلس منتظرًا أن يعمل برنامج النوافذ ، ليدخل إلى عالمه الحقيقي .

النغمة المميزة لعودة الجهاز للحياة تداعب أذنيه ..يتناول من قلب اللفافة إحدى الشطائر بطريقة آلية يقضم منها بلا وعي فالجوع يقرص

أحشائه بطريقة مؤلمة، لابد وأنه لم يتناول الطعام منذ فترة طويلة، والسبب أيضًا مجهول . وينضم بجدارة لعالمه الغامض .

تتوهج شاشة الحاسوب وتستقر البرامج ليفتح تلقائيًا بريده الإلكتروني، فيتفحص الرسائل.. يحذف الرسائل العشوائية والإعلانية ، ثم يفتح البريد الإلكتروني المُعنون بأميرة القلوب ، إنها رسالة من خطيبته إيمي..لا يشعر بحماسة لقراءتها ..إنه في حالة من التشبع ، كل المشاعر بالنسبة له عبء وإيمي تعيش في عالمها الحالم ، لا تفكر إلا في ليلة زفافها وفستانها الأبيض ، وهو لديه من المشاكل ما يجعل وجودها نفسه ضغطًا زائدًا على أعصابه .

لا يعرف لماذا لم يتركها منذ زمن ، إنه لم يعد صالحًا لها أو لغيرها ،والسؤال الذي يحيره في هذه اللحظة :

- أمازال قلبه قادرًا على الحب بعد كل ما اقترفته يداه ، وكل ما يمر به من أهوال ؟.

هز رأسه في غير اقتناع ، وهو يفكر:

- إن القلب هذا هو أشد مناطق الجسد البشري غموضًا ، ودائما ما يفاجئنا بما نعجز عن استيعابه .

فتح الرسالة وقرأها دون حماس ..بعض أشعار فاروق جويدة . ورسالة تبثه فيها إيمي أشواقها، وتخبره بأنه مر أسبوع كامل دون أن يتواصل معها أو يهتم حتى بالإجابة على اتصالاتها.

***

ومضة من الذاكرة !!.

فقرة من رواية لكاتبة رعب مبتدئة تدعى ميار خطاب .

- على كل إنسان أن يحتفظ بجواره بشخص نظيف . هكذا لا يغوص إلى الأبد في مستنقع قذارته الآسن . إنسان يذكره أن الحياة تحتوي على اللونين الأبيض والأسود متجاورين ، فقط عليه أن يختار .

وخطيبته إيمي كانت اللون أبيض في حياته ..

إظلام

***

هز رأسه ليطرد هذه الذكريات الغريبة وهو يشعر بصداع رهيب . وردد في قلق بعد أن قرأ العبارة الأخيرة.وهو يشعل سيجارة جديدة:

- يا إلهي ..أسبوع كامل .

إنه لا يذكر أنه مرّ عليه هذا الوقت كله دون محادثتها ، ولا يذكر أي أحداث أخرى..إنه لا يعرف كيف تتسرب الساعات و الأيام من بين يديه .!!

هل هو شخص طبيعي في الأساس ، وهل وجوده في هذه الحياة حقيقي؟.أم أن وجوده نفسه هو وهم أخر..

هناك من يسرق ساعات عمره .. هناك من يسلبه أغلى ما يملك أي بشر .. حياته ..لابد وأنه الشيطان ..لا شك أنه الشيطان ..فمن غيره يهتم بهدم حياته بهذا الأسلوب الجهنمي !!.

أغلق البريد الإلكتروني دون أن تتحرك مشاعره ..سحب عدة أنفاس من سيجارته المحلية مزعجة الرائحة. قبل أن يطفئها بعنف ويعود للشطيرة ،ليقضم منها ، ليفتح بعدها موقع التواصل الاجتماعي الفيس بوك ..ليتصفحه بغير تركيز أو اهتمام ، ثم أغلقه وأنهمك في تناول ما تبقى من شطائر الكبدة الحريفة ..

لذيذة تلك الشطائر برغم ما يعانيه من صداع وتشوش في الذاكرة .

الأنين يفاجئه..صوت متأوه منهك يأتي من مسافة قريبة..تحديدًا غرفة نومه !.

أنصت للأنين القادم من غرفة النوم ثم تجاهله ، وأستمر في التركيز على تناول الشطيرة، وتابع ببصره تلك الكتلة السوداء الغريبة ذات الأهداب الحادة والتي تشبه القنفذ، التي تتحرك فوق سقف منزله بحركة إنسيابية عجيبة متوجهة من أقصى اليسار إلى أقصى اليمن ، ككرة من الفراء غير محددة الملامح ..

تابعها ببصره للحظات بلامبالاة كاملة .. لم يعد وجود تلك الكائنات المخيفة التي ظهرت في حياته فجأة منذ فترة طويلة يثير بداخله أي نوع من المشاعر ؛ تلك الكائنات المخيفة التي تشبه الجاثوم كما يعرفه

والتي تمرح طوال الوقت فوق سقف شقته ، وتغفو دومًا بجوار وحدات الإنارة .

لقد كانت تلك الكائنات تخيفه في البداية ولكنه أعتاد على وجودها في حياته ككل شيء أخر، وأعتبرها من ديكورات شقته ، خاصة وأنه أكتشف مع الوقت أنها لا تمثل له أي خطر، بخلاف منظرها المخيف ، إن البرص يقوم بنشاط حقيقي لو قارنته بها..

لم تكن أول الأشياء المخيفة التي تظهر في حياته ، ولن تكون الأخيرة ، فلماذا يبالي بها أو يمنحها اهتمام خاص؟!.

الأنين والألم !!

عاد الأنين المتألم الخافت مجددًا، ليخرجه من تأملاته .

ما زال يحتاج لبعض الوقت قبل أن يحفزه أي شيء ليتحرك من مكانه في هذا الجو البارد القارص الرهيب..الكدمة تؤلمه، ولكن فكرة الثلج فوقها غير مطروقة ، لنفس السبب السابق .

الأنين يتعالى أكثر فيفكر : لابد وأنها شعرت بقدومه !لا يعرف لماذا هي في عجلة من أمرها ؟ لماذا لا تستمتع ببقائها على قيد الحياة لبعض الوقت ؟.

***

ومضة من الذاكرة !!.

مكالمة هاتفية ..

- لابد وأن ألتقي بك في أقرب وقت ..

- هل تفتقدني إلى هذه الدرجة ..

- الآن لو أمكن ..

- ولكن زوجي ..إممم ..أين ؟!

- في منزلي !!

- ساعتان وأكون عندك ..

إظلام .

***

بعض البشر أكثر حماقة مما يوحي به مظهرهم الخارجي، وهي لن تختلف عنهم في شيء ..إنها حمقاء دون شك ، من تزور غريبًا في منزله بعد عدة محادثات على الفيس بوك، وبعض المكالمات ..حمقاء لا ريب في هذا..ربما لأن قدرها ، أن تنفذ تلك المشيئة العليا ..

تابع فوزي تناول شطائره وعندما أجهز عليها أشعل سيجارة جديدة وأخذ يطلق سحب دخانها نحو السقف ليعابث تلك الكائنات الظلامية الغافية بجوار وحدة الإنارة ..

إجتاحت ريح حارة المكان ..رائحة مكتومة وكأنها قادمة من قلب قبر .. قشعريرة باردة تسري في جسدة مع تذبذب في الإضاءة ..

نظر نحو السقف في ذهول كالمغَيب ، وكأنه يرى شيئًا لا يراه غيره . أو يتوقع حضور شيء مجهول .. وفي اللحظة التالية بدأ يشعر بالحضور المخيف ، وبأن هناك من يبسط سيطرته على كيانه وعقله . فترك السيجارة المشتعلة لتتهاوى من بين أصابعه ، لتسقط فوق السجادة التي حال لونها لتحرقها . ولينبعث من مكان الحرق رائحة مزعجة لم يبالي بها، وعندما سمع الصوت المجهول يتردد بداخل عقله ، وقف شعر جسده وتوتر وهو يردد :

- لقد حان الوقت .. لقد حان الوقت .

نهض من مكانه وأخذ يتطلع إلى السقف في ذهول وكأنه بانتظار شيء ما سيخترق السقف ليعبر إليه .. شيء مخيف أكثر من تلك الكتل السوداء المطموسة المعالم التي لا تتوقف عن الحركة . والتي أصبحت أكثر عصبية مع شعورها بالحضور الخارق.. .

وعندما شعر بالكلمات تُسكب بداخل عقله ، أخذ يتحدث باهتمام وكأنه يطالع شخص غير مرئي لم ترصده إلا عيناه :

- نعم ..نعم ..لقد حان الوقت .

لقد أتت التعليمات إليه أخيرًا .. عليه الآن أن يتم الأمر على أكمل وجه .. الصوت العلوي لن يقبل إخفاق ، أو تهاون ، أو عبث .

***

ومضة من الذاكرة !!.

صوت من قلب الظلام :

- أنت يد القدر على هذه الأرض ، ستطيعني ،وسأحققك لك ما تصبوا إليه من شهرة ومال ، فقط تذكر ..إن عقاب العاصي والخائن الموت ..

- أمرك سيدي ..

إظلام .

***

تصاعد الأنين مجددًا ليصفع أذنيه. فأبتسم فوزي جميل ابتسامة شريرة ، قبل أن يقول بصوت عميق مخيف، وكأنه يحدث صاحبة الأنين :

- هل شعرتِ أيضًا بقدومه..لا أحد يمكن أن ينكر الشعور به..إن حضوره لا يمكن تجاهله .

اجتاحت عقله عاصفة من الأفكار المؤلمة، فنظر نحو السقف مجددًا . وأنفاسه تتقطع وكأن هناك مَن سحب كل ذرة أكسجين من الغرفة .. ليشعر بعدها بهدوء نسبي وبأن الحضور يتلاشى..

يشعل سيجارة جديدة ثم يبتسم ..يتحرك بخطوات هادئة وهو يدندن بلحن أغنية شعبية سخيفة ..يقطع الصالة نحو غرفة النوم ، ويتجه مباشرة صوب صاحبة الأنين. وبداخله كل عزم وتصميم الدنيا .

كانت ملقاه على الأرضية الباردة كجثة مهملة تموج بالحياة ، والقيود تكبلها في إحكام ..

ينظر لعيناها الجاحظتان المليئتان بالخوف والهلع ، ويبتسم ..

يتأمل جسدها العاري المكبل ، في بطء ولذة ..

يتوقف عند شعرها الذي عقصته على هيئة ذيل حصان ..وقد تناثر حول وجهها بطريقة فاتنة ..

يتشمم رائحة المسك والعنبر التي تفوح من جسدها ، بعد أن تهيأت لمقابلته بحمام مغربي وخلطات تمنح الجسم عبق يستمر لعدة أيام ..

إن الرائحة وحدها تلهمه ليتم عمله ، ولوحته الجديدة ..

الحقيقة أنه عمل بغيض ، ولكنه في النهاية عمله ،عليه أن يتمه كما أمره ذلك الصوت العلوي، ولكن قبلًا عليه أن يضيف لمسته الفنية للأمر..

والأمر لن يتم إلا بعد إنهاء كامل الطقوس .

إن لديه طقوسه الخاصة بالطبع..لا يمكن أن تكون قاتلًا متسلسلًا دون أن تكون لك طقوس سوداء تمارسها ، ولو على سبيل تزجية الوقت قبل أن تجهز على ضحيتك وتسلبها حياتها.. القتل المباشر ممل، ولن يمنحك النشوة التي ترجوها، لذلك عليك أن تمارس هذه الطقوس .

الصوت العلوي يأمره بإنهاء الطقوس ..وهو راغب بشده في إنهائها .

ريم التي هربت من زوجها وحياتها البائسة لتسقط في شراكه. متمنية أن تسرق من الدنيا لحظات محرمة تُشعرها بكونها أنثى وبأنها مازالت مرغوبة ، ومازالت على قد الحياة .

ريم التي لم تتوقع الغدر والموت ، مسجاة أمامه عارية إلا من غلالة رقيقة تغطي بعض الأماكن الحساسة من جسدها ترتجف من البرد والخوف ، وقد بدت أطرافها تحت القيود تكتسي باللون الأزرق الكنيب .

برغم كل شيء هو يكره الأجساد العارية تمامًا . ويفضل أن تسترها بعض قطع الثياب الرقيقة . فهكذا يراها مثيرة وفاتنة أكثر .

يتأملها في شهوة . تنهشها عيناه في رغبة ملحة . قبل أن تتلاشى من عقله كل هذه المشاعر المضطربة .فهو يهوى القتل . وليست لديه ميول شاذة أخرى ..

هكذا يؤكد الصوت الغامض العلوي. وينفي جسده المتوتر المرتعش المستثار .

الصوت يأتي من داخله هو الآن ، صوت يختلف عن ذلك الصوت العلوي المخيف . والذي يشبه نداء ملك الموت:

- أنت فنان..ولديك بصمتك..أنت جويا صاحب اللوحات السوداء .. ولكنك لا ترسم على اللوحات القماشية ..أنت تخلد لوحاتك فوق تلك الأجساد البشرية العارية للنساء من ضحاياك.

فرشاتك وألوانك جاهزة ..

رؤيتك الفنية تتشكل ..

الآن ستصنع من إمرأة المسك والعنبر لوحتك الجديدة .

تيك تيك تيك توك .

أن تقتل البطل

تيك تيك تيك توك..تيك تيك تيك توك..لقد حان الموعد..وعليه أن يموت .

***

لابد أن يموت فوزي جميل، ولا مفر من هذا ولا مهرب، لقد وصلت للنقطة التي لن أفكر فيها مرتين، لم يعد هناك مفترق طرق، ولم تعد هناك خيارات ، إن موت فوزي جميل أمر حتمي كشروق الشمس ، وثورة البراكين ، وقصص العشق المنتهية بلا لقاء .

على فوزي جميل بطل روايتي أن يموت فلماذا كل هذا الضجيج، ولماذا التردد؟..كم ماتت من أحلام وأفكار على أبواب التردد الموصدة ، والتردد هذه المرة سيفسد الكثير من الأمور ..

ألف فوزي مات وألف غيره سيموتون .. ما المختلف في الأمر إذًا ؟

المشكلة إذًا لا تتعلق بفوزي ..بل تتعلق بي أنا ...نعم تتعلق بي أنا .. فأنا لا أجرؤ على كتابة كلمة النهاية بعد .

وفي هذه اللحظة تذكرت حوارًا دار بيني وبين صديقتي الكاتبة ميار خطاب :

- أصعب ما في كتابة الرواية هي اللحظة التي تقرر فيها إنهاء الرواية .

- الأصعب منها يا صديقي أن تتعلق بأبطال عملك الروائي ، ساعتها ستفقد ميزة كونك كاتب محترف ، كن كالإله في عوالم كتابتك ، ودع كل منهم يخضع لمشيئتك ، ويلقى مصيره الذي يستحقه. فالقاريء لن يهتم برقة مشاعرك ولا تعاطفك مع أبطال عملك، وسيمزقك إربًا لو خالفت هذه القاعدة..في عالم الخيال لا أحد يحظى بفرصة ثانية . وفي عالم الواقع أيضا لو طلبت رأيي ..القسوة هي نهج الحياة، ولُب الكتابة .

أدرك يقينًا أن سير الأحداث ، والحتمية المنطقية ، يغلقان كل السبل أمامي ، لا يمكن أن يظل فوزي حيًا بعد كل ما سفكه من دماء ، هذا لن يرضي القاريء الدموي الباحث عن عدالة شعرية في أحداث روايتي، وناجي إمام لم يعتد أن يخذل قراءه .

علي أن أكون إله في عوالم روايتي ..هذا السفاح البغيض، لن يخضعني لسيطرته ، بل سيخضع لمشيئتي، والآن عليه أن يموت .

تستطرد ميار خطاب :

- الحقيقية أن الأمر بالغ الصعوبة فلا يمكن أن تقتل شخصية ارتبطت معها كل هذا الوقت، في يقظتك وأحلامك ..أنت من صنعت عالمه وخلقت له مأساتها ، ومنحته تلك الشخصية البغيضة ، التي أصبحت تكرهها أكثر من أي شيء في الوجود، والآن عليك أن تقرر مصيره ، بل وتنهيه .فهل لديك القدرة على ذلك ؟.

أنت كاتب محترف.. والكاتب المحترف لا تتحكم به شخصيات رواياته ، بل يتحكم هو فيها ، وفي مصائرها .. لا تقع في حب شخصية خيالية ، لأنك في هذه اللحظة ستعاملها كأنها شخص من لحم ودم ، وربما بدلت خط سير روايتك من أجلها..

اللعنة عليك يا ميار ، من قال أن الشخصيات الخيالية لا تترك بداخلنا أثرًا حقيقيًا وجرح، من قال أن الحزن والألم بعيدان عن إحساسنا بهم ، العشرات يبكون في نهاية الأفلام المأساوية على شخصيات عايشوها لساعات قليلة ، فما بالكم بشخصية ابتكرتها وعايشتها من لحظة الميلاد حتى النهاية .

إن قرار قتل فوزي ..يا الله .. يشبه قرار القتل الحقيقي ..بل هو قتل حقيقي فعلًا !!.

ما لا يعرفه أي شخص في الوجود ، والأمر يشمل ميار: أنه لن يموت فوزي واحد ؛بل سيموت اثنان فوزي ..

إن فوزي الذي يحيا على الورق له امتداد حقيقي على أرض الواقع، وهذا هو أصل هبتي ولعنتي . فقط دعونا الآن مع فوزي الأول بطل روايتي الخيالي ، ولنعرف معًا حكايته التي ظللت أرسمها طوال عدة سنوات دون لحظة راحة.

وبعدها لنرى حكاية فوزي الثاني المخلوق من لحم ودم ..إن قصته هي قصة عمري ، ونهاية مرحلة مهمة في حياتي ، التى أتمنى أن تمتد إلى الأبد .

لم يولد فوزي جميل قاتلًا، فلا أحد يولد وبداخله شهوة الدماء والقتل، إلا مصاصي الدماء و المذنوبين ، والضواري .

الظروف هي التي تصنع منا ما نكونه، وتفرض علينا ما نكونه . الظروف هي سلاح القدر الماض الذي يشكل كل منا. ويجبره على التبدل . بل وقبول ما كان يرفضه من قبل .

الظروف هي ما جعلت من فوزي جميل سفاح حقيقي: القتل رسالته : والدماء عشقه الأول والأثير. فقد مهدت له هذه الظروف السيئة أن يتحول لقاتل بارد لا يحمل بداخله ، ذرة شفقة أو رحمة تجاه العالم كله ، وكره تام للنساء الجميلات النحيلات .

الحقيقة أنه لم يتحول في ليلة وضحاها إلى قاتل ، بل تدرج معه الأمر . فلِكى تتحول لقاتل لابد أن تعبر في البداية فوق أشلاء فطرتك الإنسانية ، وهذا لا يحدث دفعة واحدة .

بدأت قصة فوزي في تلك الليلة الباردة التي لا تحمل سمائها قمر . ولا تبدد عتمتها نجوم ..معظم الليالي السيئة تبدأ هكذا لو طلبتم رأيي ، وكأن الطبيعة الأم تشعر دومًا بالشر القادم ، أو تمهد له .

الحقيقة كما كتبتها في روايتي أن فوزي جميل تعرض في صِغَرِه لتجربة جنسية عنيفة كانت بطلتها أرملة شابة تدعى ميرهان. استغلت جسده القوي الذي يفوق أقرانه من المراهقين، ولهفته للتميز عنهم واكتشاف عالم النساء، واجتذبته إليها، وعن طريق جسدها المفعم بالإثارة، والأموال جعلته طوع بنانها، ليكون بديلًا عن زوجها الراحل ..

لماذا لم تتزوج ؟!.سؤال وقح جدًا في عالم بلغت فيه نسبة العنوسة مبلغها .

كانت ميرهان امرأة سادية تستعذب الألم . وتحب أن تمارسه مع الآخرين ضمن ممارساتها الجنسية الشاذة ..خمس سنوات قضاها معها . تشوهت فيها روحه . وتبدلت شخصيته . وصار الألم جزءًا من تكوينه . فمارس طقوس الألم والجنس مع الحيوانات التي كانت سرعان ما تنفق بين يديه، قبل أن ينتقل للبشر . وتتحول المتعة من الألم إلى القتل .

أصبحت الدماء هي الشيء الوحيد الذي يرضي غروره ويشبع شهوته ، حتى أنه وثَّق هذا الأمر في مذكراته الدموية . فكتب بالنص :

- الدماء تصنع نكهة للحياة ، تشكلك من الداخل و تجعل رؤيتك لكل شيء تتبدل ..أنا لست قاتل عادي.. أنا فنان موهوب ، موهبتي هي أن أجعل كل جريمة ، لوحة فنية .ففي كل مرة أقتل فيها ..أولد من جديد .. أبعث كالعنقاء من رحم الدماء .

وكانت أولى ضحاياه من النساء، هي تلك المرأة السادية ميرهان، والتي بدأت مأساته، وجعلت الألم يتحول بداخله لنوع خاص من العشق والشهوة .الرغبة . والإدمان.

فما بين الضرب والصفع والعض ، وإستخدام الشموع الملتهبة . واستخدام السوط الجلدي وأدوات الصعق الكهربي المؤلمة ، والسب والتقييد والمعاملة المهينة الأقرب لمعاملة الحيوانات أثناء الممارسة

الجنسية تشكلت روحه . بل غابت هناك في مستنقع من القذارة والشذوذ، والدم .

المؤكد أنه لم يمارس طقوس القتل المعتادة معها . ولم يستخدم فرشاته وألوانه ليحولها إلى لوحة فنية متكاملة كما فعل مع ما تلاها من ضحايا .. لتظل ميرهان هي قطعة البازل الوحيدة المفقودة في قصته . والتي لم يتم ربطها به .

لم تكن ميرهان هي ملهمته في نقطة الطقوس هذه، بل كانت ضحية أخرى . الضحية التالية لها مباشرة.

والمثير للدهشة أن فوزي لم يكن يفتقر للمسته السوداء الخاصة . ولم يكن بحاجه لإلهام خاص في الأمر . ولأنه أراد أن يرد الجميل لميرهان مضاعفًا، فلم يتركها دون أن يضع بصمته البشعة على جثتها..!!

القتل ..إلهام من عالم أخر .

لقد شوهها بطريقة أعجزت الطب الشرعي نفسه على تحديد سبب الوفاة، بل وجعلها تتجرع من الألم والمتعة ما لم تحلم بالوصول إليه مع إستخدام سوط حقيقي لا هذا السوط الجلدي المعتاد في مثل هذه الممارسات. قبل أن يجزَّ عنقها بسكين المطبخ الحاد. وليبدأ بعدها في طمس ملامحها وتشويهها لتخرج من حياته إلى الأبد.

إن مفعول حمض النيتريك المركز (ماء النار) على جسدها كان سريعًا . والمخيف أن الطبيب الشرعي الذي قام بتشريح جثتها بعد موتها.

وجد عليها أثار اعتداء جنسي مخيف تم بعد أن شوهت الجثة بهذه الطريقة الجهنمية،ووثَّقَ هذا في تقريره المفزع وهو يكاد يبصق روحه . وهو يتخيل كيف استطاع إنسان طبيعي أن تصل به شهوته لهذه الدرجة المروعة من القبول النفسي .

ماذا عن اللحم المحترق ؟!

الرائحة ..الشكل المشوه ..الجسد الفاقد للحياة بين يديه !!..

هل شعر بالفعل بالمتعة أم كان يمارس إنتقامًا ما وأعماه الانتقام فقرر أن يدنسها بعد موتها . فأعتدى عليها ..

ما لم يعرفه الطبيب الشرعي . ولن يعرفه أبدًا.. أنه معها كان في قمة المتعة والرضا والإثارة . بل وكانت هذه اللحظة فارقة عند فوزي . بل كانت هي نقطة التحول الكبرى في شخصيته . والتي تبدل بعدها كل شيء ..تبدل نحو الأسوأ دون ريب ..

فمن هذه اللحظة، شعر فوزي بكونه إنسان خارق . لا مثيل له . وتحول القتل بالنسبة إليه إلى أسلوب حياة، بل وأخذ الأمر يتحول معه إلى مطلب مُلِح وعاجل من أجل الوصول إلى تلك النشوة الفائقة التي شعر بها مع ارتكابه لجريمة القتل الأولى . وللأسف لم يعثر عليها أو يقترب منها مع عمليات القتل التالية .

إن البدايات هي المتعة الخالصة .

الحب الأول . القبلة الأولى . ممارسة الجنس لأول مرة ..

كلها أشياء تنتهي ولا تغادرنا ويبقى عبقها والحنين إليها إلى الأبد .

وعن مرة القتل الأولى كتب فوزي في مذكراته السوداء :

- أن تقتل بيدك للمرة الأولى ...إحساس لا مثيل له .. أنت تلعب دور الإله ولكن بوقاحة ..منذ هذه اللحظة لم تعد أنت ..ما تبدل بداخلك لا يمكن إصلاحه أو إعادته لسيرته الأولى .

والحقيقة أنك عندما تتغير إلى الأسوأ يدعمك حتى حصى الأرض . وتجد المؤازرة حتى من الجماد نفسه .لتخوض في طريقك المظلم .وكما يقول الكاتب البلجيكي موريس ماترلينك :

- أنت لا تقابل إلا نفسك في الطريق ..إذا كنت لصًا أسرعت إليك حوادث السرقة ، وإذا كنت قاتلًا قدمت لك الظروف الفرصة تلو الفرصة لتقتل .

وهكذا صار القتل هو الشعور الأساسي ، والمحركُ لكل مشاعره .. لذا لم تمضِ عدة أيام على اقترافه لجريمته الأولى ، إلا و حان دور الضحية التالية ..

إلهام ..

وقد تعرف إلى إلهام عن طريق موقع التواصل الاجتماعي الفيس بوك مكان صيده المفضل ، وجعلها بجاذبيته وجنونه تسقط في شراك حبه ووسامته .

والهام فنانة شابة مطلقة تعمل في قسم الجيرافيك بإحدى الصحف . كما أنها تمارس رسم اللوحات والبورتريهات، لتبيعها إلى جاليري شهير في وسط البلد، وتربح من مهنتها جيدًا..كانت قد بدأت تتعافى من صدمة طلاقها بعد قصة حب ملتهبة مع ذلك الشاعر الشهير غريب الأطوار حلمي مراد، وكل الشعراء غريبي الأطوار لو طلبتم رأيي، وربما هذا هو سر جاذبيتهم .

صدمة أعجزتها عن فهم تلك النهاية التي آلت إليها قصة حبها الأولى .

كانت وحيدة وهشة وترغب في مشاركة وجدانية عاجلة تُخرجها من بحر أحزانها وانكسارها، عندما وجدت على الموقع الاجتماعي من ينصت لها ويشاركها أحزانها، ويحاول بكل جهده أن يخرجها من حالتها المتردية بجنونه واهتمامه وحنانه الدافق إلى عالم أرحب وأوسع، بل ويثني على هوايتها الأثيرة التي تحولت إلى عملها ومصدر دخلها ، فقدم لها أراء نقدية ممتازة ، شفت عن ثقافة ورقي وحاسة فنية عالية ، وكانت اللوحة التالية التي رسمتها إلهام، هي لوحة لوجه فوزي بألوان الزيت المبهجة.

شاركها فوزي هوايتها في الرسم، وأحيت هذه المشاركة، عشق خاص بداخله لممارسة هذا الفن الراقي، وجرب معها أن يرسم بألوان الزيت، والتي لم يستعملها في حياته من قبل وكانت النتيجة مبهرة مع توجهاتها المحترفة .

لم يكن فوزي جميل بمثل مهارتها بالطبع . ولكنه كان قادرًا على التعلم والتطور . وإحياء هواية طمستها الأيام والإهمال ..

حديث إلهام معه في ذلك اليوم البعيد . هو ما ألهمه بهذه الطقوس الجهنمية الدموية التي أخذ يمارسها مع ضحاياه، فبعد أن انهت أمام عينيه لوحتها الأخيرة، والتي أظهرت في وجهه جماليات لم يعهدها في ملامحه من قبل، رأى على وجهها ملامح حالة من النشوة والرضا لم يعتدها منها ، وكأنها انتهت من فورها من ممارسة الجنس الذي أرضى غرورها وجسدها وبدل حالتها النفسية، فأبتدرها متسائلا :

- بماذا تشعرين بعد الانتهاء من رسم لوحاتك ؟.

نظرت نحوه بأنفاس منبهرة لاهثة، وعينان غارقتان في نشوة لا مثيل لها، قبل أن تجيبه :

- أشعر بأنني نقلت جزءًا من روحي إلى هذا العالم .

تأملها بعيون فاحصة تلتهم وجهها المثير، قبل أن يقول متسائلًا بصوت لم يعهد منه هذه الدرجة من الفلسفة :

- وما فائدة أن تتركي جزء من روحك في هذا العالم البغيض ؟..

أزاحت إلهام خصلة نافرة من شعرها ، قبل أن تقبض على يديه في قوة وحب ، وتتنسم عطره المثير لتجيب قائلة:

- إن هذه اللوحات هي بصمتي ورسالتي إلى العالم ، والتي ستبقى حتى بعد رحيلي ، كجزء خالد من كياني لن تضمه جدران القبر .

صدمه الجواب فتساءل في لهفة :

- وما محتوى رسالتك ؟.

نظرت لوجهه بدلال وكأنها تحفر ملامحه بداخل عينيها قبل أن تضمه لصدرها النافر، وعيناها تلتهمان اللوحة التي رسمتها لوجهه لتقول :

- رسالتي للأجيال القادمة ، أنه كان هناك فنان حالم ، يقطن هذا الجزء الكئيب من العالم، ورأى الجمال .

كانت تلمح بطريقة رائعة لوسامته، وساعتها شعر بإثارة رهيبة ، فلم يبالِ بيدها التي تلطخت بالأصباغ ولا بجسدها الذي ارتعش بين يديه ، وضمها إليه بقوة ، وألهب شفتيها بقبلة مفعمة بالرغبة ، قبل أن يجذبها إلى تلك المنضدة التي تتوسط مرسمها ، ليطيح بكل ما فوقها من أدوات للرسم ، قبل أن يغرق معها في طوفان اللذة المتدفقة .

ومن بعد هذا الحوار ، كان عليه أن يترك بصمته الخاصة للعالم وللأجيال القادمة ، وعبر كلماتها بُعث من داخل ركام روحه الفنان الذي ظل محتجزًا هناك ، خلف جبال الإهمال والبحث عن المال، وكانت إلهام أولى لوحاته .

لم يعد الأمر بعدها مجرد شهوة يُطيعَها ، بل تحولت لعمل فني متكامل ، كما يقول في مذكراته :

- الحياة بلا جريمة ..حياة باهته لا إثارة فيها، ولكنها بدون بصمتك المميزة ، كيان مشوه .

ومع كل جريمة جديدة ، كانت نشوته تزداد ، وشهوته للمزيد تتصاعد وكما يقول الكاتب د.أحمد خالد توفيق في كتاب سبعة وجوه للحب :

- البعض لا يستطيع الحياة بدون ارتكاب جريمة دورية.هذا الأمر بالنسبة لهم ، كموعد المخدر .إدمان مثل كل إدمان أخر، والذي يجعله مختلفًا عن الأنواع الأخرى من الإدمان.إن لكل جريمة مذاقها المختلف وإثارتها المختلفة..

ومع الطقوس صار الأمر بالنسبة له أكثر إثارة ومتعة.

غادرت إلهام حياته بعد أن تركت بصمتها على روحه، وعلى لوحة لم تفارق شقته .

***

يتطلع حوله في تشتت إلى جدران الشقة الكئيبة ، الخالية من كل شيء؛ إلا مرآة ولوحة لوجهه مرسومة بمهارة .

***

وتدرج الأمر مع فوزي فصار أكثر إتقانًا وحذرًا حتى أن كل جهود رجال الشرطة لتتبعه ذهبت سدىً. لم يستطيعوا مع كل الجهد المبذول أن يقتربوا منه ،إنه يقتل بعشوائية، و كل مرة في مكان مختلف . وفتاة مختلفة أقتنصها في كل مرة من الموقع الاجتماعي الشهير .ذلك الموقع الذي أصبح بحرًا للأحزان والضياع ..

فهناك تقابل المحرومين ، والمجروحين ، والباحثين عن حب مختلف أو زوج مناسب .. وهناك كان ينشر مصيدته وينتظر .

حتى قابل هبة ..الساحرة ..كما كان يحب أن يكتب عنها في مذكراته ..

سحره جمالها الهادي وجنونها وعشقها المفرط للحشيش،ومع هبة دخل عالم المخدر المذهل ، وصار لا يرتكب جرائمه التالية إلا تحت تأثيره .

ووقع في غرام هبة ، وهي غلطة لَعَمْري فادحة ، بل كانت الغلطة التي قادت كل شيء إلى النهاية المحتومة والكارثية .

فالقاتل يجب أن يظل عالمه مغلق عليه، ولا يجب أن يسمح للمشاعر بالتسلل إليه ، خاصة لو كان يرغب بالاحتفاظ برأسه فوق كتفيه لأطول فترة ممكنة .

وهبة كانت نقطة الضعف وبداية السقوط ..هبة التي لم تكن بالحماقة الكافية كي لا تكتشف جرائمه، خاصة وأن الحشيش قد أطلق لسانه أمامها عدة مرات، لتكتشف حقيقته المروعة ، ومع قراءتها لمذكراته أيقنت أنها تعشق وحش سادي دموي شَبِق لا تروي شهوته إلا الدماء ..

هبة التي فقدت أعز صديقاتها على يديه ..هبة التي قررت من فرط عشقها أن تقتله وتوقف هذا السيل من الجرائم السوداء .

الغريب في الأمر. أنها لم تتوجه للشرطة وتجعلها هي من تنهي الأمر. بل قررت أن تنهي حياته بيديها ، وتحقق عدالتها الخاصة .

لابد أن تنتقم لأختها وصديقتها ميسون بنفسها ، فهي من زجت بها في طريق فوزي ، وتحمل نصف وزر موتها .

مأساة هنادي في دعاء الكروان تتكرر بشكل فجّ .

وهنا حانت اللحظة ..لابد أن يموت فوزي ..لابد أن أقتل البطل .

فهل حان الوقت حقًا ؟.

تيك تيك تيك توك

إنها لحظة النهاية .

حكاية كاتب رعب

تيك تيك تيك توك..لقد حان الموعد..وعليه أن يموت..إنها لحظة النهاية .

***

الثالثة صباحًا ..كل شيء معتم حتى روحك ، الكوابيس لم تفارق خيالك لحظة واحدة ، قطرات المطر والثلوج المنهمرة تؤكدان لك أن الطبيعة نفسها حانقة وغاضبة..

إنها اللحظة الموعودة التي يجب عليَّ فيها أن أنهي هذه الرواية ، لقد تحفز عقلي وتهيأت مشاعري ، ونضج القرار بداخلي ولم يعد هناك مفر من إتمام الأمر ..لقد أتى نداء الكتابة أخيرًا ولا رادَّ له .

و كالمُغيب نحَّيتُ الأغطية جانبًا ونهضت من مكاني صوب تلك الآلة الكاتبة السوداء اللامعة ، المستقرة فوق المنضدة السوداء الخاصة بها، والتي صنعت لها خصيصًا لتحتويها بداخلها ، ويغلقها قفل رقمي خاص ، فيحولها إلى خزينة منيعة ..وتلك الآلة الكاتبة الخالية من الحروف لن تجد لها مثيلا على سطح الأرض ، لأنها لم تأتِ أبدًا من مصدر أرضي .

كانت الآلة الكاتبة نفسها مخيفة أكثر من كتاباتي نفسها بحكم كوني كاتب متخصص في أدب الرعب .. كانت تبدو دومًا متألقة متحفزة، وكأنما لم يمسسها بشر، أو وكأنها خرجت للتو من المصنع .

وكم كنت أهاب تلك اللحظة التي تلتقي فيها أصابعي بمفاتيحها المصنوعة من المعدن والباردة دوما .

كانت الآلة الكاتبة تقبع أمامي كقدرٍ مخيف خارج خزانتها المحكمة . تحتضن ورقة بيضاء خالية، كُتِبَ في منتصفها كلمة واحدة (النهاية) وظلت في مكانها لعدة أيام لا تؤنس وحدتها كلمات أخرى .

جسدي يرتجف من لسعة البرد المفاجئة التي دهمتني فور مغادرة الفراش الدافئ، لقد نسيت من حماقتي النافذة مفتوحة عندما كنت أتابع الأمطار المنهمرة قبل أن أخلد للنوم بالأمس، والتي وللأسف عجز منظرها المبهر عن غسل روحي؛ مما يكتنفها من توتر كما كان يحدث دائمًا ، حمدت الله أن الأمر أقتصر على البرد ولم يتطور إلى التهاب رئوي .

نفضت غبار الكسل عن عيني وجسدي المتحفز، وكأنني على وشك الوصول للنشوة أو الأورجازم ، وتركت خلفي كل شيء ..النوم ، الفراش الدافئ ، الأفكار المترددة، وشرعت في إنهاء الرواية وجسدي ينتفض من الإثارة هذه المرة ..الآن هي لحظة الحقيقة .

- تيك تيك توك .. تيك تيك تيك توك..

صوت مفاتيح الآلة الكاتبة ، يغتال صمت غرفتي كموسيقى حالمة قادمة من قلب سيمفونيات ، موتزرت وشوبان وباخ ..

الآن بموت فوزي بطل روايتي . وبموت قرينه البشري ، وأكتب كلمة النهاية .

- تيك تيك تيك توك .

الكلمات تنساب من داخلي كنهرٍ متدفق . لقد ذهب عجزي ومعاناتي السابقان . وحضر الإلهام بقوة .

- تيك تيك تيك توك .

إن نهاية فوزي الحتمية تتشكل مع مضي الوقت، وقلبي يخفق بقوة وكأنني أعدوا في سباق غير مؤهل له .

الكتابة معاناة ..ولكنها معاناة لذيذة ..

لا أعرف كم احترق من خلايا مخي الرمادية ..لا أعرف كم مرة انتفض فيها جسدي مع الكلمات التي أخذت تتدفق لتسود بياض الأوراق ..كم مضى من الزمن ؟!!.

قرن .. قرنان .. ثلاثة .

- تيك تيك تيك توك .

الآن لم يتبقى إلا المشهد الأخير والحاسم،قبل أن أشرع في وضع كلمة(تمت) . فقد حان الوقت ولابد وأن أحكي لكم حكايتي والتي تأخرت كثيرًا في سردها عليكم، وأخبركم قصة القرين ، كي تحيطون علمًا بتلك اللحظة الحاسمة التي تعنيها نهاية الرواية .

من أنا ؟!

أنا ناجي إمام كاتب روايات رعب ..وهذا يكفي حتى هذه اللحظة.

لتعودوا معي بالزمن لثلاث سنوات مضت ، من فضلك لا تحدثني عن الثورة وغيرها ، فلا مجال لها الآن ، فيكفيني ما أنا فيه من إحباط ..فقط عودوا معي لتلك اللحظة الفارقة ، التي انتهيت فيها من طباعة روايتي الأولى لدى إحدى مراكز الكمبيوتر، وتصويرها لصنع عدة نسخ منها .

تلك اللحظة التي لا يعرف مذاقها ولا متعتها؛ إلا كاتب بذل روحه وكيانه في عمل عمره حتى أتمه.

الآن بين يدي ، طفلي الأدبي الأول ، وبداخلي رضًا يكفي الكون كله ، وأحلام مؤجلة من عصر الأمل الأول ..الآن لتبدأ رحلتي مع النشر .

معاناة نشر العمل الأول يعرفها كل كاتب، لا أحد منهم لم يمر بهذه التجربة الشنيعة، ولم يخسر بعض أمواله فيها وكل ثقته في هذا المجال، ودون أن تترك بداخله ندبة شوهت جزء من روحه، وعززت بداخله مشاعر عدم الثقة والخذلان .

فبعد أن تنهي عملك الأول، والذي أخذ من وقتك وصحتك واستقرارك النفسي الكثير ، تبدأ معاناتك .

إن أحلام النشر الأولى تبدأ عظيمة ، وحمقاء .

لذلك ها أنا ذا أقف أمام مقر دار النشر الكبرى تلك، قابضا على روايتي الأولى وكأنني قابض على جمرة مشتعلة، أقدم قدم وأؤخر الأخرى، تحدوني الرهبة والأمل .

عدة أمتار تفصلني عن تحقيق حلمي، وكلمات صديقي الوحيد فؤاد تتردد بداخل عقلي :

- لا تتخلى عن حلمك كي لا يتخلى عنك .

بالطبع لن أتخلى عن حلمي ولن أتركه ليتخلى عني، إن موت حلمي يعني موتي حيًا ، وهو أبشع أنواع الموت لو طلبتم رأيي،والعجيب أنني لحظتها لم أكن بالذكاء الكافي لأدرك ، أنه ليست كل الأحلام قابلة للتحقق والتحول لواقع سعيد ..ألم أخبركم أن أحلام النشر الأولى تبدأ عظيمة ، وحمقاء .

عبرت بوابة دار النشر المقدسة وقلبي يكاد يُمَزِّق أضلاعي من الخفقان، لم أشعر بهذا الشعور المخيف منذ اختبارات الثانوية العامة ، لقد حولني القلق مجددًا لطفل مرتجف.

دفعت الباب الخشبي الموارب، لأعبر لداخل مكتب الاستقبال، لتتلقف وجهي المضطرب سكرتيرة جميلة الوجه: منهمكة في متابعة أحد برامج الطبخ المشهورة على شاشة تلفزيون مسطحه معلقة على الحائط المقابل ، ويبدو من ملامح وجهها العابس أنني قد قاطعتها بدخولي في اللحظة الحاسمة ، والتي كان الشيف ينصحها فيها بوضع خلطته

السربة على الطعام لتحصل على الطعم المثالي، لذا شعرت بتوتر كبير ، قبل أن أنتزع نفسي من دوامة التردد لأقول :

- السلام عليكم .

- وعليكم السلام .

قالتها ثم صمتت وعيناها تتابعان الشيف بضيق ، لتتجاهلني تمامًا ، وعندما طال صمتها بادرتها قائلًا :

- ناجي إمام كاتب جديد أرغب في نشر روايتي لديكم و..

أشاحت بيدها في تفهم دون أن تنظر لي، وقالت بلهجة آلية :

- أترك مخطوطة الرواية هنا، ورقم هاتفك ، وأنتظر اتصالنا بك بعد شهر .

وضعت مخطوطة الرواية بحرص على مكتبها الصغير المُفعَم بالأوراق والملفات ، وكأنني أترك جزء من روحي هناك ، قبل أن أستدعي بعضًا من شجاعتي المتبخرة ، وألقي عليها سؤلًا أخيرًا :

- ألا يستدعي الأمر أن أمر عليكم مرة أخرى ؟!.

أشاحت بيدها بنفس الطريقة اللامبالية، قبل أن تدون في ورقة أمامها وصفة جديدة يلقي الشيف بمكوناتها على المشاهدين، ولتخرج من بين شفتيها كلمات باهتة :

- لا داعي لذلك .. أنتظر اتصالنا .

تركت مخطوطة الرواية وسجلت رقم هاتفي المحمول على ظهرها يحدوني الأمل ، برغم الاستقبال الفاتر المحبط ، ثم غادرت حرم دار النشر المقدسة ، وأنا أحاول بكل طريقة أن أُبقي شعلة الأمل الخابية متوهجة بداخلي .

ومر الشهر الموعود وشهر أخر بعده، دون أن يفاجئني هاتفي الصامت بالاتصال المرتقب، وفي كل مرة كنت أذهب فيها إلى دار النشر أحظى بوعود ومبررات لا تغني ولا تسمن من جوع ، ولا تمنح حتى بارقة أمل ، فما بين لجنة القراءة وضغط المعارض المحلية والدولية ، تاه حلمي .

وفي النهاية توقفت عن مطاردته لدى هذه الدار فلن يكون تعاملهم السيئ سابقة تخصني وحدي ، فخمس من دور النشر رفضوا جميعهم المخطوطة الأولى لرواية هاري بوتر، وعضّوا بعدها على أناملهم من الندم ، ولست أنا بأقل حلم أو حماس من مؤلفة هذه الرواية ، التي صار أسمها علامة بارزة في الأدب العالمي .

شطبت اسم هذه الدار من قائمة دور النشر التي أعددتها من أجل نشر روايتي الأولى ،وحاولت مع دار نشر أخرى وأخرى. وفي جميع محاولاتي فشلت .. ثم وصلتني المعلومة بالطريقة الأصعب .

دور النشر الكبرى لن تهتم بعملك أو بك ككاتب إلا عندما تصير شهيرًا ، ولكي تصيرَ شهيرًا يجب أن تنشر لدى دار نشر كبرى ، إنها الدائرة المفرغة المخيفة ، كدائرة العمل تمامًا، لكي تعمل لابد من شهادة خبرة

، ولتحصل على شهادة خبرة لابد أن تعمل ، دائرة سيزيفية معقدة لا أمل من كسرها .

وفي النهاية لم يتبق أمامي إلا النشر الخاص سيء السمعة مع دور نشر مغمورة ومطمورة ربما من قبل معرفة فن الكتابة وسيادة الديناصورات للأرض .وكانت تجربتي الأولى مع النشر الخاص مفجعة .

طباعة سيئة ، وتعامل مهين ، وتوزيع قضى على كل أمالي بوصول مجهودي للقراء، مع خسارة مادية مجحفة ، جعلت اليأس يغتال روحي وثقتي بنفسي ، وبكل ما يخص هذا العالم ، وفي النهاية توقفت عن المحاولة ، ولكني لم أتوقف عن الحلم ..

أصابني الإحباط لعام كامل بعدها :توقفت فيه عن الكتابة تمامًا. ألا يكفي أن الكتابات الخاصة بالرعب وعوالم ما وراء الطبيعة لا تحظى بالاهتمام الكافي من قِبَل النقاد والمثقفين . ليكون الناشرين أنفسهم ، عقبة في طريقها .

حاولت مئات المرات أن أعود للكتابة دون جدوى ، وكأن عقلي قد أصابه العُقم ، فلم يعد ينجب أي أفكار ..حاولت مجددًا ، ومزقت عشرات المحاولات الفاشلة..الإحباط مد مظلته على روحي وفقدت كل قدرة على الكتابة .لم يعد هناك محفز .لقد ماتت موهبتي ، وحلمي ، وأملي في غدٍ أفضل .

هل فكرت في الانتحار؟ .

ربما مرة أو مرتين ، ولكني عند أول طريقةُ كنت أتراجع ، إن معظم الكتاب المشهورين قضوا انتحارًا ، وأنا لم أصِر منهم فلم العجلة ؟ ..

لقد فشلت في التعامل مع عالم معلوم لي . فكيف لي بعالم أجهل عنه كل شيء ..التراجع كان الحل الأكثر من شجاع في حينها .

في هذه الفترة المظلمة من حياتي ، كنت قد فقدت شهيتي لكل ما يتكون من حروف، حتى عملي في التدريس كنت أقوم به بالقصور الذاتي فبدونه لن أحصل على المال. وقد أضطر للاقتراض، وهي ملكة لم تكن لدي ، فالأفضل أن أموت جوعًا من أن أستدين ثمن الطعام ، والأفضل أن أمارس عملي ولو بروح محتضرة .

لم يتوقف الأمر حينها على عجزي عن الكتابة، القراءة نفسها توقفت عنها ، القراءة التي كانت طوق النجاة بالنسبة لي للهروب من كل مشكلاتي، ومن عالمي الكئيب .

حتى خطيبتي سهر لم تعد علاقتي بها على ما يرام .

الفشل عندما يعرف طريقك، لا يتركك حتى باب القبر ، وحينها تحتاج لمعجزة الموت كي تهرب من براثنه .

ومع الوقت بدأت روحي تتجمد وتتحول إلى قطعة من الجليد ..لم أعد أطارد حلمي ..ولم يعد حلمي يطاردني ..فقط شعرت بحنين جارف للقراءة .

كل كاتب في الحقيقة قارئ مخضرم ، لن تجد كاتب واحد ، لم يقرأ جبال من الكتب المتنوعة . قبل أن يشرع في الكتابة . أنت تكتب فقط لأنك تقرأ ، لا توجد وسيلة أخرى .

وفي النهاية تفوقت لديَّ رغبة القراءة على كل مشاعر الإحباط الأخرى. وعدت من جديد لعالمي المفقود . ويالها من لذة ..

إن لذة العودة للقراءة تفوق أي لذة حسية أخرى ..إنها نفثه من الحياة في عروقي الميتة .

القراءة هي اللمسة السحرية التي لها القدرة على تغيير حالتي المزاجية ، وطرد كل شياطين الاكتئاب من داخلي، وقد استعدت قدرتي على ممارستها وهذا يستحق الاحتفال في وقتٍ تالٍ .

أنهيت في وقت وجيز كل الكتب الجديدة التي تكومت فوق مكتبي خلال الشهور الماضية .. فالقاريء النَهِم مهما كان وقته مزدحم لا يتوقف عن شراء الكتب فهي تصبح عادة ذاتية لا إرادية كالتنفس تمامًا . وربما أصعب أنواع الادمان، ونفضت عن مكتبتي كل ذرات الغبار والنسيان والإهمال التي علقت بها، وأعدت قراءة بعض رواياتي المفضلة ، وبعض كتب الجن والخوارق التي تشبع نهمي لهذه العوالم، وبعض كتب الشعر والكتب السياسية .

فالكاتب لا يجب أن يقرأ في مجاله فقط فهو يصنع عوالم كاملة تحتوي على كل أنواع المشاعر والعلاقات والتفاعلات وعليه أن يلم بها

وجبة دسمة تقبلتها روحي العطشى بلهفة وشوق ، وبرغم عشرات الكتب التي قرأتها ظلت الكتابة حلم بعيد ..بعيد جدًا عن قدرتي .

وذات يوم بهيج ،قررت أن أتصفح بعض مواقع الإنترنت التي تحظى معي باهتمام مشترك ،وكانت ضالتي هناك ، في موقع ما وراء الطبيعية والذي يقوم عليه، مجموعة من الباحثين المجتهدين في طرح هذه الموضوعات الغامضة بطريقة مكثفة ومشوقة.

الحقيقة أنهم بذلوا في الموقع مجهودًا مضنٍ ومتميز، إنهم يعرفون ماذا يكتبون وأين يبحثون دون شك ..وهناك جذبتني الموضوعات المتنوعة التي تخوض بجرأة في هذه العوالم الغامضة المجهولة والمثيرة.. لم تكن معظم هذه المعلوسـ [illegible] مر بها من قبل ، فقط كان التناول والطرح والترتيب ما جعل الموضوعات أكثر شمولية وجاذبية..وميزة المعلومات في هذا الموقع بالذات أنها مدعمة بالفيديوهات التوضيحية والصور وأسماء الكتب والمراجع .

أما أكثر ما جذبني للقراءة هو موضوع السيكوغرافيا ، الكتابة النفسية اللاإرادية ، أو الكتابة التلقائية الباطنية حسب تعريف كاتب المقال ، وهو تعريف لا أستسيغه كثيرًا برغم صحته .

كنت قد قرأت عن السيكوغرافيا مرارًا واعتبرتها -لو كانت حقيقية- أنها منحة إلهية خالصة يخص بها الخالق المحظوظين من البشر .ولكنها ويا للعجب لم تُثِر خيالي وقتها.

فنحن في المعتاد لا نشعر بقيمة الأشياء إلا بعد فقدانها ،وحاجتنا الملحة إليها مرة أخرى .

الآن وقد عجزت عن الكتابة ، كنت أتمنى ، لو أن لديَّ مثل هذه القدرة المتفوقة ، وساعتها كنت ساكتب ما تعجز أرفف المكتبات عن احتوائه.. كان الأمر في حينها بعيدًا جدًا عن قصة النشر، وإن لم يكن بمنأىً عنها..

فالكتابة في حد ذاتها متعة روحية لا حدود لها ، تمنح صاحبها نشوة تفوق ، كل العقارات المخدرة والمشروبات الروحية ، بل وممارسة الجنس نفسه.

الكتابة هي حياة بديلة ، تتقمص فيها دور الألهة عبر الورق .. أنت تتحكم في مصائر البشر ..تعاقب وتثيب ، تحي وتميت حسب رؤيتك للأمور ومسار كتاباتك ..الكتابة هي قصة خلق وبعث جديدان .

وقد فقدت مع إحباطي واكتئابي من موضوع النشر ، تلك الهبة العظيمة ،والآن علي أن أبحث عن حل ، فلا بديل هناك .

ومع هذا المقال عن السيكوغرافيا وجدت ضالتي ، فلنقرأه معًا:

- والسيكوغرافيا Psychography هو مصطلح ينطبق على النصوص التي يزعم أنها كتبت من قبل أرواح أو كيانات غير مادية، وللسيكوغرافيا أشكال متعددة بدءًا من روح مزعومة تمتلك السيطرة الكاملة على حركة يد الكاتب؛ إلى أن يكون ببساطة ناتجًا عن تأثير

مبدئي تتدفق الأفكار منه، وهو يعتبر شكلًا من أشكال الكتابة التلقائية Automatic Writing ولكنها فريدة من نوعها من حيث أن الكاتب يدرك عمومًا ما يكتب أي أنه لا يدخل حالة في الغشية Trance.

اندمجت إلى حد كبير مع هذا الموضوع ، وهالني ما وجدت عنه من معلومات وجذور ممتدة ، ضاربة في أعماق التاريخ ، حتى ولكأنك تشعر ، أن يد الله هناك تمنح للبشرية ما عجزوا عن اقتناصه من فنون وآداب وعلوم ، على هيئة رسائل لا إرادية ، لا دخل للبشر فيها.

وانا أؤمن أن رسائل السماء إلى البشر لم تنقطع ولن تنقطع حتى قيام الساعة ، وإن اختلف شكلها وهيأتها بعد أن توقف الأنبياء والرسل عن الظهور.

يعتقد الباحثين أن الإغريق والرومان هم أول من تطرق للسيكوغرافيا حيث اعتقدوا بأن إلهامهم الفني أو الشعري، ممنوح لهم من قبل الألهة، وأن الأحلام تأتيهم عن طريق الإلهة .

وصرح فولتير بمناسبة كتابته المسرحية الدراماتيكية (Catiline) أن التدفق الفكري الذي دام أسبوعًا يضاهي مدة تفكير خمس سنوات في الحقيقة، وأنه من الواضح أن ذلك حدث بواسطة :(si scirent donum dei) أي هبة إلهية.

كما كتب المفكر العالمي جوته قسمًا من مؤلفاته وهو في حالة سيكوغرافيا قوية، وقد صرح بذلك بنفسه أنه أحيانًا لم يكن يدري

بمضمون أبيات قصائده التي تفاجئه عفويًا، والتي تحثه على الكتابة مباشرة بشكل غريزي وكأنه نائم.

و تزعم الوسيطة الروحانية روزماري براون (1916 - 2001)أنها تلقت تدوينات موسيقية (السوناتا) من مشاهير الموسيقيين الذين عاشوا في الماضي كـ لودفيغ بيتهوفن وباخ وفرانز لست وشوبان وغيرهم! وتضمن الإنتاج الموسيقي الذي دونته : 40 صفحة من سوناتا لـ شوبرت، وشوبان، و12 أغنية لـ شوبرت واثنين من سوناتا بيتهوفن تمثل كلًا من السيمفونية العاشرة والحادية عشرة لبيتهوفن ! كلاهما غير مكتملتين.

ومن أغرب مضامين ما كُتِبَ بطريقة السيكوغرافيا ما ذكره جورج سربالاد في كتابه (spirities et mediums:choses de l autre monde) عن أحد الوسطاء الذين صرَّحوا أن بني البشر لم ولن يطئوا القمر لأن الهواء غير متوفر فيه، وأن الله لا يسمح بذلك، ولكن على سطحه يوجد أناس يعيشون بصورة تختلف عن معيشة سكان الأرض من حيث استنشاق الهواء، كما أن هناك شعب يعيش على سطح الشمس لكن برداء خاص منحه لهم الرب الإله ليحميهم من حرارة الكوكب ؟؟

ويعتبر أليستر كراولي صاحب كتاب القانون Book of Law مثالًا مثيرًا للاهتمام عن السيكوغرافيا لأنه يعرض عدة أشكال منها ،فهو يدَّعي أن نص هذا الكتاب قد أملاه عليه كيان اسمه عيواس Aiwass، وأنه بكل بساطة كتب ما سمع منه (شكل نموذجي من السيكوغرافيا). ومع ذلك وعلى سبيل المثال رَسَمَ كراولي خطًا قطريًا عبر الصفحة 60 (الفصل

الثالث : 47) مما تشير إلى أن بعضًا من الكتابة أتى أيضًا "تلقائيًا" أو "ميكانيكيًا"، علاوة على ذلك ،كما تم استيحاء بعض النص فيما بعد ليس من كراولي وإنما من خلال زوجته (روز) التي كتب على يدها :" نجمة ذات رؤوس خمس مع دائرة في الوسط والدائرة حمراء " - (الفصل الأول : 60).

و يذكر التاريخ الوسيطة هيلين سميث التي لمعت في اختراع لغة زعمت أنها تخص سكان غير أرضيين، وأنها مُلهَمة روحيًا تتمكن من الاتصال الروحي مع عالم الموتى .

كما سطع نجم تشيخو خافيير (1910 - 2002) في تدوين آلاف الأسطر عن طريق السيكوغرافيا وذاع صيته خصوصًا في البرازيل مؤكدًا اتصاله مع عالم الأثير، حيث كتب أكثر من 400 كتاب بطريقة سيكوغرافيا من أجمل القصائد الشعرية، وأكثر المواضيع العلمية تعقيدا ،وقام ببيع ملايين النسخ ذهبت عائداتها للجمعيات الخيرية.

و يقول مالو دا سيلفا في كتابه (misterios e realidades deste e do outre mundo) أن طالبا هولنديًا حاول عبثًا ثلاثة أيام أيجاد حل لمسألة حسابية كُلِّفَ بها من طرف أستاذه فان سويدن، وبعد جهدٍ مضنٍ بدون نتيجة نام ليستريح و في الصباح وجد على الطاولة التي يعمل عليها ورقة كُتِبَ عليها الحل المناسب للمسألة المعقدة، ولم تكن حسب الوسائل التي تتبعها في جهده الفكري .

والشيء المثير للدهشة كان مع البروفيسور الفرنسي المتقاعد جان بيير الذي يعتبر المرجع الأول في علوم الفيزياء لدى الكثير من الأوساط العلمية المرموقة، والذي وجه صدمة قوية للعالم على إثر تصريحاته في إحدى وسائل الإعلام بأنه كان على اتصال مع مخلوقات قادمة من خارج كوكبنا وتعيش على كوكب يطلق عليه "أومو".

بالإضافة إلى تلقيه رسائل مزعومة من تلك المخلوقات بانتظام وعلى غير العادة فإن معظم تلك الرسائل كانت تعبر عن تقدمهم العلمي، والبعض الأخر كان يحتوي على حلول فعلية لمشاكل علمية كان يعتبر حلها أشبه بالحلم البعيد .

أما عن العرب فحدِّث ولا حرج ، فقد كان العرب قبل الإسلام : يعتقدون بأن الشاعر متصل بشيطان خاص به يلهمه الشعر ، وإن كان لكل شاعر شيطان ، فكان حسان بن ثابت يقول قبل إسلامه :

ولي صاحب من بني الشَّيْصَبانِ   فَطَورًا أقول وطورًا هوهْ

وفي بيت الشعر هذا يقرر حسان بن ثابت ثلاثة أمور :

- أولها أن له صاحبًا غير إنسي ، وثانيها أن هذا الصاحب ينتسب إلى الشيصبان ، وهو اسم للشيطان (وبنو الشيصبان أما أن يكونوا أبناء جني يعرف بهذا الاسم أو يكون أسم قبيلة من قبائل الجن) : وثالثًا أن حسان وشيطانه يتناوبان القول فتارة يقول حسان وتارة يقول شيطانه، وهذا إذا أخذ على وجهه الظاهر يعني أن الشيطان يرفد

صاحبه أو يستقل بقصيدة ويستقل الشاعر بأخرى ولا يتولى الإلهام كله .

ولم يتوقف الأمر على حسان بن ثابت ، فهناك شعراء آخرين ، يصاحب كل منهم شيطان أو تابعه، ومنهم الأعشى ميمون بن قيس ، وصاحبه اسمه " مسحل " وقد ذكره في قوله :

دعوت خليلي مسحلًا   ودعوا له جُهُنَّام جَدْعًا للهجين المُذَمَّمِ

ولم يقتصر الاعتقاد بشيطان الشعر على العصر الجاهلي وبدايات الإسلام بل حافظ المعتقد على وجوده أيضًا في العصر الأموي ، ولعل الفرزدق أن يكون من أكثر الشعراء ترديدًا له ، ويقال إن اسم شيطانه " عمرو ". وذكر الفرزدق حين يفتخر بشعره أنه " أشعر خلق الله شيطانًا" .

كأنها الذهب العقيان حبرها   لسان أشعر خلق الله شيطانا

ومع ذلك فإن الفرزدق تزحزح عن هذا المعتقد حين تصور أن الذي ينفث الشعر في فمه هو " ابليس " وابنه مع أن أحدًا من الجاهلين لم يذكر أن رئيس الشياطين مصدرًا للإلهام : يقول الفرزدق:

وإن ابن إبليس وإبليس ألبنا   لهم بعذاب الناس كل غلام

هما نفثا في فيَّ من فمويهما   على النابح العاوي أشد رجام

وجَرير ينافس الفرزدق في اعتقاده أن الذي يلهمه هو إبليس فيقول :

إني ليُلقي عليَّ الشعر مكتهل   من الشياطين إبليس الأباليس

وكان الفرزدق يقول : " شيطان جرير هو شيطاني إلا إنه من فمي أخبث "

ويشير شاعر يسميه الجاحظ أعشى سليم إلى أن شيطان المخبل كان من أقوى الشياطين .

وما كان جني الفرزدق قدوة   وما كان فيهم مثل فحل المخبل

وما زال هذا الاعتقاد سائدًا إلى يومنا هذا ويوصف الشاعر بالقوة في شعره بقوة شيطانه ويكثر هذا الوصف في هذا الزمن بالشعر الشعبي .

كان هناك عشرات التفسيرات العلمية . والفلسفية لهذه القدرة الغريبة . وما لاحظته أنا أن كل من أمتلكها صار . شاعرًا أو كاتبًا شهيرًا وبعضهم خلدهم التاريخ .

وكان هذا حلمي ..أن أصير كاتبًا تطبق شهرته الآفاق ..ولكن كيف يتحقق حلم مماثل ؟ .

ومن هناك قادتني أبحاثي وقراءتي إلى القرين .

الجزء الثاني

شمس المعارف

القرين

تيك تيك تيك توك ..تيك تيك تيك توك ..ماذا عن البداية ؟.

***

القرين في اللغة:

إذا بحثنا في كتب اللغة نجد أن العلماء عرفوا القرين على أنه الصاحب أو الرفيق، ولكن في اللغة العربية كل كلمة لها معنى خاص بها، الصاحب مثلًا أو الصديق يكون فيه بعض صفات مشتركة مع صاحبه، أما الخليل فالصفات المشتركة تكون أكثر بين الشخصين مما بين الصاحبين، بينما القرين فيتطابق في الصفات مع قرينه.

والقرين حقيقة مُسَلَّمَة عِرفَها الفراعنة والحضارات الأخرى ، كما أنه ذُكِرَ في النصوص الدينية ،ويعتبر الإسلام القرين كائن غيبي يلازم الإنسان في حياته، وهو مخلوق من الجن المسبب للوسوسة والشرور المتأتية من إغواء النفس حيث ورد ذكره في عدة مواضع من القران الكريم :

-" وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ "(سورة ق·-آية 23).

-" قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيد "(سورة ق-آية (27

-" وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ " (سورة الزخرف – آية 36) .

وقد يكون للإنسان قرين آخر من الكائنات الغيبية كنوع من الجن الصالح أو الملائكة التي تنصحه بفعل الخير،وقد بَيَّنَ محمدٌ رسول الله (ص) فكرة القرين

عن عبد الله بن مسعود قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما منكم من أحدٍ إلا وقد وكِّل به قرينه من الجن ، قالوا : وإياك يا رسول الله ؟ قال : وإياي ، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير ".

ومن هنا جاءتني الفكرة ,أنه يمكن لي أن أتواصل مع هذا القرين .

إنني كاتب رعب ، فلا أقلَّ من أن يكون إلهامي شيئًا أكثر تأثيرًا من مجرد فتاة حالمة ، أو كتابات كاتب عبقري أخر، لابد أن يكون ملهمي هو القرين نفسه .

وعند هذه النقطة اندمجت في البحث أكثر.وخضت في الأمر عبر الشبكة العنكبوتية، وهناك كانت عشرات الكتب والمواضيع، حتى وسيلة الاستحضار كانت موجودة ومتاحة للجميع .

يزعم بعض الباحثين أن الإنسان محاط بهالة مُركَّبة من عنصرين الأول ناري (قرين جني)، والثاني نوراني (قرين ملائكي)، ويستندون في فرضيتهم هذه أن الإنسان يمتلك هالة كهرومغناطيسية لها تردد

معين، تنبع جذورها من القلب، ويعتقدون أن الله تعالى خلق الإنسان، وأحاطه بترددات ثابتة لا يمكن أن تضطرب إلا في حالات خاصة كالوقوع في الإثم أو القيام بعمل صالح.

وكلما ازداد عمل الإنسان الصالح، ازدادت الهالة النورانية التي تحيط بوجهه، ولذا يقال أن لهذا الإنسان أو ذاك نور في وجهه، وعلى العكس تتقلص الهالة النورانية وتزداد تلك النارية كلما قام الإنسان بأعمال غير صالحة.

وعند أول تأثير في هذه الهالة سيتسبب في حدوث اضطراب لدى الإنسان لاسيما في تصرفاته وسلوكياته ويشعر بأعراض مختلفة غير طبيعية، ولذا يستنتجون أنه مصاب بمس.

و بعد أن أثبت العلم الحديث أن هناك مجالًا كهرومغناطيسيًا يحيط بالجسم البشري زعم هؤلاء الباحثين أن طبيعة أجسام الجن المخلوقة من نار السموم أو مارج من النار وهي تقع خلف ترددات الضوء المرئي في سلم الترددات، وبالتحديد تحت مجال الأشعة تحت الحمراء تقريبًا ، ومن هنا يقولون :

" إن طبيعة أجسام الجن بشكل عام لها ترددات كهرومغناطيسية تتقارب أو تتساوى مع ترددات الطيف للأشعة تحت الحمراء ، رغم عدم وجود إثبات علمي تجريبي على ظهور كائنات في كاميرات التصوير الحساسة للأشعة تحت الحمراء.

وبحسب تلك النظرية أو الفرضية حول الهالة المحيطة بالإنسان نجد أنه يمكن أن تختلف مواصفات هذه الترددات بسهولة مع ترددات أخرى، كأن يتداخل مع هذه الهالة شيء آخر له المواصفات نفسها فعلى سبيل المثال:

لو تعرض المرء إلى هجوم من حيوان شرس أثناء السير بالليل فلا بد أنه سيشعر بالقشعريرة في بدنه " القشعريرة ناتجة عن ازدياد تردد القرين"، فإذا كان هناك جن يراقب هذا الشخص وكان تردد قرين الشخص مساوٍ لتردد هذا الجني، فإن الجني يخترق قرين هذا الشخص ويصبح مقرونًا أو ما يسمى بالمعنى العامي ملبوسًا .

وتشير الدراسات الأخيرة إلى أنه عندما يغضب الإنسان ترتفع درجة حرارته وتزيد ضربات قلبه فتؤثر في ترددات الهالة المحيطة به وتصبح ترددات الهالة مشابهة لترددات الجن وهي ترددات الأشعة تحت الحمراء، وهنا يزعم أن الجني يتمكن من التداخل مع هالة الإنسان واختراقها ودخول جسم الإنسان.

هناك مزاعم عن استغلال نظرية القرين من قبل السحرة والذين يقومون باستحضار الأرواح تحت عدة مسميات وهناك مثال على ذلك:عندما تكون عند أحد السحرة فيذكر لك اسمك واسم عائلتك، وفي بعض الأحيان أشياء تتعلق بك ولا أحد يعرفها إلا أنت ، فكيف عرف هذه المعلومات ؟

يعتقد البعض أن الساحر حصل عليها من طرف قرين الشخص بعد أن سيطر عليه الساحر بواسطة أحد الشياطين أو المردة الذي تحالف معه.

ويزعم أيضًا ظهور شبح الميت في جلسات استحضار الأرواح ويرى البعض أن الذي ظهر هو قرين الشخص وليس روح الميت بمساعدة من الشياطين ومن ذلك جاءت فكرة تناسخ الأرواح وهي برأي البعض ليست سوى تصورات وهمية قد غرزتها الشياطين في بعض المعتقدات بواسطة القرناء لتضليلهم عن مسألة الحساب والفناء .

لو افترضنا جدلًا أن القرين قادر على مغادرة الإنسان الموكل به ولو مؤقتًا وأنه قادر كذلك على التجسد أمام بعض الناس (كصورة ذهنية ربما وليست صورة بصرية، العين الثالثة) .

فإن هذا يفسر ظاهرة ما ورائية يطلق عليها اسم ظاهرة الشبيه Doppelganger.: التي يزعم فيها رؤية شبح له نفس مواصفات شخص حي موجود وكأنه مستنسخ عنه أو انعكاس الشخص نفسه.

ولهذه الظاهرة صلة قريبة بظاهرة أخرى تدعى التواجد المزدوج Bilocation أو حتى التواجد المتعدد Multilocation :وهي عبارة عن رؤية شبيه الشخص في أكثر من مكان وفي نفس الوقت .

وقد يكون ذلك أيضًا تفسيرًا لما يُعرَف بـ أهل الخطوة في التراث الشعبي ، حيث يزعم البعض أنهم من أولياء الله الصالحين أو ذوي الكرامات الذين يمتلكون تلك القدرة الخارقة على قطع مسافة طويلة جدًا في

خطوة واحدة أو في لمح البصر فلا يعوقهم بحر ولا جبل أو أنها تلك القدرة على التواجد في أكثر من مكان في نفس اللحظة .

فهل أطيافهم (قرناؤهم) هي التي تنقل لهم أخبار المناطق البعيدة التي زاروها بعد أن غادرت أجسادهم لبعض الوقت ؟ خصوصًا عندما نعلم أن الجن يستطيع السفر لمسافات بعيدة في لمح البصر كما ذُكِرَ في القرآن الكريم.

انتهيت يومها من بحثي إلى عدة أشياء :

1- القرين هو كائن غيبي حقيقي وله جذور حقيقية وتاريخية ودينية.

2- القرين قام عبر التاريخ بإلهام العديد من الشعراء والكتاب والسحرة.

3- القرين هو هبة لمن يستطيع استحضارها .

4- القرين يعيش فترات أطول من البشر ولذلك ، فقد يكون هناك من عايش أو يعايش مع العديد من الكتاب الكبار ، مثل إدجار ألان بو ، آن رادكليف ، و لافركرافت ، ستيفن كينج، روبرت بلوتش، آن رايس ، وغيرهم من عظماء هذا المجال .

5- إن كل تعاويذ الاستحضار والاستدعاء الموجود على الإنترنت فاشلة .

6- لابد من العثور على النسخة الأصلية من أحد تلك الكتبة المشهورة كشمس المعارف أو سحر الكهان الهود أو علم الاستحضار الكامل ، أو المُبين في استحضار القرين وغيرها من تلك الكتب الجهنمية.

لماذا أبحث عن هذه الكتب ؟! أحقًا لم يستنتج أحدكم ؟ هل من إجابة ؟.

نعم نعم ..إنها لاستحضار القرين ..قريني..هل توقعتم شيئًا أخر ؟.

أنتم تمزحون لو أعتقدتم أن كل الطرح السابق لشيء أخر!!.

المهم ..كنت أعرف بحكم كوني كاتبًا متبحرًا في هذا المجال، أن هناك سوقًا سوداء للمخطوطات الأصلية لهذه الكتب،ومن الممكن ببعض الجهد الحصول عليها، المشكلة فقط كانت في أسعارها الخيالية . فمن أين لي بتلك الأموال اللازمة لاقتناء أحدها ؟!.

لم تشغلني هذه النقطة كثيرًا في حينها، في البداية لنعثر على الكتاب ، وبعدها لنتدبر أمر النقود ، فلا يمكن أن تتحرك بنفس الحماس وأنت تطارد وهمًا .

خمسة أسابيع كاملة مرت عليَّ وأنا أُجري اتصالاتي وأنتقل من سمسار لسمسار ، بصحبة عبد الرشيد أمين صديقي الباحث الأكاديمي والذي طالما مدَّني بسيل من الكتب والمعلومات ، حول عالم الخوارق وما وراء الطبيعة ، والذي كان يملك بعض نسخ ثمينة من هذه الكتب ، ولكنه تخلص منها عندما بدأت تؤذي روحه وكادت تدمر حياته .

الموضوع كله كان فرق توقيت ..

لو لم يتخلص عبد الرشيد أمين من الكتب ، أو أنني احتجتها في وقت أبكر لربما وفر عليَّ كل الوقت الضائع والأموال المستنزفة ، خاصة وأنني في هذه المرحلة من حياتي ، استحوذت عليَّ الفكرة لأقصى مدى

ولم أستطع التحرر منها ، وكأن قريني كان يوسوس لي ، كي أعمل على تحريره من قيدي ومن قيد جسدي .

وفي النهاية عثرنا على أحد هذه الكتب الشيطانية ، وأكد لي عبد الرشيد أن الكتاب أصلي ، وتعرفت على ميار خطاب التي كانت تشاركني إهتماماتي . بل لو شئنا الدقة فهي من قادتنا إلى ذلك السمسار ، وإن لم أطلعها على السبب الحقيقي لرغبتي في اقتناء كتاب سحر حقيقي .بل وخضت مع منار خطاب نقاشات ساخنة حول تلك العوالم . وكان علمها الغزير مخيف جدًا لي . إنها قارئة نهمة وتملك ذاكرة أسطورية ، أما الشيء الأغرب أن شعرت أني أعرفها بطريقة ما ..وهي نفسها أكدت هذا ، ولكنها ظلت محافظة على غموضها وأسرارها.

وحانت لحظة الحقيقة،كان السعر الذي طلبه السمسار في المخطوطة فادحًا. ويحتوي على أربعة أصفار بجوار رقم السبعة ، غير عمولة السمسار التي تصل لخمسة ألاف جنيه وحدها .

عندما تصفح عبد الرشيد المخطوطة أخبرني أن ضالتي بداخلها ، ولم يكن هناك سبيل للتراجع والانتظار ساعتها .

دفعت في مخطوطة الكتاب الأصلية كل مدخراتي . وبعت منزل والدتي القديم الذي ورثته عنها في البلد إلى ابن عمي . وفي النهاية حصلت على الكتاب وعلى القرين وعلى لعنتي .

شمس المعارف الكبرى ..

شمس المعارف الكبرى .

تيك تيك تيك توك ..هناك دوما خطوات للخلف ..تيك تيك تيك توك .. ولكن من يجرؤ على أن يخطوها ؟!

***

الكتابة هي لحظة ولادة ولحظة موت ، ومن أجلها عليَّ أن أخوض في هذا العالم المقبض الشائك ..نعم الأمر تمامًا كالفرق بين الموت والحياة لا مبالغة هنا ..خطوة سأخطوها ، ثم ستتبدل بعدها حياتي بالكامل ...

الآن اللحظة الحاسمة..عليَّ إما أن أعتمد على موهبتي في الكتابة وأترحم على كل المجهود السابق وأموالي الذاهبة ، أو أخوض في هذ المستنقع المخيف الآسن ، حتى أفقد روحي ذاتها...

إنني في هذه اللحظة السوداء أمتلك كتاب شمس المعارف الجهنمي وطريقة استحضار القرين وأحلام وطموحات كبيرة، وخوف لا حدود له .فهل أجرؤ ؟

الغرور والكبرياء ..ضد الضعف والاستسلام، وكلاهما مهلك .

المخيف أن الفكرة امتلكتني إلى أقصى مدى ، ومن تمتلكه فكرة ، فإما أن يصل لعمق مغزاها أو تدمره .

والحقيقة أن الإحباط والعجز لم يتركا لي خيارًا ، وإن لم أمتلك الشجاعة الكافية للإقدام على الأمر في حينه ، فبرغم حصولي على الكتاب الأصلي ، لم أجرؤ على الخوض في الأمر مباشرة ، لا أحد ينتقل من الثلج إلى النار دفعة واحدة ، خاصة وأن الأمر ليس ببسيط .

فلا أعرف إن كنت سأسيطر على القرين ، أم أنه هو من سيسيطر علي وعلى حياتي، وهل سينجح الأمر أم سيثبت في النهاية كونه مجرد خرافة وإدعاء من مشاهير الكتاب لإضفاء لمسه روحيه غامضة على كتاباتهم تجنبهم النقد ، ولأقضي أنا كمدًا على حلمي ومالي .

الأمر دون شك مخيف ، ويحتاج مني لصبر ومحاولات في اتجاه أخر .

لم لا أحاول الكتابة مجددًا !!.ماذا لديَّ لأخسره ؟.ربما يكون كل ما يحدث من أحداث ، هو الإلهام الحقيقي الذي أنتظره ..عليَّ أن أبدأ كتابة رواية جديدة ..و..

لم يكن الأمر سهلًا .

الإعداد لرواية جديدة ..إنه جحيم مقيم ..أن تبتكر عالم كامل ، يحيا فيه أبطال خياليين تتحكم في خيوط حياتهم ومصائرهم ..

مَن تعساء الحظ اللذين سيصبحون ضحاياك لتسلب أرواحهم وتحتجزها بين دفتي كتاب ؟.

أنا كاتب رعب لذا فالموت والدماء مفردات أساسية في كتاباتي ، فهل علي أن أصبح دمويا أكثر .

يقولون أن شخصيات الروايات شخصيات حقيقية يسكنون في بعد أخر، فقط يملك الكاتب تلك القدرة على استحضارهم ، وطمس كياناتهم ليتحولوا في النهاية إلي مجرد فكرة يتعاطاها مدمني القراءة.شيء أشبه بتناسخ الأرواح ، وهي فكرة مثيرة للهلع بالفعل .

لا يوجد بديل أخر، علي أن أكتب ..بل يجب أن أكتب .

الصفحة البيضاء الخالية من كل شيء أمامي..تستحثني كي أفتش بداخل رأسي عن أفكار..

العشرات منها هناك، الأمر ليس إذن عجز فكري ، بل هو عجز عن الكتابة والأمر في الحالتين يختلف .

هل أكتب عن الجن ككتابي السابق ، أم عن مصاصي الدماء ، أم أبتكر شخصية خيالية ذات قدرات خاصة ، ماذا عن قصص نهاية الأرض وما بعد المحرقة ، هل أكتب عن الساحرات ، أم عن غزاة الفضاء ..إن متعة الكتابة في حقل الخيال لا تنتهي فأفكاره ممتدة ومتشعبة ، ولا نهاية لها.

الحقيقة أنه لا يوجد في رأسي فكرة معينة أو ميل لاختيار موضوع محدد ، لذا سأترك الأمر ليَتِمَّ بعشوائية ..سأختار رقم أربعة من بين تلك الخيارات التي كتبتها ، فرقم أربعة هو رقم حظي واتفائل به .

نهاية الأرض .. موضوع جيد ويثير خيال القراء والكاتب معًا .

عليَّ في البداية أن أنتقي اسمًا جذابًا وفي نفس الوقت يعبر عن الفكرة.

(أحداث النهاية) ..

هذا هو العنوان الذي استقرت عليه قريحتي ، ربما لن يكن العنوان النهائي ، ولكنه موحى وجيد ..

الآن لنبدأ في خوض التجربة الحقيقية .

هل سيدور الأمر قبل الكارثة أم بعدها ،أم خلالها ؟

هل سيتحول البشر لمخلوقات وحشية ، أم سأبرز وحشية البشر أنفسهم .

هل ستكون الرواية خيال علمي أم رعب أم مزيج بينهما ..

كتبت العنوان ثم جلست أتطلع للصفحة البيضاء ، لمدة ساعة كاملة دون جدوى ..

الفراغ ولا شيء غير الفراغ .. الخواء هو السيد وهو المسيطر على عقلي.

كتبت عدة أسطر وجدتها سخيفة ثم محوتها ، فعادت الصفحة بيضاء من غير سوء ، وبدا لي أن الشاشة الخالية من الكلمات ترمقني بسخرية ، وأن مؤشر الكتابة ينبض معلنا موت مهارتي السابقة .

معاناة الكاتب أبشع أنواع المعاناة، ومن لم يعانى أثناء الكتابة ، لن يبدع أبدًا .

العُقم الفكري مؤلم بدرجة مخيفة .

وفي النهاية أمنت أن استحضار الوحي للكتابة أكثر صعوبة من استحضار القرين نفسه ، ولكني لم أيأس ، فخوفي من خوض الطريق الأخر منحني بعض الحماس .. حاولت مرة أخرى .

جربت كل وسائل الكتابة ، من الكتابة الحرة إلى العصف الذهني .

والكتابة الحرة : هي تِقَنية من تِقَنيَّات عملية التهيئة "ما قبل الكتابة"، فيها يكتب الشخص لفترة من الزمن دون الاهتمام بالإملاء أو قواعد النحو أو حتى جوهر الموضوع. وينتج عن ذلك مادة خام، أو مادة غير قابلة للتداول، لكنها تساعد الكاتب في التغلّب على اللامبالاة والنقد الذاتي ليبدأ في كتابة عمل جديد، هي على عكس العصف الذهني، إذ يتم وضع ملخص بالأفكار البسيطة. فجملة واحدة ستكون كافية لتكوين فقرة، وهكذا.

أنا أحب طريقة الكتابة الحرة ، فدائمًا ما يتكون في رأسي شبح عن الفكرة قبل أن انهمك في صنع العالم من حولها ، وكانت هذه الطريقة ناجحة جدًا لأنها كثيرًا ما كانت تفاجئني بأفكار وخيوط للقصة لم أتوقع أن تصل لها قريحتي .

ترتكز الكتابة الحرة على فكرة أن كل إنسان لديه ما يقوله ولديه القدرة على التعبير عما يجول في خاطره، لكن قد تتعطل هذه القدرة نتيجة عدم الاكتراث واللامبالاة، أو النقد الذاتي والاستياء والقلق من الالتزام بالمواعيد والخوف من الفشل أو اللوم، وغير ذلك من أشكال المقاومة.

وتُمَكِّن قواعد الكتابة الحرة المقبولة الكاتب من بناء زخم كافي لتفجير قدراته وتدفقها، وهذا هو مفهوم الكتابة الذي حدده اخصائيوا الكتابة مثل لويز دونلاب وبيتر إلبو وناتالي غولدبيرغ وغيرهم.

كما جربت طريقة الكتابة الإستهامية بعد أن أحضرت قلمي الأثير ولوح الكتابة ، وهي ليست كتابة في حد ذاتها، ولكنها وسيلة لترشيح الأفكار، و تشبه إلى حد ما الرسومات العشوائية كي أصل منها لطرف خيط ، دون جدوى ..

الكتابة تشبه المعركة تمامًا ، فمع كل سطر تكتبه أنت تتلقى هزيمة أو نصرًا مؤزرا ، وفي هذه اللحظات المضطربة ، تلقيت ألف هزيمة ، وشعرت بالضياع ، ومن فوق مكتبي تناولت الكتاب المخيف ، ودارت في عقلي الأفكار .

لقد حُسم الأمر تمامًا ..لن أعود للكتابة إلا بمعجزة !!.والمعجزة بين يدي ، ودفعت ثمنها مقدمًا وكاملًا ..معجزة لا تتجاوز الكيلو جرام في الوزن لكنها تزن الآن أطنانًا .

هل أنا خائف ؟

- بكل تأكيد .

هل سأخوض في الأمر ؟

- بكل تأكيد .

هل سأستحضر قريني ؟.

- نعم ..سأستحضره ، وأستحضر معه شغفي بالكتابة ..سأستعيد جزءًا من حياتي فقدته دون أن أعرف السبب .

كنت أتمنى لو أستخدم في استحضار القرين طريقة لا علاقة لها بالتعاويذ والسحر ، ولكن أخر طريقة جربتها كانت فاشلة ، فقد كانت تعتمد على اليوجا والتأمل والتركيز ، و لم أكن يومًا من ممارسيها ، ولم أتدرج فيها لأصل إلى تلك المرحلة المتقدمة التي تؤهلني للتحكم في قدراتي الخفية، والتي يصل معها الأمر لتحريك كوب أو ملعقة بإرادتي فقط ، أو إطلاق قدراتي العقلية للتواصل عبر الأبعاد والعوالم . والأمر بهذه الطريقة يشبه حدوث اتصال بذبذبة عقلية معينة مع الجني أو القرين ، عن طريق درجة متفوقة من التركيز والتأمل والصفاء الروحي .

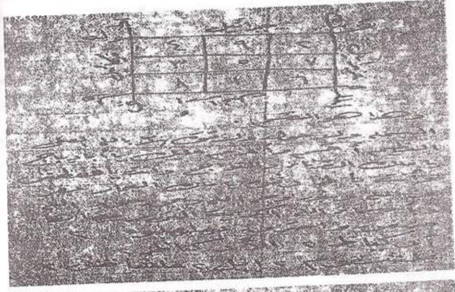
الجميع يشيرون إلى أن الموضوع يحتاج لساحر متمكن ومتمرس.

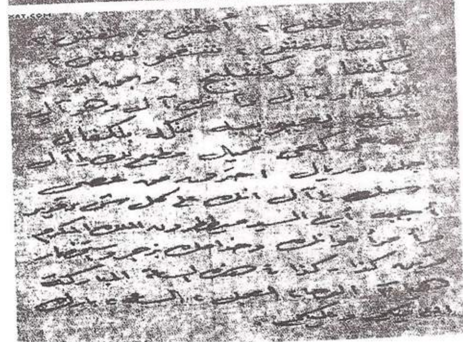
ويقول الخبراء أن هذه الطريقة يخدمها القرين بشكل أفضل، فحين الجلوس والاسترخاء يهبط القرين على الجسم ويلبسه تمامًا ويقرأ ما في العقل من أمر وينفذه بالفعل ، بل ويوجه الاتصال إلى قرين الآخر مهما كان البعد، فهو ليس بغريب عنك فهو صاحبك اللدود وكاشف أسرارك، ومن يستطيع غير القرين دخول عقل الإنسان وقراءة ما فيه. ثم إن القرين لا يسمح لأي جني بالسيطرة على صاحبه إلا بعد استئذانه وموافقته.

ولا يتم كذلك السحر للبشر إلا بعد زجر القرين وتجنيده في دائرة الساحر، فهو نفسه الخادم اللعين المراوغ المخادع الكاذب الذي يضحك على كل المعالجين حين سؤاله بعد القراءة : من أنت ؟ فإما أن يرد ويقول أنا فلان باسم مختلف، أو يقول أنا فلان بنفس اسم الشخص، فيحس المعالج أن الحالة ليس بها أي شيء ولكن له إشارات حين الكشف عليه، ولا بدَّ أن يكون المعالج اذكي منه ليحصل على إجابة مفيدة من القرين.

هناك عدة طرق لاستحضار القرين ، معظمها يحتاج إلى استخدام القرآن أو بعض النصوص الدينية الأخرى .

وهناك طريقة منتشرة على الانترنت ، قررت أن أشاركها معكم وإن لم تثبت جدواها معي ، وفيها من التجديف والكفر ما يخيف .





أن استحضار القرين صار وسيلة مُثلَى للنصب ، والابتزاز ، خاصة وأن من يخوضون هذه العوالم ، لا يفقهون فيها شيئًا، وتأكدت أنا في النهاية من المقولة التي تقول :

- ما يتم بالسحر لا يمكن إنجازه إلا بالسحر .

يحتاج الأمر في البداية إلى الكثير من البخور . والبخور الموصي به يدعى(بخور عين العفريت) ، وكذلك تحديد اسم الأم، واسم الشخص لأن القرين دائمًا من سلالة الأم ، هو شيء موجود في كل الثقافات التي تمارس فنون السحر ، فالأصل واحد والمصدر كذلك ، فقط العبث بالمخطوطات الأصلية هو ما جعل الأمر غير موثوق به .

وكذلك يجب حضور الأمر عدة أشخاص ، كتأمين إضافي ، كما أنه يجب عليك أن تطرد كل خوف من داخلك فالجن والقرناء غير مهذبين، فهناك من سيهددك بالقتل والويل والثبور وعظائم الأمور ، وهناك من سيسبك بأقذع الألفاظ ليخرجك من تركيزك وإندماجك.

لذا عليك أن تكون أكثر ثباتا ، وعليك أيضًا أن تكون قد قرأت آيات وأدعية التحصين قبلها ، وفي النهاية عليك صرف من قمت باستحضاره ، فأنت لست بالغباء الكافي ، لتتركه يذهب بك وبحياتك إلى الجحيم .

الجن مخادع وكاذب لذا يجب عليك أن تسيطر عليه بتعويذة العقاب ، والطريقة الشائعة لإتمام الأمر هي طريقة ألواح الويجا للتواصل ، أو طريقة الورق الأبيض والقلم .

الحقيقية أن كل ما سبق يحمل لمحة من الحقيقية ، الطقوس معظمها مختلفة ، ولكن أثرها واضح في طرق الجاهلين والمدعين .

***

(السحر لا يتم إلا بالسحر).

***

وإليكم شرح مستفيض عما يوجد بداخل الكتاب الأكثر شهرة في مجال السحر شمس المعارف الكبرى أو (شمس المعارف وعوارف اللطائف) لمؤلفه الإمام أحمد بن علي البوني الذي توفي في عام 622 من التقويم الهجري. وهي دراسة للكاتبان المعتمدان في موقع ما وراء الطبيعة كمال غزال وعبدالرحمن الثقفي ويقول الكاتبان :

يعتبر هذا الكتاب من وجهة نظر مؤلفه جامعًا لآثار العلوم والحكمة القديمة ومن المعارف العليا التي خص بها النخبة من المتعلمين الذين حمَّلَهُم مسئولية العمل بها وضمَّنَ في الكتاب تحذيرًا من إساءة العمل بهذه "العلوم" لما فيه من عواقب غير محمودة كما يُفهَم من مقدمته .

ومع مرور العصور أصبح هذا الكتاب مرجعًا أساسيًا لكل من يريد أن يمارس الشعوذة..وتعرف الشعوذة على أنها شكل من أشكال السحر المبني على الإستعانة بكيانات روحية ذات قدرات خارقة مزعومة وتؤثر على مسارات حياة البشر والمقصود بها مخلوقات "الجن" في هذا الكتاب.

ومنذ عدة عقود أو من ستينيات وسبعينيات القرن الماضي أحست الحكومات في الدول العربية بخطر هذا الكتاب فحظرت تداوله والعمل به .

يستخدم الكتاب معتقدات إسلامية بشكل شعوذة ونقصد من ذلك تضمين نصوص مقدسة من القرآن في هذه الممارسات . وهذا يثير مخاوف رجال الدين لأن هذه الممارسات قد تتضمن أقسامًا لأسماء أعجمية وهذا يعتبر "شركًا بالله" للإستعانة أو تمجيد كيانات غير الله.

كما يمكن أن تكون هذه الممارسات موجهة للشر أو للإضرار بالآخرين مستخدمة سور وآيات القرآن .

وشمس المعارف الكبرى هو الكتاب الأكثر تأثيرًا من نوعه في العالم العربي والإسلامي وهو يتكون من مجموعة من المربعات والأوفاق السحرية ومجموعة من الأرقام والحروف الأبجدية وعلوم الأعداد والحروف التي يعتقد بأنها تجلب تأثير سحري عن طريق استحواذ قُوَى العقل وبعض الإيحاءات التي لها تأثير على الشخص المُطَّلِع عليه والقارئ له، ولكن ذلك يحدث فقط إذا كان مؤمنًا بمدى تأثير ما جاء في هذا الكتاب عليه .

ويتكون الكتاب من بعض الأدعية والأقسام التي تكون في مجملها وسيلة للتواصل مع الملائكة والجن والأرواح ،وبعض أنواع الرياضات التي تتطلب الخلوات التي تُظْهِر بعض الكيانات التي لها تأثير فِعْلِي بحسب ما ادعاه البوني.

وعلى الرغم من محاولات المنع العديدة التي يتعرض لها هذا الكتاب إلا أن له شعبية كبيرة ولا تزال قراءته ودراسته مزدهرة حتى يومنا هذا.

ويبدأ الكاتب أحمد البوني في كتابه شمس المعارف الكبرى بالقول أنه يسأل الله الحي القيوم أن يجعل هذا الكتاب وما قدمه فيه خالصًا صدقة مقبولة بين يدي نجواه وأن يصحبه روح ارتياحه في نقله ومثواه وأن يوضح له الطريق ويمن عليه بأنوار التحقيق .

وقال في مقدمته :

" فإن للحق أعلام وللحقيقة نظام وللأرواح بالمعارف الإلهية إلحاح والوسيلة المطلوبة والقدرة على أقسامها موهوبة ، وأعلى الدرجات في عليين درجة العاملين وأعلاها منزلة الهادين المحققين ولا منزلة العالم في دين الله لا يفيد كما أنه لا وجود حياة لحقيقة نفس لا تفيد .

وأني لمّا رأيت كلام الأجلّاء ممن علت كلمتهم وانبسطت في الآفاق حكمتهم وعمت في المرايا بركتهم وقد ألفوا بالتصريف في الأسماء في توضيح ما ألفوه وذخيرة ماكنزوه فأجبته مع الإقرار بالمعجز عن منهم مدارك السلف الماضين والأئمة المحققين الهادين.

ورجوت الله أن يمدني من أرواح أرواحهم بلطائف الإسعاف فيكون النطق موافقًا للتحقيق ومفصلًا بلسان التصديق " .

وذكر أن المقصود من فصول هذا الكتاب العلم بشرف أسماء الله تعالى وما أودع الله تعالى في بحرها من أنواع الجواهر الحكيمات

واللطائف الإلهيات وكيفية التصرف بأسماء الدعوات وما تابعها من حروف السور والآيات.

ويقول أيضًا أنه جعل كتابه فصولًا ليدل كل فصل على ما اختاره وأحصاه من علوم دقيقة يتوصل بها للحضرة الربانية من غير تعب ولا إدراك مشقة وما يتوصل منها إلى رغائب الدنيا وما يرغب فيها ..

وسمى هذه الكتاب الذي وصفه بالمنتخب العديم المثل الرفيع العليم بشمس المعارف ولطائف العوارف ، لما تضمنه من لطائف التصريفات وعوارف التأثيرات .

و قد حذَّرَ البوني من التهاون في هذا الكتاب أو العمل به لمن هو غير أهله حيث قال :

" فحرام على من وقع كتابي هذا في يده أن يبديه لغير أهله أو يبوح به في غير محله فأنه مهما فعل ذلك أحرمه الله تعالى منافعه ومنعت عنه فوائده وبركته ولا تمسه إلا وأنت طاهر ولا تقر به إلا إن كنت ذاكرًا لتفوز منه بما تريد .

وأعتقد أن هذه الشروط من طهارة وذكر ، مجرد تمويه لإضفاء صفة شرعية ودينية على أمر محرم ومكروه .

تناول البوني في كتابة أسرار الأرقام والحروف ، وعلاقتها بالكواكب .

على ما ذكره البوني فإن للسحر علاقة بالكواكب حيث أن بعض السحرة وبعض الجن أو الشياطين يقومون بعبادة الكواكب والتقرب

لها مستندين على طقوس عبادة قديمة ..وهي التقرب إلى الله بالوسائط المقربة لديه عبر عبادة الروحانيات بالهياكل وهي الكواكب السبعة السيارة لأنها هي المدبرة لهذا العالم ،ويجعلون لكل كوكب ملك يسمونه الملك العلوي .

وبعد ربط بعض هذه الأسحار بالكواكب يشتد على المسحور مفعول السحر بسبب ربط قوة مفعول السحر بأيام ظهور الكوكب في السنة .

وبالتالي يكون هناك تأثير في قوة الأرواح لأنها تنتشي بظهور هذا الكوكب أي ما يسمى الإستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية كعلاقة القمر بظاهرة المد والجزر .

والإنسان بطبيعته مرتبط بكوكب الأرض وبمكونات الحياة الأربعة (التراب – الماء – الهواء – النار)، وهي التي تسمى قبضة الحياة أو عجينة الإنسان .

وفي الحديث أن أبو موسى الأشعري قال :

خسفت الشمس فقام النبي صلى الله عليه وسلم وقال:(إذا رأيتم شيئًا من ذلك فافزعوا إلى ذكر الله ودعائه واستغفاره) .

وهذا يدل على أن هناك تأثيرًا على الإنسان من قبل ظاهرتي الكسوف والخسوف المرتبطة بالكواكب .

ويقول البوني أن الأعداد لها في عالم البشر أسرار ومنافع والأعداد لها من أسرار الأقوال والحروف لها من أسرار الأفعال ، كما رتب في

الحروف أسرار النفع كالدعاء والرقي وأن الحروف لا وقت لها بحصرها وإنما هي تعمل بالرياضة والأرقام والأعداد تفعل وتعمل بالطلسمات .

وما ذكره البوني ذكره القديس أوغسطينوس خلال الفترة من 354 إلى 430 م حيث قال :

"الأرقام هي لغة الكون وهبها الخالق للبشر من أجل تأكيد الحقيقة".

ونجد بشكل مشابه في التوراة والإنجيل تحديدًا في سِفر دانيال وإنجيل الرؤيا أن هناك العديد من الأرقام الرمزية المذكورة وعلى سبيل المثال الرقم666 فهو يمثل الشر أو الوحش أو الدجال.

والعدد 3 يمثل الكمال والتمام والثالوث المقدس .

والرقم 7 في العبرية هو كلمة التمام والكمال الروحي.

و العدد 10 يرمز إلى الكمال التراتبي.

والرقم 12 للكمال في الحكم لوجود 12 شهر في السنة،و 12 سبط من أبناء يعقوب و12 رسول للمسيح الذين يقومون بالمهمة المقدسة وغير ذلك

وعلم الأرقام هو،معتقد يفسر وجود علاقة روحية بين الأعداد والكائنات الحية والجامدة ، وهو يعتبر عامل أساسي في علوم الفلك و التنجيم والكيمياء ، ومرتبط بصلة وثيقة بالغيبيات والسحر وعلم الأبراج .

فعلى سبيل المثال يذكر البوني أن حرف الدال له من الأعداد أربعة.

فمن أقام شكلًا ضرب في 4*4 ووضع فيه نسبة عددية في يوم الاثنين يوم ولد النبي محمد (ص) على حد قول الكاتب ويوم مبعثه ويوم وفاته في شرف القمر على ثلاث درج من النور ويكتبه على طهارة كاملة مع صلاة ركعتين وقراءة آية الكرسي والإخلاص100 مرةٍ في رقٍ طاهر وحمل هذا الوفق معه يسر الله عليه الحفظ والفهم ويعظم قدره عند العالم العلوي والسفلي أجمع .

وإذا حمله مسجون تخلص من سجنه ومن حمله على راية هزم به الأعداء ، ومن حمله وخاصم به أحد غلبه وقهره .

وأعداده الواقعة عليه 4*4 وشكله من ضرب 4*4 وهو العناصر الأربعة : (النار – الهواء – التراب – الماء) .والأخلاط الأربعة هي : (الصفراء – البلغم – الدم – السوداء) فهذه أربعة في أربعة .

وقد يتساءل البعض ما هي هذه العناصر الأربعة الأخرى التي ذكرها البوني والمكونة من (الصفراء والبلغم والدم والسوداء).

فهذه العناصر الأربعة واضع نظريتها هو أبقراط الملقب بأبو الطب 460 قبل الميلاد ، على أساس ملاحظاته على الدم.

ومن بعده طور هذه العملية علماء العرب حتى أصبحت كافة الأمراض في جسم الإنسان تفسر من خلال نظرية الخلل في التوازن بين الأخلاط الأربعة .

حيث أن هذه العناصر كل واحد منها له طبيعتين فالدم ساخن وجاف مثل النار ، والصفراء حارة ورطبة مثل الهواء ومسكنها المرارة ،والسوداء باردة وجافة مثل الأرض ومسكنها الطحال ، والبلغم بارد ورطب مثل الماء ومكانه الرئة . وهي بهذا مرتبطة بالعناصر الطبيعية الأخرى النار والهواء والتراب والماء وعندما تكون طبيعة هذه العناصر طبيعية من حيث الجودة والكمية يتمتع الإنسان بصحة جيدة .

ونرجع للبوني الذي يقول في كتابه بأن حرف الدال له من الأسرار السرمدية والبقاء وأن فيه فوائد وأن من كتب حرف الدال 35 مرة وكتب معه شكل المربع على جزيرة بيضاء والقمر في بيته محفوظًا من المشتري وحولها حرف الدال خمسة وثلاثين مرة ويضعها في جوف خاتم ويلبسه على طهارة كاملة وصوم وصفاء باطن أدام الله عليه الرزق والخير.

حيث أن حرف الدال ظهر في اسم الله خصوصًا الدائم وفي الودود ولم يتقدم في الدائم غير الدال .

وكان في الأسمين أحمد ومحمد ، وهو يشير إلى أن الدوام آخر المنتهى ولأنه له الديمومة أولًا وآخرًا

ومن أكثر من ذكر أسم الدائم نال جمع المقاصد عند الملوك والحكام ونال الحظ الوافر وأحبه من رآه ، على أن يكون القمر في بيت السرطان أو في بيت المشتري محفوظًا منه ويبخره برائحة طيبة .

كما ذكر البوني السبع الدراري وقال :

- جعل الله فيها سر الاهتداء (جاعل في الأرض خليفة – جاعل الملائكة رسلا) وهذه السبع الدراري مأخوذة من قوى التقطيعات الباطنية وهي لا إله إلا الله مستمدة من العلويات الأقدسيات .وأسماها السبع الدراري وأن هذه الحروف السبعة منها الحارة والرطبة والباردة واليابسة .

فالحارة سبع حروف وهي : أ هـ ط م ف ش ذ .

والرطبة سبع حروف وهي : ب و ي ن س ت ض .

الباردة سبع كذلك وهي : ح ز ك س ق ث ظ .

واليابسة سبع حروف وهي : د ح ل و خ غ ج.

وذكر أيضًا إسم الله الأعظم كوسيلة أخرى ..فإن أسماء الله عظيمة الشأن جليلة القدر ومن فهم أسرارها أمتلك من الخواص ما لم يمتلك غيره .

ونقل البوني عن الخوارزمي قوله بأنه طلب الاسم الأعظم مدة من السنين فوجده عند رجل، وكان قد جمع من هذه الأسماء أشياء كثيرة ووجدها مكتوبة عنده بقلم الحميري لكي لا يعرضها على غير أهلها.

حيث قال :

- من صام سبعة أيام وكتب هذه الأسماء في اليوم السابع في رق غزال بماء الورد وزعفران ثم دعا ملائكة الثاقوفه التي عمل فيها ذلك (والثاقوفه هي الربع من السنة) وأقسم بأسماء الرياح على ما سماها

خليل الرحمن ، ويذكر ويطلب أي حاجة له -وأن أمكن له أن يطلبها على ماء جار - هو أفضل ويعلقها في الشمس ويذكر عليها ملائكة الثاقوفه والرياح والكواكب وبعد ذلك فإن حاجته تقضى .

ويذكر البوني بأنه سأل رجل عن اسم الله الأعظم فقال له الرجل :

" إعلم بأن كل أسم من أسماء الله تعالى عظيم ".

فقلت له :

نعم ولكن قد علمت منها أسماء كثيرة ولها خواص مختلفة ، فسألني من ثاقوفة بلعام بن باعوراء وثاقوفة يوسف فأخبرته بهما ، وسألته من الأسماء التي كانت على عصا موسى فقال أعلم بأن أجل الأسماء وأعظمها التي كانت مكتوبة بالأعجمية وبعضها بالعبرانية لئلا يعرفها أحد وكان عيسى عليه السلام يحيي بها الموتى ويبري الأكمه والأبرص. وهي مكتوبة في السماء الدنيا.

وقد اتفق أهل العلم على تفسيرها بذلك ، وهو الذي قاله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب : " من لازم على ذكرها خرق الله له العادات وأدركته المطالب فإياك والإستهانة بها واجعلها من أكبر همتك واجعلها وردك ليلًا ونهارًا تَرْقَ مراتب الأولياء "

كما أتى على ذكر ملوك الجان السبعة :

فملوك الجن العلويين عددهم سبعة وليس بالضرورة أن يكون تشابه بعض أسمائهم مع أسماء كبار الملائكة المعروفين بأنهم الملائكة، ولكن أكثر أسمائهم عبارة عن ألقاب وليست أسمائهم الحقيقية وهم :

1- روقيائيل هو حاكم فلك الشمس الموكل بسيرها،وهو صاحب يوم الأحد .

2- جبرائيل هو حاكم فلك القمر والموكل به، وصاحب يوم الاثنين .

3- سمسمائيل حاكم فلك المريخ، وصاحب يوم الثلاثاء .

4- ميكائيل حاكم فلك عطارد ، وصاحب يوم الأربعاء.

5- صرفيائيل حاكم فلك المشتري ، وصاحب يوم الخميس.

6- عنيائيل حاكم فلك الزهرة، وصاحب يوم الجمعة .

7- كسفيائيل حاكم كوكب زحل، وصاحب يوم السبت.

ولهؤلاء الملوك وزراء ، ومن يعمل لخدمتهم في الأرض وفي العالم السفلي، وكل ملك علوي له خادم أرضي وهم على ما يلي :

1- المذهب وهو خادم الملك روقيائيل .

2- مرّه وهو يعمل لخدمة جبرائيل .

3- الأحمر وهو يعمل لخدمة الملك سمسمائيل .

4- برقان وهو يعمل لخدمة الملك ميكائيل .

5- شمهورش وهويعمل لخدمة الملك صرفيائيل .

6- زوبعة وهو يعمل لخدمة الملك عنيائيل.

7- ميمون أبانوخ وهو يعمل لخدمة الملك كسفيائيل .

ولكل من هؤلاء آلاف الجن من الملوك والخدم الآخرين الذين يعملون لخدمتهم في الأرض ومن أشهرهم :

1- الملك زنقط ويحضر على هيئة قط أو نمر .

2-القط الأسود الكبير : اسمه (ظام) وهو عون شديد من أعوان الملك ميمون ابانوخ .ويقول أنه كان من المتمردين العصاة في عهد النبي سليمان.

3- مازر .

4- كمطم .

5- قسورة .

6- طيكل .

7- صلهوب.

8- الأسد الغضوب : يستخدمه السحرة في الربط والبغضاء والطلاق والخناق بين الزوج وزوجته.

9- عزازير : يحضر في الخلاء ويتطلب النجاسة ويحضر على هيئة فيل ويطلب من الإنسان أن يسجد له وبعد ذلك يلبي شروطه .

10- زيتون : وهو يحضر في الخلاء على هيئة قط أسود. وتأخذه وتهمس في أذنه بما تريده أن يفعله بعد شروط معينه فيفعل .

11- ساروخ : وهذا الخادم لا بد عند تحضيره أن يكون الإنسان عريان ويقرأ عزيمته فيحضر ويلبى له ما يريد

12- دنهش : وهو قوي جداً أسود اللون، وهو يحضر على هيئة شخص يلبس عمامة حمراء ويحمل في يده اليسرى صليب معقوف .

13- ذات المحاسن : وهي خادمة أنثى تحضر في المقابر ، ولابد لمن كان له حاجة أن يعاشرها جنسيًا بحسب ما قال فتفعل ما يريد بعد شروط معينة .

14- عائنة : يكتب من له حاجة كتابًا على كفه ويأتي بالعزائم والأقسام ، وبعد ذلك ينام فتاتيه توقظه من منامه فيطلب منها ما يريد .

15- نائلة ذات الشعور المائلة : سميت بذات الشعور المائلة لأن شعرها طويل جدًا يغطيها من رأسها إلى أقدامها .

16- ناصور : مارد من أقذر الشياطين وأقواهم على الإطلاق وقليل من يحضرونه لأن بطشه شديد بمن يحضره أو بمن يتوكل به.

17- سنجاب : هو شيطان يحضر في الخلاء وله أكثر من ذراع وكل ذراع بلون مختلف، ويطلب منه العهد على حسب ما يريد من أنواع الشر وهو يستخدم في الطلاق والرباط والخلافات وغيره .

وقد ذكر البوني في كتابة شمس المعارف أسماء الملوك الذين يدبرون الزمان فسماهم وقال:

- إن صاحب الشرق أسمه دنيائيل، وصاحب الغرب أسمه درديائيل، وصاحب الشمال أسمه أشيائيل ، وصاحب الجنوب أسمه حزقيائيل .

فصاحب الشرق لفصل الصيف وصاحب الغرب لفصل الشتاء وصاحب الشرق لفصل الربيع ، وصاحب الجنوب لفصل الخريف .

وأعوان صاحب الشرق : جهائيل – حمرائيل – سمعائيل .

أعوان صاحب الغرب : حبرقيل – مصمائيل – سرعائيل .

أعوان صاحب الشمال : فرعربائيل – طائيل .

أعوان صاحب الجنوب : سبائيل – مرحيائيل – حمرميكاكيائيل .

ويقول بأنه:

- " إذا أردت أن تجمع تلك الدعوات والأسماء فالعق العسل ولا تسأل عن الشهد فإذا كنت في فصل الربيع وأردت صاحبه فادع وقل : بسم الله الرحمن الرحيم أقسمت عليك يا اشيائيل وأعوانك فرعيائيل وطائيل والرياح وماسول ومبسور وسما وطش وعلى الشمس والقمر

وما حفت باسم الله وباسمه الشديد رب الآخرة والأولى لا غاية ولا منتهى له في السماوات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى الله الأعظم قاهر الأعداء ودائم النعماء باسمك الأعظم الذي فضلته على جميع أسمائك أن تسخر لي صاحب الدعوة وصاحب الثاقوفة والنواحي الأربعة يكونون عونًا لي في قضاء حاجتي ، أجيبوا يا معشر الأرواح واقضوا حاجتي بحق من له العزة والجبروت.. الخ " .

وهكذا إذا كنت في فصل الخريف أو الشتاء أو الصيف تدعوا صاحبه.

ولم يتوقف البوني هنا بل وذكر العفاريت الأربعة :

يقول البوني من أراد استحضارهم لقضاء حاجته فعليه أن يقول :

- " اللهم أني أسألك بهذه الأرواح الروحانية الكرام أن تسخر لي العفاريت الأربعة بقدرتك وجلالك لهشطش مشهش قطوش كهيوش كشكش ليوش تشخشلوط جحج جحج أجيبوا وتوكلوا وافعلوا .

كما أنه ذكر طرق للحصول على دينار ذهبي يومي ، وعزيمة الحروف لقضاء الحاجات وهي أن تقول :

- " باسم الله القدوس الطاهر العلي سلخع القاهر رب شيشلخ شلشلعطا جرب رب الدهور الداهرة والزمان مدذر الأوقات والزمان الذي لا يزول ملكه ولا يزول صاحب العز الشامخ والجلال الباذخ وبأسمائه دعوتكم يا ذوي الأرواح الروحانية المنقسمين على طبائع هذه الحرف أن تتوكلوا بما أمرتكم من جلب 52 بن 53 إلى 52 بن 53

بحق هذه الأسماء النورانية يظهر طهطف هليشقطهوه هلشقطبور بحق طهيوب هين لجشطف أبنار كلشي لأسمه فأجاب كل حي لدعوته طرفقش هشراط وبطش غالب كل شي هلناليع أسلموتخوعطشوهش شهعيع شعوص اشطعطيح أنت ينبوع حياة كل شي وروح محشعطلياف فأني اسمع أسمك وروح الأصعق واخترق لشمغلانيخ حيطهطه احطمطيه . أجيبوا أيها الأرواح الكريمة خدام هذه الحروف العظيمة بحق ما أقسمت عليكم توكلوا يا طوتيسائيل وأنت عسلمائيل وأنت يا طفيائيل وأنت يا عصمائيل بتسخير خدام هذه الحروف الكريمة يقضوا حوائجي وأن يحضروا لي مطلوبي مما سميته لكم في هذه الدائرة من 52 بن فلانة أينما تكونوا يأتي بكم جميعًا هيا هيا ألوحا ألوحا عجلوا الساعة بحق ما أتلوه عليكم من هذه الأسماء الشريفة المباركة المنيعة وبحق ما تلوته عليكم .

كما ذكر أيضا عزائم أسرار الحروف والموازين وأسرار الكلمات المقدسة ، وقصة جبل قاف .

والبعض يعتقد أن الله قد أقسم به في سورة قاف حين قال :

- ق والقرآن المجيد .وقد اختلف في حقيقة جبل قاف فالبعض قال أنه جبل محيط بالعالم السفلي يرفع سقف سماء كل جوف في الأرض إلى سماء جوف الأرض السابعة.

والبعض قال أنها سلسلة جبال على سطح الأرض ، وقد ذكره ابن عباس حيث قال :

- خلق الله جبلًا يقال له قاف محيطًا بالعالم السفلي، وعروقه متصلة بالصخرة التي عليها الأرض، وهي الصخرة التي ذكرها لقمان.. فإذا أراد الله أن يزلزل قرية في الأرض أمر ذلك الجبل أن يحرك العرق الذي يلي تلك القرية فتزلزل في الوقت .

ذكر القزويني في كتابه عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات في فصل فوائد الجبال وخواصها وعجائبها:أن جبل قاف جبل محيط بالدنيا من زبرجده خضراء تأتي منه خضرة السماوات، ووراءه عالم وخلائق لا يعلمهم إلا الله تعالى .

ثم ذكر قضاء الحاجات وصورة الإخلاص :

يقول البوني :

- "إذا أردت قراءة هذه السورة الشريفة تطهر ثيابك وبدنك ومكانك ثم تصوم ثلاثة أيام عن كل ذي روح وما خرج من روح ويكون ابتداء عملك نهار الثلاثاء فإذا كان ليلة الجمعة تقرأ السورة 1000 مرة وتقرأ هذا الدعاء 40 مرة فإذا تمت قراءتك يدخل عليك خادم السورة فلا تخف منه ثم يسلم عليك فرد عليه السلام وعظِّمه فأنه ملك جليل القدر والشأن ويفعل لك ما تريد ، فاطلب منه حاجتك وما تريد منه فأنه يقضيها لك واطلب منه خادمًا من خدامه يكون لك ممتثلًا لأمرك طائعًا في كل ما تصرفه وخذ منه على ذلك إشارة ، فإذا أردت قضاء حاجة فاقرأ السورة واذكر أسمه فإنه يحضر بين يديك فاتصرفه بما تحب وتريد والبخور لبان وجاوي.

في موضوع العلاقات والحب يشدد الكاتب على الخلوة بالنفس كثيرًا لاستحضار الأرواح يزعم انها تربط المحبة بين طرفين ومن ضمن الطرق والوسائل يقول :

" تكتب في يوم الأربعاء بماء الحبق النهري القرنفلي والزعفران وماء الورد الطيب في أوراق القصب مع أسم من أردت ولا تطلع سرك لأحد وتقول :

- " بحق القلم واللوح أوصل كذا إلى كذا وأوصل المودة بينهما بهلطيف سليطيع أسماطون أطوان هكش يوقش هبروش بهليور الأركياظ مبورش باروش الشقوم مهرانش بشلحط فقوس يلعشاقوم علشاقيش مهراقش ، أجيبوا أيتها الأرواح العظام بالأسم المخزون المكنون . أجب يا سام يا ميمون ..." .

وبعد ذلك تبخر بلبان ذكر وليكن غذاؤك أيام الخلوة الخبز والزيت والزبيب ومدة الخلوة 7 أيام في مكان خالٍ من الناس في معتكف صالح ولا تطلع سرك لأحد وتكتب الخاتم ".

ويزعم أن آية الكرسي لها من المحبة والقبول والجاه عند الأكابر فيقول :

- " إذا أردت أن يكون لك ذلك فارسم هذا الوفق في رق غزال واكتبه بماء الورد والزعفران، وتكتب حول الوفق آية الكرسي، وعندما تحمله تبخر بعود هندي وجاوي وعود الصليب .

ويقول البوني أيضًا في الحب :

- " إذا أردت أن يحبك إنسان وتثبت محبتك في قلبه إلى الممات ولا يتغير أبدًا فاكتب هذه الأسماء في سبع بيضات وتكتب معها اسمك واسم أمك واسم المطلوب وأمه، وتحرق كل يوم بيضة وتكون الكتابة بقلم ريحان ، ويكون المداد معه شيءٌ من المسك فإنك ترى العجب من إلقاء المحبة والمودة على أن يكون ابتداء العمل يوم الأحد ".

وذكر البوني طرقاً تؤدي بحسب زعمه إلى شفاء المرضى ، كما تَطَرَّقَ إلى عقد اللسان ، وإبطال النوم، وإحضار الغائب.

وفي إحضار الغائب ذكر البوني ما أسماها "دائرة الأنوار" ومن الجدير بالذكر أن كتبًا عدة حول الشعوذة قديمًا وحديثًا ذكرت هذه الدائرة حيث تعد من طرق السحر الأسود و كتب فيها :

- " وهي سر عجيب فانظر عليها بعين البصيرة . فإذا أردت إحضار شيئًا منها إلى منزلك، فارسم هذه الدائرة على ورقة وارسم فيها المطلوب وارسم فيها اسم أمه في الدائرة الصغيرة .ومن حولها اكتب الحروف الأبجدية ثم تحمل الورقة في حائط شرقي، ثم دق في حرف الألف بمسمار نظيف من حديد واتل العزيمة سبع مرات وأنت تبخر بلبان ذكر وزعفران ولبان جاوي .

فإن أبطأ عليك المطلوب فانقر المسمار على حرف الباء . ولم تزل تنتقل من حرف إلى حرف وأنت تبخر وتعزم حتى يحضر لك المطلوب

عند حرف من تلك الحروف الذي أحضره خادمه فتدعوه بذلك الحرف في كل وقت أردت إحضاره إليك .

فإذا كان المطلوب مسافرًا، فسمر في كل حرف مسمارًا لطيفًا، واقرأ العزيمة سبع مرات وعد مسافة الطريق فإنه يحضر .

واعلم أن هذه الدائرة لا تحتاج إلى وقت أو إلى ساعة فدع مرادك في القلب وقل بعد العزيمة في كل مره يا ملك يا قديم 260 مرة يحصل لك مرادك وهذهِ صفة الدائرة ".

وعن جمع الوحوش والهوام ، كتب البوني :

- " تذهب للبرية وتعمل حولك دائرة وتجلس فيها وترمي بين يديك حول الدائرة من الخارج شيئًا من الرماد، وتتكلم بالكلام آه آه ايه ايه ابدأ الوحا العجل الساعة ، وتكتب الأسماء بورقة وعلِّقها على غصن رمان، فإن جميع ما في البرية من الوحوش والهوام تحضر عندك ولا يضرونك ، وخذ منهم ما شئت وأترك منهم ما شئت ، وتصرفهم باقتلاع الورقة من الغصن ".

وعن السر الشعبي طاقية الإخفاء قال :

تأتي بعد تدريب طويل ولها شروطها الخاصة ، ومن ضمنها يقول البوني تأخذ جلد ظبي تجعل منه طاقية وتكتب عليها بشئ من المداد العزيمة التالية :

- " واه 2 هداه 2 هيوه 2 لهلد 2 لهلوه 2 هلولياه 2 يوش 2 وش 2 الواش 2 ابوش 2 الوش 2 شلش 2 شالش 2 ايش 2 اهدان 2 اوطف 2 لطعلف 2 لوطياف 2 طايف 2 أجيبوا يا خدام هذه الأسماء وأخفوني عن الأبصار بحق الله الواحد القهار ألوحا 2 فإنه يكون ذلك في أسرع وقت ، فافهم ترشد ".

ثم تلبسها على رأسك ، وتدعو بهذا الدعاء :

- " اللهم أني أسألك باسمك القديم يا دائم يا أبد يا واحد يا أحد يا فرد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، يا رب الأرباب يا عزيز يا وهاب باحتياط قاف بِهَولِ يوم المخاف أسألك أن تسخر لي واحدًا من خدام أسمك يخدمني فيما أريد إنك على كل شي قدير ".

ثم ترمي أمامك شيئًا من الرماد ، وثم تقرأ عشر مرات إلى أن يختفي ظلك وأنت واقف في الشمس ، وإذا مر عليك أحد من الجن والأنس فإنك تراه ولا يراك، وكذلك الوحوش تمر عليها ولا تراك ولا تسمع حسك في المشي ".وهذا ما تكتب على الطاقية بالمداد المذكور ..

وعن الحماية من اللصوص وقطاع الطرق ، ذكر الكاتب أن هنالك أسماء كانت موجودة على عصا موسى وبها كان يفعل الغرائب فإذا كتبت هذه الأسماء في شرف الشمس أو شرف المشترى بماء النهر وماء البئروماء الورد والزعفران في رق غزال وتقوم بالتبخير وقت الكتابة وتجوف به العصا وتجعل الأسماء فيها .

فيقول أن من فوائدها أنه إذا كنت في مكان مخيف وظهر عليك اللصوص وقطاع الطريق أو ظهر عليك من الوحوش الضارية المؤذية فاضرب بالعصا على الأرض ثلاث مرات وقل :

- " اللهم أني أسألك بركة هذه الأسماء العظيمة التي كانت على عصا موسى بن عمران وضرب بها البحر فانفلق وكان كل فرق كالطود العظيم "

وتقول في أثناء كلامك :

- " وقفوهم أنهم مسؤولون" .

إنتهيت من قراءة مادون عن الكتاب الشائع، والذي لم يثبت تأثيره حتى الآن إلا في حوادث متفرقة لم يمكن توثيقها بجدية، وقمت بتدوين بعض الملاحظات ، وأحسست بثقل كبير في روحي ، وكأن هناك من يجثم فوق صدري ، فيصعب على التنفس ..

إن الإيحاء مع هذه الكتب مخيف جدًا ..

لذلك النصيحة الدائمة ، سواء ثبتت صحة هذه الكتب من عدمها ، ألا تعبث بها وبتمائمها وعزائمها ، لأن حدوث بعض الأشياء يتوقف على الإيمان بها ، والإيمان قد يضعفك فتكون لقمة سائغة لقرينك أو جن عاق ، أو يقويك فيمنع عنك أذى حقيقي ومحقق ..

بالطبع لم يكن الكتاب الذي سأستخدمه في استحضار القرين ، هو كتاب شمس المعارف المتداول ، والذي ذكرت منه مقتطفات وتمائم في

حديثي السابق. بل كان كتابًا أخر يختلف عنه كثيرًا . وإن كان التشابه بينه وبين الكتب المتداولة مخيف .إن كتاب شمس المعارف الأصلي لعنة حقيقية ، كتاب سحر أسود خالص . لذلك فإنه كان يستحق ثمنه ..

الكتاب أمامي ، والطريقة واضحة ، والعبارات والأرقام والتمائم جاهزة ، علي فقط أن أحدد لحظة البدء .

قلبي يخفق بعنف ، والتنفس أصبح عسيرًا ، وبرغم ذلك أحتاج في أقرب وقت للفافة تبغ .

البرودة تغتال عظامي ، صوت المطر في الخارج يصنع خلفية مروعة ،البرق والرعد يشيان بليلة كئيبة ، والريح تعوي خلف النافذة ، وكأنه صوت الطبيعة الأم يحذرني من الخوض في الأمر وفتح أبواب الجحيم .

والآن ليبدأ الجنون .

ما أعرفه أن طريقة استحضار القرين أو الجن بأنواعه . هي طريقة واحدة لا اجتهاد فيها . والمخيف أن علي أن أقوم بها الآن .

وقد حان الوقت..كيف عرفت؟! هو مجرد شعور. لقد حان الوقت وكفى !!. كل قاتل يعرف هذه اللحظة ، الآن تضغط الزناد . أنت تنفذ مشيئة عليا أكبر منك بكل ما بداخلك من رغبة وإرادة .

ومن الدولاب أخرجت كل ما يتطلبه الأمر:

- الشموع السوداء ،الطبشور ، أعشاب التحصين ، التمائم ، والكتاب الذي أصبح له رهبة وثقل ملحوظان .

القمر خلف الغيوم بدرًا ، وهو التوقيت المناسب والموصي به لإتمام التعويذة ، التوقيت المناسب هو سر اللعبة ، وسر نجاحها ، وهذا ما يفتقد له من يمارسون فنون السحر عن جهل أو عن رغبة في التجريب ، فلا يصلون لهدفهم وربما أصابهم مس أو أذى .

في البداية أخليت الغرفة من تلك السجادة القديمة التي كانت تحتجز تحتها الأتربة والرطوبة ، وقمت بتنظيف الأرضية باستخدام المكنسة، ثم قمت برسم دائرة في منتصف الغرفة بالطبشور الأبيض، وبعدها أخذت سبعة من الشموع السوداء ووضعتهم على مسافات متساوية على محيط الدائرة ، وخارج الدائرة قمت برسم طلاسم التحصين بنفس عدد الشموع ، ووزعتها بنفس الترتيب .

وزيادة في الحرص كما يخبرني الكتاب ، قمت برسم دائرة خارجية، أكبر في الحجم وجعلت فيها ، حزماً من أعشاب التحصين الممزوجة مع بعضها ، على شكل ضفيرة وهي الحرمل و الفيجل و حبة البركة، وهي مجموعة من الأعشاب القادرة على إيذاء الجن .

الأن انتهت كل الإعدادات كما ذكر في الكتاب المخيف، الذي أشعر به أمامي حيًا وينبض ، لتأتي المرحلة الثانية، والتي تعتمد كليًا على ثباتي وهدوئي ورباطة جأشي ، والتي لا يبدو وأنها ستنجح مع كل هذا التوتر الذي يسحق أعصابي .

بالطبع لن أستعين بأخرين كي ينقذوني عند تطور الأمر أو تدهوره ، لن يكون هناك شاهد يبتزني أو يثرثر فيما بعد ..أنا وحدي من سيحقق حلمي ، ومن سيتحمل تبعات هذه التجربة المرعبة ، وسأستحضر القرين .

لا أعرف لماذا تذكرت ذلك الجزء من الحديث الذي تم نشره كملحق بعد الدراسة الخاصة بشمس المعارف، خاصة عندما سأل رامي الثقفي عن حقيقة كتاب شمس المعارف :

رامي الثقفي : " ماذا تعرف حقيقة عن كتاب شمس المعارف؟! ".

أبو مصعب : " إنه كتاب سحري أملاه جني ساحر على مشعوذ ، وإذا قرأ المطلع عليه بتمعن مع تطبيق ما فيه سوف تحضر له الجان وسوف يخبر عليه القرين ".

- رامي الثقفي : "وضح أكثر"

- أبو مصعب : "القرين يجهر بما يقرأه الإنسي سرًا فيتم الحضور فهمت ؟ "

- رامي الثقفي : "ولكن الكتاب يذكر معلومات علمية وفلكية وحركات سير الكواكب والأرض المستديرة وجبل قاف "

- أبو مصعب : " النبي كان يتعوذ من علم لا ينفع .. والسحر فن وعلم .. وهو علم .. لكنه ضار .. لأنه قال وما هم بضارين به .. وأحيانًا يكون مع الكتاب رصد أي حراس .

طردت هذه الأفكار من عقلي ، فأنا أعرف ما أنا مقبل عليه جيدًا ..وأعرف الثمن الذي سأدفعه ، وأعرف أن القرين مخادع ، وأن الضرر قد وقع بالفعل عندما تهشمت أحلامي لأصبح كاتب حقيقي .

لقد خسرت كل شيء ، ولم يعد لدي ما أندم عليه إذا خسرته ..فها أنا ذا أتقدم بخطوات مرتعشة صوب مركز الدائرة ، وكأنني بصدد الدخول لغرفة الإعدام .. أقف في وسطها مرتجفًا متوترًا ..

الأرض الباردة تجمد باطن قدماي وتبعثان بقشعريرة باردة في جسدي ، أحاول التماسك وعزل شعوري الداخلي عن المؤثرات الخارجية، فأنا لا أرغب في إفساد التجربة بسبب مشاعر غير مسيطر عليها .

فمن أجل أن يبدأ الأمر يجب أن أكون في قمة هدوئي وثباتي ، بل ويجب أن أؤمن بأن الدائرة من حولي تحميني وتعزلني عن بقية المنزل، وهذا أمر أساسي، فالثبات والايمان نصف مقومات نجاح العزيمة .

الأن وقد سيطرت على نفسي وجسدي ببعض تمارين الاسترخاء والتنفس ، قمت بإخراج ولاعتي و أشعلت الشموع ، ليعبق المكان رائحة محببة، وإن لم يمنحه الدفء المطلوب.

الأن أجثو على قدماي ثم أتمدد لينتفض جسدي للحظة مع ملمس الأرضية الباردة ، ألم أخبركم أني عاري تماما ..

لم أخبركم ..أنتم تعرفون الأن.

يتمدد جسدي في وضع النجمة الشهير، ذراعان ممدودتان بشكل مستقيم ، وساقان متباعدتان .

أخذ شهيق عميق وأخرجه قبل أن أبدأ في ترديد عزيمة الاستدعاء ، وهي تشبه إلى حد كبير التعويذة السابقة وخاصة في أسماء ملوك الجن .

أردد التعويذة ثلاثة عشر مرة .

أرددها وجسدي يرتجف .

أرددها وقلبي ينقبض ، وأطرافي تتصلب .

أرددها بكل قوة ، والدموع تغرق وجهي .

وفي اللحظة التي شعرت فيها بروحي تزهق ، حمدت الله في سري أن الطقوس لا تحتاج إلى إهراق الدماء ، ولم ترتبط بالكواكب بل بالقمر، فكما أعلم أن زحل يريد النجاسة عند عمله ، والمشترى يريد الطهارة والصوم، والمريخ يحتاج إلى إهراق الدماء .

ويقول بن عربي في تأثير الكواكب في الإنسان : أودع الله في هذه الكواكب التي في الأفلاك علوم ما يكون .

وفور انتهاء المرة الثالثة عشر ، اجتاحت المكان ريح حارة مع رائحة منفِّرة . وفي اللحظة التالية ، شعرت به هناك ..

بالجسد بأعماقي كشعورٍ كريهٍ ممض، يلهب عقلي وجسدي بصهد ناري محرق..كل سوائل جسدي أشعر بها تغلي ، شعر جسدي كله منتصب ، وروحي وكأنها تسيل وتنصهر ..

كنت أراه بكل كياني ، وأستشعره يعبث في كل خلية من جسدي ، وأسمع وسوساته فتضيق روحي ويغتالني البرد .

صرخت من الألم ومن الخوف ، ثم شعرت بجسدي يتحول لهلام ، وعندما تجسد أمامي ككارثة واقعة ، ووقع بصري عليه ، شعرت بصاعقة مؤلمة تضرب جسدي ، وخانتني قدماي وأتت رحمة الله ففقدت الوعي .

وعندما فتحت عيناي كنت بروحي هناك، في عالم لا مثيل له ، وربما لن يوجد مرة ثانية على هذه الأرض .

السواد المشع له ألف درجة ، حتى أن الرؤية ممكنة هناك ، ولكنها كالرؤية من خلف حجاب شفاف ، حتى لتشك في كونك مبصر من الأصل .

للصمت هناك صخب مروع، حتى أن قلبي يكاد من قوته أن ينخلع .

كل المشاعر السلبية تتضاعف ، وكل مخاوفي القديمة تتجسد أمامي ، حتى أني أتذكر في وقت واحد كل أخطائي وذنوبي، فتحترق روحي .

هل أنا بمثل هذا السوء ؟!.

بالطبع لم يكن الوقت مناسبًا للبحث عن إجابة معروفة .

أنا الآن في حضرة القرين ..

وفي عالم الأثير ، بطريقة مذهلة لم يذكرها الكتاب ، ربما لأن صاحبه أمتلك العلم ، ولم يمتلك الخبرة أو التجربة ، التقيت بقريني وليتني مِتُّ قبلها .

يا للبشاعة ، إنه كتلة من الشر المجسم والقبح ، لو أن هذا قريني فأنا بالفعل شيطان رجيم .

وجه مشوه شبه محترق قليل الشعر، له قرنان كورَمانِ ناتئنان من الرأس ، عينان مروِّعَتان مشقوقتان طوليًا ، ذيل قصير مشقوق يتحرك كأفعى تستعد للفتك بي .

لا أدري بأي لغة دار الحوار، ولكنها كانت لغة تشبه صوت صخب المعارك القديمة وقصف الرعد ، لغة تمنيت الصمم قبل أن أصغي لها .

كان القرين هو المتحكم ..وكان حديثه كحديث السيد للعبد.

عرفت من الأسرار، ما تمنيت لو أنني لم أدركه ، وتعلمت منه كيف أتحكم بالكلمات،و....

عقدنا صفقتنا السوداء بسيطة الشروط ، شنيعة الشروط ..المجد والشهرة ، مقابل الموت والدماء ،والعقاب للمقصر .

فهذه الصفقة لن تنتهي إلا بموت أحد أطرافها ، والويل كل الويل لمن يخلف وعده .

وحتى هذه اللحظة لم يخلف أحدنا وعده .

وان وعدني وعدا إضافيًا، أن أعاني في كل مرة أنتهي فيها من كتابة عمل جديد ، أو أبدئه.

الأمر لم يكن بالسهولة المرجوة ، ولم أتوقع أن يكون بسيطًا على كل حال، وكان عليَّ في النهاية أن أدفع الثمن .و على الآخرين أيضًا .

أنا الآن في طريقي لأصبح كاتبًا شهيرًا، والمفاجأة أنني سأصبح قاتلًا أخر ، إنه الثمن ، وكان فادحًا ، ولكن بعد كل ما مررت به ، أصبح كل شيء مقبولًا وربما ثمنًا عادلًا أيضًا .

وفي لحظة ما شعرت بكياني يعود لي مع ألم مباغت . ففتحت عيني . لينتفض جسدي من برودة المكان ، وبرودة الخوف ..

شعرت بطاقة مخيفة بداخل جسدي تسري ، وحضور طاغي أنساني البرد والخوف ، وجعلني أمتزج معه لأدخل إلى عالم لا مثيل له برغم يقظتي .

وعندما سمعت الصوت القاصف لأول مرة ، شعرت بقلبي ينتفض ، وزاغ بصري عندما تألق المكان كله بضوء أزرق بارد .

وفي منتصف الغرفة ،ومن العدم تجسدت أمامي تلك الآلة الكاتبة السوداء الخالية من الحروف ، وبدأ الصوت يمليني ما علي فعله .

وعندما استسلمت يومها للنوم .

كنت أعرف أن ناجي إمام قد ذهب بلا عودة ..

ولم أنتظر عودته .

أن تكتب

تقول الكاتبة الحزينة دائمًا رضوى عاشور :

- أكتب لأني أحب الكتابة و أحب الكتابة لأن الحياة تستوقفني، تدهشني، تشغلني، تستوعبني، تربكني، وتخيفني، وأنا مولعة بها.

أما أنا فأضيف عليها أنني أكتب لأنني دفعت الثمن كاملًا .

فمنذ حل القرين بداخلي ، وقد تغيرت أشياء كثيرة في شخصيتي، بل وفي حياتي كلها .

أصبحت أحمل حزنًا خفيًا، وهمومًا كثيرة لا مبرر لها إلا إرادة الشقاء،بل وفقدت أهم صفه منحها الخالق للبشر .. وهي الحرية ..

أنا الآن أسير طموحي ورغبتي في أن أصير كاتبًا شهيرًا يُشار إليه بالبنان ، وأسير القرين الذي لن يجد أهش مني ليستعبده ..

لقد عقدت الصفقة السوداء ، وتناولت العشاء مع الشيطان بيدي لا بملعقة طويلة كما ينصحون في المواقف المماثلة، بل وبدأت سلسلة رهيبة من التنازلات: لا يمكن لعاقل أن يدفعه أي شيء لتقديمها؛ لكائن مماثل مهما كان طموحه ومطلبه، وعلي الآن أن أدفع نصيبي منها و بالدماء .

الأمر حقير ومفزع . ولكنه مقبول الآن ..

ألم أخبركم أنني تغيرت كثيرًا،لقد تغيرت بطريقة تفزعني أنا شخصيًا، حتى أني لم أعد أذكر شخصيتي الحقيقية التي طُمِسَت وتشوهت وسكن بداخلها العفن .

إني لم أؤدِ أيًا من شعائري الدينية منذ عبرت بقدمي إلى هذا الجحيم .. أصبحت أخشى أن أذكر إسم الله كي لا أدنسه .. أصبحت أخجل من أن أطلب مساعدته ..لم تعد يداى تتوجهان للأعلى للتضرع والدعاء ، بل سحبتني معها لأسفل سافلين ..

أنا على حافة الهاوية ، وعلي أن أنتقل لمرحلة جديدة من الحقارة ، علي الآن أن أختار ضحيتي الأولى ، وأن تتخضب كفاي بالدماء .. والحقيقة أنني لم أكن أظن أن الأمر بهذه الصعوبة .

عندما شاهدت الكوميكس الياباني الأجندة السوداء ، ورأيت البطل يحاول تغيير العالم بقتل من يظن أنهم الأشرار ، بمجرد كتابة أسمائهم في تلك الأجندة التي تخص ملك الموت ، كنت متحمسًا جدا للفكرة ..

أن تكتب أسم شخص شرير فيموت دون أن تخترق هالته البشرية والانسانية ، التي ستجبرك على منحه بعض الوقت أو فرصة ثانية ، إنها العدالة الناجزة ، ولكني لم أكن منتبهًا لفداحة الأمر ساعتها.

الموت والحياة مشيئة الخالق عز وجل، يحدثان لتتم حكمته،فأي فكرة في أن تلعب دور الخالق بكل حماقتك ونظرتك القاصرة .

أي طموح هذا الذي يدفعك إلى الغرور وتحطيم قوانين الكون، بل كيف لبَشري أن يفكر مثلما فكرت ، اللعنة لقد سبق السيف العزل ،والتراجع يحتاج نفس إرادة وشجاعة الإقدام .

تُرى لو أتت لك القدرة على قتل كل من تكرههم فمن ستختار أولا ، وهل تصل عمق كراهيتك للقتل ؟.

الأمر صعب جدًا ، ومخيف أيضًا .

ولكن التراجع لم يعد خياراً متاحا ..فالتراجع يعني الموت، والموت الآن دون أن أحقق هدفي أبشع من أي عقاب أخر..

موسيقى الفزع والتوتر تقرع أعمدة قلبي .

الآلة الكاتبة السوداء الخالية من الحروف أمامي .

الأفكار تموج بعقلي، كسرب من الذئاب أصابه الجنون، فطفق يلتهم بعضه..

الصخب بداخل روحي وصل لعنان السماء، ولابد وأنه اقترب من ثقب أسود لأنه تلاشى بعد فترة ، وغمر الصمت المشبع برائحة الموت كل شيء .

الآن علي أن أكتب، لأنني لو لم أكتب سأفقد شخصًا أحبه، مقابل عدم قتلي لشخص أكرهه ، هذا هو الإتفاق والعهد الذي لا يمكن نقضه . وبداخل عقلي طفت الأسماء ، كطيور تنتظر غدر الصياد بها :

أبي فقدته منذ خمس سنوات، وأمي لحقت به بعدها بعامين ، هل ستكون أختي التي تزوجت في العريش ، أم أخي الأكبر الذي هاجر إلى فرنسا ومازلت أرسل له ما يساعده كي يكمل دراسته ويحقق حلمه، الحلم الذي مازال يبدو بعيدًا ومرهقًا وغير قابل للتحقق.

هل سأفقد بجرة قلم خطيبتي سهر ؟!.

والسؤال المحتم هنا هل أحبها حقًا؟. أم أنني عشقت حبها لي ، الحقيقة أن مصيرها سيكون أفضل لو كنت أعيش وهمًا أدعي أنه حب صادق ، فربما تفلت تلك العزيزة من براثن لعنتي .

أصدقائي !!

بلا شك أني أحبهم كثيرا ودون الحاجة لأي مساحة للتفكير .

إن الصديق الحقيقي هو ظهيرك الخلفي لمواجهة الحياة وفقدانك أحدهم لن يمر على روحك بسهولة ، موت الصديق كموتك وأنت على قيد الحياة ، يفقد للحياة معناها ونكهتها .

من تبقى ؟!..كاتبي المفضل ، مطربي المفضل ، و....

اللعنة الخيارات كثيرة ومتعددة ومخيفة !! من ستضحي به مقابل من ولماذا ؟!.

إن رداء الشر فضفاض ، ويتسع ليحتوي العالم كله .

كم أكره فيلم إنقاذ المجند رايان وأراه حماقة لا نظير لها..فكم شخص يجب أن يموت في سبيل إنقاذ شخص واحد ، ما الجدوى أن تسعد أم مقابل أن تبكي أمهات ثكلى أكثر ؟!.ألف لعنة على كل منطق في العالم .

علي أن أطرد كل هذه الأفكار من عقلي ، فأنا الآن في ورطة شنيعة ولابد أن أكتب .

إنني خائف ، وروحي ضاقت بكل شيء ..وهيهات بين أن ترغب في الكتابة ، وأن تناديك هي..

فالكتابة عندما تناديك، فلا مجال للهروب ، نداء النداهة أقل رهبة وقسوة ، وربما كان هناك سبيل للفكاك منه ، أما نداء الكتابة كالموت لا رادَّ له .

الكتابة نزيف روحي ..أنت معها تمنح للأوراق بعض من روحك. وبعض من كيانك لتشاركه مع الآخرين. فمرة يلامس قلوبهم .ومرة يصيبها بالجزع . ومرة يصيبهم بالهلع والاشمئزاز .

الكتابة هي المنتج الأكثر انتقادًا على مر التاريخ. إنها القديسة الأولى والعاهرة الأولى والأمل والهزيمة !!.الكتابة هي الساحرة الأولى التي استطاعت أن تخلد تاريخ البشر وإن لم تخلُ من زيف .

الكتابة هي الأمانة التي اختص بها الخالق بعض مخلوقاته . فلم يستطع أيًا منهم حفظها إلا النذر اليسير منهم .

والكتابة لا تأتي لمجرد أنك تريدها ..

لقد أخبرني القرين في لقاءنا الرهيب أني سأعاني . ولن يكون الأمر بالسهولة المتوقعة . وعلى قدر المعاناة سيأتي الإلهام ..الإلهام السحري الذي سيمنحني كل ما أحلم به ..فقط على أن أدفع الثمن و..وأتعذب .

صدقوني وعن خبرة، لا توجد سعادة صافية في هذه الدنيا ، فلابد أن تسبقها أو تتبعها المعاناة.

أن تحظى بالفكرة التي تستحق أن تكتب، تساوى وتتفوق على أن تحظى بالمكانة التي تستحقها.

الكتابة رزق ككل شيء أخر . فهل فعلت وبذلت ما يجعلك تستحقها !!.

وهل ستفعل ؟!

يقولون أنه على الكاتب أن يبدأ بكتابة تلك القصة التي تحتوي على ذكرياته وأحلامه وطموحاته ، حتى يتخلص من ذاتيته وعبء ذكرياته ، كي يمنح جزء من روحه كقربان في محرابها ، فهل أفعل ؟.

مفاتيح الألة الكاتبة الباردة الشبقة للقاء تغازل أصابعي وروحي .

ولكن الأمر الآن مختلف . فأنا لن أمنح إلا الموت لكل من أرغب في تخليدهم بداخل عملي الأدبي .

فهل أجرؤ؟!!.

مضى الليل بطيئًا كئيبًا ،وبداي متخشبتان كيدي جثة أخرجوها من قلب الماء منذ دقائق، وعقلي يغلي من فرط ما بداخله من أفكار وقرارات .

أكثر من مرة أشعر بالحضور المتململ للقرين . يبدو وأنه خَطِئ بأسوأ البشر على الإطلاق .

المشاعر السلبية تتسلل لروحي فأشعر بانقباض شديد في قلبي وكأنني أنا من على وشك الموت..أرواح من تتوارد أسمائهم في عقلي تتجسد أمامي حقيقية ، كأشباح من ضوء خافت ..

تسطع بداخل عقلي صورة مرسومة بتقنية الفوتوشوب لكاتب رعب تحيط به الأشباح والمخلوقات الوحشية التي يستخدمها كمفردات لعالمه .

الأن أن أقبع في نفس الجو الساحر المقبض. أنتظر الالهام من كائن مخيف يحيط بأدق التفاصيل التي تتكون منها حياتي وشخصيتي ..كائن يتعامل معي . كما يتعامل السيد والعبد . كائن لا يمكن أن أثق به . وبرغم ذلك ملَّكتهُ أمري . كائن شيطاني لا عهد له ولا كلمة .

وقرب الفجر بدأ الأمل..

لا أعتقد أن الأمر كان اختياري، ربما هي فكرة بثها لي القرين وتقبلتها روحي على الفور لتخرج من طوفان الحيرة والانتظار. وبداخل أروقة عقلى تردد الإسم الذي بسببه ، سرت في جسدي رعدة غاضبة..

إيناس ..يالها من ذكريات ..

وإيناس لمن لا يعرف هي حبي الأول البكر ، والصدمة الأولى الكاسحة التي حطمت قلبي . وقهرت بداخلي كل المشاعر..

إنه الحب حين يتحول لكراهية خالصة .

كل قصص الحب يجب أن تنتهي بطريقة محترمة ، يجب عليك عندما ترحل وتغادر عالم من تحب أن تترك بداخله . بجوار الحزن . إجلال وتقدير لمشاعره حتى ولو لم تتقبلها .

وإيناس لم تفعل ولم تكن لتفعل ..ومن أجلها ساكتب قصتي القصيرة الأولى .

ان عُرسَها اليوم..

هل هي مصادفة، أم هو ترتيب قدري ما لأحظى بأنتقامي منها ؟!.

في كل الأحوال الفرحة لا يجب أن تكون من نصيبها . إنها لا تستحق إلا البؤس والشقاء ، فعلى مقدار ما أحببتها كانت كراهيتي لها . والحب سريع التبخر ولكن الكراهية كالحبر عندما يلتصق بثوب حدادك لا يفارقه .

سنوات عديدة مرت ومازلت أتتبع أخبارها ، وأتابع بفضول وكراهية كل القصص التي تحكي عن صلفها وغرورها وجمالها .

لا أحد ينسى طعنته الأولى أبدًا ، ولا من قتل جزء من روحه ..

إنه يصبح كالهاجس الذي يفاجئك ويقض مضجعك ، ولا حل له إلا أن تفقد ذاكرتك لتستريح ، أوتموت لتحظى بالسلام الأبدي .

أن تقتل هي معاناة رهيبة ، ولكن أن تقتل من تحب ، هي المعاناة الأكبر في الوجود .. أن تقتل من كنت تظن أنه هو الحياة ..شعور بشع .

التعبير الأكثر منطقية من كنت تحب، واغتال مشاعرك ومنحك الندبة الأولى في قلبك الأخضر ، الذي لم يعرف يومًا إلا حبه .

وإيناس كانت الفتاة الأكثر شعبية في دفعتي ، جمال غجري ينتمي لأصول عربية ، جسد منحوت كتمثال إغريقي ، وروح طائر نادر ضلَّ طريقه عن الجنة ، حلم حقيقي يحظى بمساحة هائلة من الحياة ، ويبث الأمل حوله طوال الوقت .

وعلى إيناس أن تموت .

أن تقتل

صدمة العشق الأولى هي الألم الأبدي . الذي يظل يؤرقك حتى تنتهي حياتك . فأن تمر بقصة حب فاشلة تنتهي بطريقة محترمة . أوتجبرك الظروف على إنهائها يكون لديك ألف مبرر كي تمنح لجرحك الفرصة ليندمل . ولكن أن تكون صدمتك الأولى بكل هذه الوقاحة . سيظل جرحك حيًا ينزف طوال الوقت .

الحقيقة أن إيناس قابلت حبي ومشاعري لها بسخرية واستهزاء، ولم تكتفي بأن يتم الأمر بيني وبينها بل ونشرته بين صديقاتها لأصبح موضع سخرية الدفعة كلها.. فمن هذا الحقير الذي يحلم بقلب نجمة الدفعة قاطبة. والتي يلهث الجميع من أجل كسب رضاها. أو مجرد نيل ابتسامة منها ليظل يحكي عنها لأصدقائه ما تبقى من العام الدراسي .

لن أخبركم كم شعرت وقتها بالإشمئزاز والقرف من نفسي، بل وكم شعرت بالضآلة والدونية. والقهر ..فمن يقابل أنقى المشاعر، بهذا الصلف والجبروت والحقارة. إلا شيطان. وكانت إيناس شيطانة حقيقية . غرها جمالها ولُهاث الجميع عند رؤيتها . فعاملتني كصرصار حقير لابد من سحقه .

لقد أُهنت تلك الإهانة التي بدلت من شخصيتي بعدها تمامًا ،وأجبرتني هذه الإهانة الآن على أن أذكرها. وأن تظل سخريتها نارًا مشتعلة ومتأججة بروحي ، نار لن تنطفيء إلا بالثأر منها. قبل أن تخطوا خطوتها الأولى نحو الحياة التي إختارتها . ورغبت أن تعيشها ..

إن هذا هو أقسى انتقام .

إن فشلك على بعد خطوة من تحقيق حلمك . يكون بألف فشل وهزيمة .

وكان هذا هو انتقامي .

قصتي القصيرة الأولى ستكون عنها . ستكون حكم بالإعدام عليها. بل وستكون تجربتي الأولى لأعرف هل ما دفعته من ثمن يستحق أم لا ؟.

تيك تيك تيك توك ..

تيك تيك تيك توك ..

هناك من سيموت !!.

تيك تيك تيك توك

تيك تيك تيك توك

ومن سيدفع الثمن .

وقبل أن أخط كلمة واحدة في قصتها . تبدلت الفكرة في رأسي تمامًا . سيكون إنتقامي أكثر قسوة من الموت ذاته .

إنتقام يليق بالقاتلة .

(القاتلة)

يقولون أن صدفة خير من ألف ميعاد ، وأقول أنا أن الموعد بألف صدفة . صحيح أنني أفقد بسببه عامل الدهشة والمفاجأة وذلك الشعور المبهج بأن القدر مازال يحمل لي من المفاجأت السارة ما يجعل الحياة محتملة ..ولكني كنت أفضل أن يكون لقائي بها كموعد وليس صدفة . فالصدفة قد تحمل الأمل ولكنها سرعان ما تتبدد وتتبخر على صخرة الواقع القاسية . بينما اللقاء بهجة مؤكدة .

اليوم بالذات تأخرت عن محاضراتي، المواصلات كانت مزدحمة، وروحي كانت مختنقة، ومرض أمي يُحَمِّلني فوق ما أطيق ..عبرت إلى داخل الكلية بروح مثقلة، وأقدام يابسة، لقد مر زمن المحاضرة الأولى، ولا أمل مع الدكتور العنيد في دخول المحاضرة بعد موعد إغلاق الأبواب، ولا داعي للإحراج لا فائدة ترجى من وراءه .

قررت لحظتها أن أتوجه إلى كافتيريا الكلية، كي أستذكر ما سيفوتني لعلني أعوض جزءًا منه . وعندما جلست على المقعد فاجأني العطر، يا الله أهناك عطور بمثل هذه القوة الآسرة .

نظرت باتجاه الرائحة العذبة و رأيتها ..بالتاكيد العطر لا يفوح إلا من مثل هذه الزهرة الرائعة اليانعة ،و ..)

وهنا توقفت عن الكتابة ..

ما هذا الذي أكتبه ..إنني بهذه الطريقة أخلد ذكرياتي معها ، وهذا لا يجب أن يحدث . إنني أكتب أحداث النهاية لقصة لم تبدأ من الأساس وعلي أن أكون أكثر تجردًا . ولا يجب أن أحشوا القصة بذكرياتي معها.

عليها أن تتذوق الألم . كما قررت أن تتركني وحدي مهانًا . وكل تهمتي أن قلبي خفق ذات يوم من أجلها .

سحبت الورقة من الألة الكاتبة الباردة ، فتلاشت الكلمات من فوقها على الفور وكأنها لم تكن. وبرغم ذلك ألقيت بالورقة القديمة ووضعت بدلًا منها ورقة جديدة . وانهمكت في تدخين إحدى سجائري .

الحقيقة أنني كنت متردد وبشدة في أن أكتب ، والتردد نوع مقنع من الجبن . ولكن القرار لم يكن بسيطًا ..

صحيح أني بهذه القصة سأخطوا أولى خطواتي نحو حلمي، ولكنني أيضًا سأتحول إلى قاتل دموي بارد المشاعر .

أفكار كثيرة ومخاوف أكثر تموج في رأسي .

إن الكتابة ولادة متعثرة . وكان علي أن خوض كل مراحلها .

الأفكار تموج بعقلي ..

آلاف من الأفكار السوداء . ويداي متهيبتان من خط حرف واحد .

وفي لحظة حاسمة ، ودون ذرة تردد بدأت في الكتابة ، كانت قصة قصيرة جدًا ، لم تأخذ مني وقت أو تمنحني المزيد منه للتردد .

إن جسدي يصهد وغضب القرين بداخلي يتعالى ، ولن أكون بالحماقة الكافية لأغضبه منذ البداية .

بدأت أكتب على الألة الكاتبة الجهنمية ، وكلما نقرت على أحد المفاتيح توهج الحرف ليشعل حماسي .

صوت المفاتيح كموسيقى جنائزية تقرع أبواب روحي .

تيك تيك تيك توك .

تيك تيك تيك توك .

(انتهى العُرس وزُفَّت إيناس إليه ، وفي اللحظة التي حلمت بها طوال عمرها مات بين يديها، وهو يمنحها الحب الذي طالما اشتاق جسدها له) .

إنتهيت من كتابة تلك القصة الومضة التي لم يتجاوز حجمها سطرين ، لخصت فيهم كل رغبتي ووسيلة انتقامي، وجلست ألهث وأنظر ليداي وللورقة ، وكأن الدماء ستخرج من بين مساماتهما .

هنيئًا لك يا ناجي بما أقترفت يداك ..هنيئًا لك فقد صرت قاتلًا .

اللعنة عليك يا ناجي ، بل ألف لعنة ..

في قصتي الومضة لم أقتل ايناس بالطبع ، فهكذا سينتهي انتقامي سريعًا بموتها ، والموت راحة لمن هو مثلها ، عليها أن تعاني مثلي ، أن تتجرع من نفس الكأس المر ، عليها أن تعرف أن موت الحلم يعني انتهاء

كل بهجة في الحياة . ولذلك لم أقتلها. ولكنني قتلت حلمها ومن اختارته من بين ملايين الرجال : من قررت أن تتنازل من عليائها لتتجرد أمامه من ثيابها وغرورها وتمنحه نفسها . وقسوة انتقامي أنه سيموت بين يديها . وفي لحظة ممارسة الفعل الحميم .

لقد أتممت انتصاري ، وإن لم أشعر بالنشوة المرتقبة بل شعرت بقلق مخيف وفادح . فالأمر كان جريمة قتل . حتى أني لم استثمرها في الحصول على قصة قصيرة أو رواية . لقد تم الأمر كله على سبيل الإنتقام ..

عندما أمتلكت السلاح ضغطت الزناد وبلا تردد .

إن الألم الأكثر بشاعة هو أن نفارق من نحب . أو يصيبه أذى . ساعتها تتحول الدنيا بكل ما فيها لجحيم . وأنا أخترت لها هذا الجحيم .

أي شيطان هذا الذي يسكن بداخلي . هل أطلقت أنا سراح القرين . أم أن القرين هو من أطلق سراح شياطيني .

عشت بعدها عدة أيام غير قادر على أن أرى صنيعة يدي . ومات الفضول بداخلي . بل وتمنيت لو أن كل ما مر بي كان مجرد وهم .

ولأن الأخبار الحزينة لا تحتاج لتتبعها ،فقد جاء إلي بها الساعي حتى باب منزلي .

وعندما فتحت باب شقتي ورأيت البؤس والحزن على وجه فؤاد . عرفت أن جريمتي الكاملة قد تمت . بل وبظن البعض أنني أستحق العزاء . يالها من كوميديا سوداء .

فؤاد أمامي يغتال التردد ملامحه . ولكنه سرعان ما حسم أمره وقال بصوت مضطرب يبغي الخلاص :

- هناك خبر لا أعرف إن كان سعيدًا ، أم كان حزينًا . ولكني سأخبرك به على كل حال .

رسمت القلق على وجهي . وحضرت بداخلي كل مشاعر الدهشة . ونظرت له نظرة الراجي ليكمل فقال بصوت منكسر :

- أنت تعلم بالطبع أن الخميس الماضي كان عُرس ايناس و...

ووجدت نفسي بلهفة حقيقية أتساءل :

- وهل أصابها مكروه ؟.

نظر لي في حيرة، قبل أن يقول :

- لا أعرف حقًا. فما حدث معها كان شنيعًا، لا أعتقد أن هناك بشري يتحمل ما مرت به إيناس . تخيل أن يموت زوجك في ليلة عرسك بين ذراعيك . بل وفي تلك اللحظة التي يقوم فيها بفض غشاء بكارتها . و...

تخيلت الموقف الذي صاغه قلمي . وشعرت بقبضة باردة تغتال قلبي . وأنا أصرخ فيه ليتحدث فقال :

- لقد جُنَّت المسكينة ، وتم إيداعها إحدى المصحات النفسية ، والمخيف هو ما ظلت ترده طوال الوقت .

نظرت نحوه في هلع فأستطرد :

- لقد ظلت تخبر الجميع أنك كنت هناك ، وقبل أن تخرج الروح من جسد زوجها ، رأتك كطيف أو شبح تشير لها بعلامة الذبح .. وأسقط في يدي .

القاريء المخيف

في نفس اليوم كان لقائي الثاني والمحتم بالقرين عبر بوابة الأحلام ، كان لابد وأن يتم هذا اللقاء في أسرع وقت، فقد أصبح وجودي مهددًا، وأصبحت قلقًا بطريقة مثيرة للأعصاب بعد حواري مع فؤاد عن إيناس وعن رؤيتها لي في اللحظات الأخيرة لموت زوجها.

إنها مصيبة ..بل كارثة ..

لقد حدثت جريمة قتل حقيقية ، وذُكِرَ فيها اسمي!!..

إن الوفاة بالسكتة القلبية والتي لم يكن هناك وقت يكفي معها لمحاولات الإنعاش الرئوية ، لا تعتبر جريمة ، ولكني أعرف دون شك كونها جريمة وعن سبق الإصرار والترصد أيضًا، فأنا المحرض والقرين هو المنفذ ، نحن شركاء في الجريمة ولكن عنق واحدة مهددة هنا .

لقد كان العهد أن أصير كاتبًا شهيرًا ، وأن أدفع الثمن بالدماء دون أن تتخضب يدي به.

الحقيقة أن يدي ستتخضب به لمرة واحدة لا أعرف موعدها، و ستحدث في وقت لا أعرف مداه ، و ستكون لأنقذ عنقي من جحيم أبدي كما أخبرني ذلك اللعين ..لقد تنازلت كثيرًا كي أحقق حلمي ، وصدقوني الأحلام التي تبدأ بتنازل تنتهي بكارثة ..

وفي هذه اللحظة بالذات أدركت كم أنا شخص أناني جشع ووضيع وحقير أيضًا.

كان ظهوري لإيناس أثناء احتضار زوجها صدمة كبيرة لي، بل صدمة مزلزلة ، لذلك كان على اللقاء أن يتم برغم كراهيتي له .

إنني لا أبالغ حقًا في وصف بشاعة الأمر فما رأيته في اللقاء الأول جعلني أتمنى ألا يكون هناك لقاء أخر ، ولكنه سيتم برغم كل شيء ..

كان يجب علي أن أكون على غير طهارة فهذا شيء أساسي لا أعرف الغرض منه، وأن أردد النداء سبع مرات ، قبل أن أتناول المنوم وأذهب في غيبوبتي الصناعية ..

تناولت المنوم ، وتمددت عاريًا فوق الفراش ، وبصوت ينزف خوفًا رددت النداء الجهنمي :

- أرشام ..بيجام ..دحروتيت ..لقد أتيت فلبي النداء ..

- تيماس ..أركومار ..بروتييس ..أتيت خاضعًا لا أملك من الأمر شيء ..

ثم نطقته أسمه السري سبع مرات ..

هل إهتزت الإضاءة ؟!..

هل سمعت ذلك العويل المختلط بالصفير وصرخات المعذبين ؟!.

كلها أشياء منطقية وحدوثها طبيعي جدًا ..فأنا أستحضر جني ..وإن كنت غير متاكد من حدوثها..

ولكن القبضة الباردة التي اعتصرت قلبي وشعرت معها بنيران تجتاح جسدي ، كانت هي الشيء الوحيد الذي أثق في حدوثه .

أرشام ..بيجام ..دحروتيت ..لقد أتيت فلبي النداء ..

تيماس ..أركومار ..بروتييس ..أتيت خاضعًا لا أملك من الأمر شيء ..

وبعدها غاب وعيي لينشكل هناك..حيث الظلام درجات.وحيث العدم يحتوي كل شيء . وحيث البرودة هي أصل كل المشاعر . وحيث يمنى الدفء، وعبر اللقاء الجهنمي المرهق . والذي كدت أفقد فيه حياتي من هول ما أرى وشناعته. وكان السؤال الذي ظل يتردد في عقلي:

لماذا لا يتخذ قريني هيئة مقبولة ؟ أم أن هذا جزء من الثمن الذي علي دفعه !!. على كل حال لقد دارت الدائرة ولا سبيل لإيقافها الآن .

ثم اللقاء ودار الحوار بيننا. وعرفت أن ماحدث لم يكن خطأ حدث دون ترتيب منه. بل كانت لمسه إضافية من قريني ليتوج بها انتقامي. وأن الأمر لن يتكرر إلا لو دونته بيدي . وأنه لا خطر هناك ، وكان علي أن أرضخ . فلا عبد يملي إرادته على سيده ..

ورضخت !!.

انتهى اللقاء وشعرت بعدها بصدمة مروعة . وبرغم ذلك رددت النداء عكسيًا.

- دحروتيت ..بيجام.. أرشام .. لقد لبيت فانصرف ..

- بروتييس..أركومار ..تيماس..أتيت خاضعًا و أرحل خاضعًا فأذن لي ..إنني لا أملك من الأمر شيء ..

ثم نطقت إسمه السري عكسيا أيضًا سبع مرات..وكانت العودة لعالم الواقع .

لم يمر الأمر بالسهولة التي توقعتها ، ولم يمر دون ألم وثمن. فمن يفتح بوابة الجحيم ، سيلقي على الأقل من لفحها ما يؤذيه ..وأنا فتحت بوابة الجحيم وكان علي أن أحترق بنيرانها ..وذلك ما حدث تمامًا ، فبعد اللقاء العصيب الثاني أصابتني حمى شديدة وصلت مع حرارتها لدرجة الغيبوبة.

ظللت في عوالم اللاوعي لعدة أيام بعدها. لا يزورني إلا الطبيب المعالج وصديقي فؤاد الذي اتصلت به وأنا خارج الوعي وأهذي من الحمى . والذي أضطر أن يحطم باب شقتي ليستطع الوصول لي ودعمي في محنتي ، بعد أن تركت مفتاحي في رتاج الباب من الداخل. فعجز عن فتح الباب بالمفتاح الذي يحتفظ به لحالات الطوارئ ..

لشد ما تظهر الأزمات معدن الأصدقاء، وكان فؤاد خير صديق ، ولولاه لما كان هناك من يقص عليكم هذه الحكاية .

كنت أعرف أن ممارسة السحر بكل أنواعه يقابلها الضعف والمرض، ولم أتوقع أن أكون بمثل هذا الضعف، وتذكرت الآية الكريمة التي تقول :

(وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) .

وأيقنت جيدًا وقتها أنني تورطت لأقصى مدى، وأن الثمن فادح ..بل فادح جدًا، ولن يتوقف الأمر قبل أن أدفع حياتي نفسها ثمنًا لاختياري وبحثي عن الشهرة والمجد .

فقط كان عليَّ أن أدفع الثمن ..للصوت المظلم الذي يوحي بالكلمات .

كل كاتب لديه ذلك الصوت الخفي الذي يحدثه طوال الوقت ..وكل كاتب يطلق عليه اسم خاص .. هذا الصوت هو ما يملي عليه ما يفعله .. ويقترح عليه وربما يحدد خطواته المستقبلية ..

أفضل إسم قابلني لهذا الصوت . كان اسم الراكب المظلم في مسلسل السفاح ديكستر الشهير المليء بالقتل والدماء .

إن القرين هو الراكب المظلم . الذي يتحكم في مسار حياتي الآن . والكاتب الذي يسيطر عليه شيطان الوحي يصير شهيرًا جدًا ..

جميعهم يخفون الأمر.. جميعهم يحافظون على سرهم..لكني لا أبه بالأمر.. فهذا الراكب المظلم أو شيطان الوحي كما أحب أن أطلق عليه .. محتجز معي وكشف الأمر لن يعني تلاشيه .. نحن قدر بعضنا .. القدر الأسود .

الأمر ليس غريبًا أو عجيبًا أو متفردًا ..فأحمد شوقي كان يؤمن بوجود ربة للشعر . وقدماء العرب كانوا يعتقدون أن الشعراء يأتيهم الالهام من وادي عبقر حيث يسكن الجن كما أخبرتكم ..شيطان الوحي كان

متواجدًا في كل العصور ولكنه حمل هويات مختلفة ..وها هو الآن معي.

مر الوقت ومعه كل المشاعر المصاحبة له ، وعبرت الأزمة بسلام غير تام ، ثم اعتدت الأمر ، كما يعتاد كل قاتل بارد الدماء جرائمه..

ولا أخفي عليكم أن شيئا ما قد تغير بداخلي .. شيء لا أدري كنهه ، شيء جعلني أدرك أن فطرتي أن أولد شريرًا وأكثر قسوة، شيء جعلني أؤمن أن وجود القرين كان مجرد عامل مساعد، لإظهار ما ظللت أخفيه من شر طوال عمري ..

ثم إن من لا يتغير في مثل هذه المواقف الجهنمية هو إنسان غير طبيعي أبدًا.

الأمر كله غير طبيعي وغير شريف ..وها أنا الآن على وشك إنهاء روايتي السابعة والتي ستصبح خلال ساعات قليلة من طرحها من الأكثر مبيعًا وشهرة ، والتي عليَّ فيها أن أقتل فوزي بطل الرواية ، وفوزي قرينه البشري .

الرواية التي ظللت أكتب فيها وأؤجل فيها لعدة سنوات ، حظى فيها فوزي جميل بعذاب ومعاناة تكفي كل العصاه في الأرض .

والآن أنا أكتب كلمة النهاية .

لقد مات فوزي بطل روايتي على يد حبيبته ، واستطاعت هنادي الخاصة به أن تقتص منه على كل جرائمه .

لقد مات فوزي وبطريقة بشعة ..منوم في الشراب. ثم تُغرق حبيبته أرضية المكان بالكيروسين . ثم تشعل النار . ليستيقظ هو وسط أتون اللهب المتصاعد من جسده . بعد أن هزمت آلام النيران تأثير المخدر المنوم . وتعذب هو بالنار أمام حبيبته التي لم تكفي دموعها لإطفاء نار حسرتها وقهرها ..نارها أحرقته وأحرقتها . فكانت النهاية ..

وعلى فوزي الحقيقي أن يموت وبنفس الطريقة . ربما لا تتم بنفس الخطوات التي كتبتها أو على يد نفس الشخص . ولكنه سيموت حرقًا على أي حال.

النهاية واحدة ولكن التفاصيل الفرعية قد تختلف في مراحل كثيرة . العبرة بالخواتيم كما يقولون . وإن كنت لا أؤمن بهذه المقولة التي تعتمد على الحظ والمقامرة أكثر من العمل المتراكم . وتتجاهل عدل الله في الثواب والعقاب .

فوزي ينال عقابه بالنار في الدنيا . قبل أن يعاقب بالنار الأبدية في الآخرة . وهي لمسة شاعرية إلى حد ما .

والآن عليّ أن آخذ للراحة وأفكر في رد فعل القاريء المتحفز على هذه الرواية .

لا تنظروا لي هكذا .

فأنا لم أخض في الأمر منذ البداية إلا من أجل إرضاء هذا القارئ المخيف . الذي يصنع إسمي ومجدي وشهرتي .

نعم لقد ارتكبت بطريقة غير مباشرة عدة جرائم قتل . ولكن هذا أصبح شيئًا بعيدًا الآن . إن الحقيقة والخيال بداخل عقلي ممتزجان ، والفصل بينهما أصبح مستحيلًا .

القارئ هو الطرف الأقوى والأعنف والأكثر قسوة في المنظومة كلها .. لتقنع القارئ بفكرتك عليك أن تمنحه قدر مرتفع من الاستغراق والإدراك . عليك أن تداعب ذكرياته وأحلامه ومخاوفه، بل أعتى مخاوفه والتي لا يرغب حتى في تذكرها بينه وبين نفسه ..هذا هو ما يفعله الكاتب العادي ..

أما أنا فأقوم بتجسيد هذه المخاوف ليواجهها رأيَ العين ..

إن ما يقرأه واقعي ..واقعي أكثر من الحياة نفسها ..

كنت قادرًا بالفعل على صنع وهم كابوسي تفاعلي ، ليدخل القاريء في أجواء القصة ، لأختطفه إلى عالمي حيث قواعدي وقوانيني ، وحيث القوة الكاملة ، للكلمات والخيال .

ربما يقرأ القاريء خبر عن الجريمة نفسها في الجريدة ذات مساء، ومع رواياتي يطفوا على سطح عقله ، فيقارن الواقع والخيال ويتعجب على قدرة الكاتب على الإمتزاج بالواقع والتنبؤ به .

إن رواياتي هي الأكثر مبيعًا الآن . والأكثر إشادة على موقع الجودريدز ومواقع التواصل الإجتماعي ..

القاريء هو شريكي الثالث بالجريمة ، كلما أنهى الرواية وأعجب بها ، يدفعني دفعًا لكتابة الرواية التالية ، وإلى جريمة القتل التالية .

أنا أقدم كل قرابيني من أجله .

وهو يمنحني ماله . ومجدي . وشهرتي .

صفقة عادلة .

صفقة سيدفع ثمنها من هم مثل فوزي ..

والآن حان الوقت كي نعرف حكاية فوزي جميل الحقيقي ..الذي سيصير خبرًا في الجريدة ربما تقتحمه العين اقتحامًا بلا مبالاة ..

ولكني لمثله أدين بفضل كبير .

مخلوق من لحم ودم

لنبدأ من كلام الروائي التشيكي ميلان كونديرا، والذي يقول في كتابه فن الرواية :

(الرواية التي لا تحاول اكتشاف سر من أسرار الوجود، هي رواية فاشلة).

وهي مقولة عبقرية جدًا..

فهل هناك أعظم من الموت كَسِر من أسرار الوجود ، لنخوض غِماره ونكتشفه ، ونجعله خلفية للوحتنا الإنسانية المشوهة ..

الموت هو الثابت الوحيد الموجود في حياتنا . نحن لا نعرف هيئته ولا مكنونه ، ولكننا نؤمن بآثاره وما يُحدثه حولنا من تغيرات فادحة ..

جميعنا نقف خلف بوابته، ولا ندرك حقا ما يوجد ورائها، وهل ستؤدي بنا هذه البوابة الموصدة إلى ما أحطنا به خُبْرًا أم إلى المجهول، ليظل الغامض الأكبر، والتهديد الأكثر وقعًا وتأثيرًا .

أنا لم أعبر البوابة ، ولم يَعُد أي شخص ممن عبروها ليَقُصَّ علينا ما رأى ووجد ، ولكني تسببت خلال السنوات الأخيرة، في فتحها عنوة لتستقبل المزيد من الضحايا والقرابين ..أصبحتُ أنا سفير الموت في هذه الأنحاء .

"أنا الموت أنا مدمر العوالم " .

إنها المقولة الهندية الأكثر تأثيرًا في تاريخ البشرية ..

بماذا شعر شوبنهايمر بعد أن فجر قنبلته النووية الأولى وهو يردد هذه المقولة الجهنمية، والتي تبدو وكأنها خُلِقَت من أجل هذه اللحظة الكارثية .

أي إحساس فائق شعر به ، وأي قوة سرت في كيانه ، وأي رؤية المستقبل فاجأته .

إن هذا هو شعوري تمامًا فور الإنتهاء من كتابة القصة أو الرواية..

فأنا بها قد خَطَطْتُ شهادة وفاة جديدة . وإنتزعت جزءًا من المجد . وكنزت المزيد من الأموال مما يَضُجُّ به حسابي البنكي ..

أنا الظاهرة الجديدة ، والكاتب الخارق ، والقربان الأخير ..

أنا الذي لا أعرف الفشل ، ولن أعرفه يومًا ..

لقد تحولت أنا أيضا إلى قربن بشري لكل من سيطرت عليهم من أجل كتابة الرواية . كلماتي وأفكاري تتحول بمجرد كتابتها إلى ضحايا من لحم و دم .

أنا عزرائيل الكاتب ..أنا ملك الموت الجديد ..لا يقهرني إلا الكلمات ولا تصنعني غيرها ..أنا القصة ، والقصة أنا.

صديقان، عدوان ، خالقان ، ومخلوقان ..

تأثير كل منا على الأخر يُبَلِّغُنَا الكمال ، وثمن الكمال فادح . فللقصة تأثيرًا مزدوجًا ، فهي تأكل من روح الكاتب وتُضْعِف كيانه البشري ، والكاتب الجيد يمنحها المزيد .

فللكتابة سحرٌ خاص يمنح للكاتب قوة أنصاف الألهة . فيها يخلق عوالم ويهدم أخرى ، ولكنها في النهاية تستحوذ على روحه . وتستهلك صحته . ويصبح في النهاية أسيرًا لها.

الشيء المخيف جدًا أنني عشقت هذا الشعور بالاستحواذ . إنها صدمة الألم الممتزج بالمتعة ، تلك اللحظة التي أفقد فيها تواصلي مع الواقع . لأحظى بجرعة مضاعفة من الخيال .

لقد أصبحتُ مدمنًا للخيال ، وكل كاتب لم يصل لهذه المرحلة ، لن يحظى بعمل يرضيه أبدًا .

والآن عليَّ مُرغمًا أن أترك عالم الخيال لنعود معًا لعالم الواقع لأقص عليكم ، ما حدث لفوزي جميل الحقيقي ..فوزي جميل المخلوق من لحم دم..

مأساتي التي لم أخلقها بيدي ،ولكن صنعتها كرد فعل عبر الورق انتقل إلى الحاضر وبقسوة ..

وكانت التساؤلات التي غزت عقلي ساعتها كثيرة ومتنوعة ومخيفة .

ماذا لو عرف فوزي جميل أن هناك من يلهو بحياته ومصيره ؟..أن هناك من يراه مجرد درجة سلم ، ليصل إلى غايته ؟.هل سيظل على إيمانه ؟.

هل سيفقد عقله ؟.

هل سيختار أن يُنهي حياته بيده ؟..

كلها خيارات لا يملكها ، فقط أنا أملك كل الخيوط الآن ..ولكن القصة هذه المرة ستختلف قليلًا في أحداثها، فما أكتبه أنا على آلتي الكاتبة السوداء لأصنع رواية خيالية يختلف عما يحدث في الواقع في بعض التفاصيل وربما الكثير من التفاصيل.

ربما الأمر مقصود من القرين ، أو أنه لا يملك حقيقة كل خيوط اللعبة في يده ، ربما هو يعاند الأقدار أو ينفذ مشيئتها ،ولكن المهم حقًا أن النهاية في كل الحالات واحدة لا تتغير . الموت بنفس الطريقة التي اخترتها أنا للضحية الموعودة ..

النهاية التي كنت دومًا على علم بأحداثها وأعايشها وأراها من مكاني رؤى العين وكأنها فيلم سينمائي يُعرَض أمامي .

فهي قدرة أخرى أختصني بها القرين مادمت دوَّنتَهَا وطلبتها، وهي لعَمْري قدرة ملعونة . تجعل ذلك الجزء من روحك المسمى الضمير والذي ظننت في لحظة ما أنه قد مات ، أو على الأقل فقد تأثيره يستيقظ ليُنَغِّصَ عليك حياتك ، وإن كان يروي روحك بالمزيد من

المعرفة . لتقضي على فضولك وقلقك ..فلن ترتكب جرائم قتل دون أن يُضنيك الفضول لتعرف حقيقة ما جنته يداك . وبصمتك في هذا العالم .

وأدمنت أنا هذا التلصص . ولتخلد المقولة الشهيرة :

- المجرم دائمًا ما يحوم حول مسرح جريمته .

وكنت أنا المجرم مع سبق الإصرار والترصد ، والواقع بكل ما فيه وما يحدث به من تغيرات . هو مسرح جريمتي الدائم، ومنبع نشوتي الكبرى.

أما عن الخطوة المتكررة والأصعب، وهي مرحلة الاختيار . فهي تُعَدُّ أصعب مرحلة في الأمر كله ، بل هي المعاناة الصافية الخالصة. أنت الآن القاضي والجلاد وملك الموت . والسؤال المخيف :

من ستقتل هذه المرة لتصنع قصتك الجديدة ؟!..من بلغ منك هذا المبلغ من الكراهية . لتضعه أسفل مقصلة قلمك ..!!هل أنت قادر بالفعل على الاختيار في كل مرة ؟...إن صفحات حياتك تعج بالعشرات مما كان تأثيرهم سلبيًا عليك ..ولكن ..من منهم يستحق الموت حقًا ؟..

هل الأمر بالسهولة المطلوبة، وعلى المخطيء أن يموت ؟.هل ستستخدم لعبتك المفضلة في الاختيار ؟.

قائمة عشوائية ثم تختار رقمًا عشوائيًا ، لتترك للأقدار اختيار ضحيتك ، أم ستكون روحك مُثقلة بالكراهية ، لتختار كما أخرت إيناس من قبل ؟.

الحقيقة أن اختيار فوزي جميل لم يكن عشوائيًا كما أظن .

فقط قفز أسمه بداخل عقلي كناقوس يقرع منافي الذكريات..ربما ساعدني القرين الذي يُلِمْ بأدق تفاصيل حياتي بحكم كونه ظلي وصاحبي الذي لم أختر تواجده بحياتي. وربما لا . ولكنه كان الاختيار .

إنها اللحظة التي يدركها كل مقامر عندما يستقر بأعماقه أن عليه أن يسحب ورقة لعب جديدة قد تهدم كل ما بناه طوال ساعات من اللعب المرهق..فهل سأسحب ورقتي ؟!

فوزي جميل . صديقي اللدود ، إحباطي الأكبر ..وصدمتي القريبة ..

الحقيقية أنني لا أعرف كيف يتبدل الناس ، وكيف تنقلب طباعهم ، وكيف يتحولون من النقيض إلى النقيض ؟..ماهو سر الروح . ولأي مدى هي قابلة للفساد !!.

في مرحلة ما كان فوزي جميل صديق مقرب لي، كانت تجمعنا جلسات الحشيش . والنقاش الهاديء المثقف ..شخصية فوزي جميل شخصية أسرة . لا تصاب أبدًا بالملل في صحبتها .. وسيم وسامة الشياطين أنفسهم . لديه ابتسامة ساحرة ، تأمنه على روحك وحياتك وأهل بيتك ..

وهذا ما فعله حسام أبوزيد ..وهو صديق لي فقدته بسبب فوزي جميل أيضًا.. ولم أسامحه عليه قط .

الحياة لا تسير على وتيرة واحدة ، وفجأة تجد أن هناك شخص ما أقترب منك ومن شلتك . وفي يوم وليلة أخترق هالتكم الروحية ، ثم أصبح صديقًا مقربًا في لحظة واحدة . لم يعد للزمن تأثير ولا للتوقيت ، وكأنكم أصدقاء منذ الطفولة . والغباء يجعلك تمنحه كل الثقة . وهي في نظري بداية النهاية .

ظهر فوزي جميل في حياتنا فجأة . وكأنه أخترق حُجُبَ الغيب أو نبت من قلب العدم . بل واقترب فوزي جميل من حسام أبو زيد روحيًا إلى درجة كبيرة ، حتى أن حسام أبو زيد جعله العقل المفكر له ، ولن أبالغ لو قلت أن حسام منحه دفة حياته . وكان فوزي جميل يقضي تحت سقف منزله أكثر مما كان يقضيه في بيته . حتى أصبح وجوده في منزل حسام شيء أكثر من معتاد ، وهي لَعَمْرِي غلطة فادحة ..وسيدفع ثمنها أقرب المقربين لحسام ..

إيمان .

اعتادت ايمان شقيقة حسام وجود فوزي تحت سقف منزلها وفي تفاصيل يومها . ثم أصبح وجوده يبهجها ثم أدمنته . فخفق قلبها ورقت له روحها ، ولاحظ هو الأمر . وهنا وقعت الكارثة .

إيمان أنهت الثانوية العامة والتحقت بالسنة الأولي بكلية الآداب . مازالت زهرة رقيقة لم تتعلم بعد أن الحياة غادرة ، وأنها حين تبتسم

فهي تخبيء لنا من الأحزان ما سيمحي كل ذرة من السعادة شعرنا بها يوما ، قبل أن تسرق أرواحنا وأحلامنا ..

عشقت ايمان فوزي جميل . بعد أن سحرها وفتنها ، بحديثه وقربه ووسامته ، وقلوب المراهقين أرض محروثة . لا تحتاج إلا لترتوي لتزهر فيها بساتين العشق والمحبة .

وأمام جمالها ومشاعرها ، لم يستطع فوزي جميل أن يقاوم خوض المغامرة .

هل عشقها ؟! هل مالت أشرعة سفن قلبه نحوها ؟! لا أحد يستطيع التيقن من أمر مماثل .

بدأ الأمر بينهم ، بقبلات مختلسة ، لم تكن تروي ظمأهم لبعضهم أكثر مما تثير العطش واللهفة في غفلة من أمها وشقيقها حسام ، وذات يوم أسود جمعهم البيت والشوق وحدهم ، لم تقاومه ايمان ولم يستطع هو صبرًا ، لتفقد إيمان مع شوقها العنيف له ، أعز ما تملكه أي فتاة.

والغريب أنها ساعتها لم تشعر بندم أو قلق ، كانت زهرة مفعمة بالأحلام والطموح، وكانت تثق في فوزي جميل ثقة مطلقة ، فلا يمكن لفوزي أن يتخلى عنها ..لا يمكن أن تكون مشاعره كاذبة ..لقد منحته نفسها عن طيب خاطر ، ولم تكن لتتردد في الأمر لو عاد بها الزمن إلى الوراء .. إنها أنثى والأنثى وحدها القادرة على حسم حقيقة أمر مماثل ..كانت أنثى بلا تجارب صرعها الحب ، والثقة في من تحب .

صدَّق قلبها إحساسها ، ولكن عقلها رفض الأمر مع مُضِيّ الوقت . فهو لم يستطع بعد أن يفسر سر إختفاؤه بعدها ..

هل كان الدوار ونوبات القيء دليل على شيءٍ ما..

تلك التغيرات التي تنتاب جسدها وروحها ، هل هي آثار الخطيئة ؟.

لم تصدق في باديء الأمر .فأجرت اختبار الحمل ، وكانت النتيجة إيجابية .

حاولت الاتصال به ..

استعطافه ..

استجداء مشاعر ظنت أنها أقوى من كل ما يحدث لها .

ولكنه في النهاية خذلها .

لم تستطع روحها الهشة التحمل.

لم يستطع قلبها تحمل صدمة الخذلان والغدر.

لم تعد تستطيع التعامل مع هذا العالم الرهيب وحدها ، وبقلبها جرح مماثل، وبأحشائها جنين يتكون .

وفي لحظة يأس وإحباط وفقدان لكل أمل ..قررت أن تغادر هذا العالم إلى عالم أكثر رحمة وشفقة ، بقلبها الكسير ، بعد أن أرسلت له رسالة أخيرة ومختصرة على بريده الالكتروني :

(لقد أحببتك أكثر من أي شيء في هذا العالم، ولكنك خذلتني ،لامعنى الحياة الآن بدونك، وداعًا).

وذات صباح كئيب ، وجدوها في غرفتها جثة هامدة غارقة في دمائها، فارقت الحياة بعد أن قطعت شرايينها ،بتلك الطريقة الكلاسيكية والمضمونة للموت لدى الفتيات ، لتنتهي قصتها كأغلب قصص الحب الفاشلة ، بموت العاشق الأكثر صدقًا .

ولتصدق المقولة القائلة :

العشق في مدينتنا يا صغيرتي مُحرَّم ..وفي كثير من الأحيان يُجَرَّم ..العشق عار العاشقين وسرهم المقدس ..فكيف نعشق في مدينة كل أهلها غرباء عنها ..ليس في العاشقين مُكرَم..

ولمن سيتساءل كيف علمت بكل هذه التفاصيل ؟! أخبره أني لم أكن مطلعًا عليها وقت حدوثها، بل أحطت بكل هذه التفاصيل علمًا في جلسة حشيش ثنائية جمعتنا معًا أنا وفوزي جميل في وقت لاحق، وبعد أن صدع رأسي بمغامراته العاطفية التي لا تنتهي .

وبعد أن أعطاني درسًا في الفرق بين قبلة المرأة وقبلة الفتاة ، التي لم أتوقع يومًا أن تكون إيمان بأي حال من الأحوال ، فهي شقيقة حسام ، والمروءة تجعلنا نؤمن أنها شقيقتنا أيضًا ، فقال الوغد بتعبيراته الساحرة :

- وقبلة الفتاة ليست كقبلة المرأة ..تلك الشفاه الجاهلة التي تتلمس العناق في لهفة ..وتكاد تموت دهشة من لذة اللقاء .

كان تعبيرًا موفقًا لو كان في موقف أخر ، ولم تكن إيمان ضحيته .

ولكنه الأن شيء لا يدعوني إلا لكراهيته، وبغضه ، واحتقاره .

هل هناك من يشتهي أخته أيها الوغد ؟..

لقد ماتت القُبلة ، وماتت إيمان، وأستطاع أهلها ببعض الرشاوي إخفاء حقيقة إنتحارها . لتدفن ومعها سرها وجنينها .

كانت المرة الأولى في حياتي التي أتمنى فيها قتل إنسان ، بل وتمزيقه إربًا بيداي العاريتان، ولكني حفاظًا على سيرة الفقيدة ، قررت أن ينتهي الأمر هنا ، وأن أقطع صلتي به ، ومن وقع الصدمة حدث لي ما يشبه ، فقدانًا مؤقتًا للذاكرة ، كنت أريد أن أمحي هذا السر من عقلي تمامًا لأستطيع مواصلة حياتي، كنت أشعر بثقله وحقارته وتواطؤى . ونجح الأمر في حينها .

ولأن الجريمة الكاملة خرافة أخرى . فقد حان وقته ليدفع الثمن ..إلا أن الأمر لن يتم قبل أن أحيل حياته نفسها لجحيم خالص .

والآن لِيَتِم الأمر.

لم أكن يومًا ملهوفًا على قتل إنسان مثله . فإيمان كانت أختي التي لم تنجبها أمي ، وشعر القرين بكل ما يموج بداخلي من مشاعر سوداء

وانتشي لها وكأنه يتغذى على الشر .. فبعض الجن يتغذي على المشاعر السلبية كما يتغذى غيره على العظام والشعر والروث، والأرز .

بل وساعدني قريني لأُحيلَ حياة فوزي جميل لجحيم محقق.

وها أنا ذا أمام الألة الكاتبة الجهنمية الخالية من الحروف أجلس على مقعدي المريح منتصبًا متحفزًا.

الصفحة بيضاء من غير سوء ، ولكن بداخل رأسي من الأفكار المظلمة ، ما سيجعلها تتضرع كي لا أتوقف عن تسويدها بمشاعر الكراهية .

ومن هنا ستبدأ القصة الحقيقية .

قصة فوزي جميل المخلوق من لحم ودم ..

قصة القصاص.

تيك تيك تيك توك ..

الجزء الثالث

الهجينة

أعرف ما فعلته

برغم كل مساوىء فوزي جميل الحقيقي، وما أرتكبه في حياته من آثام وشرور ، إلا أنه ظل محافظًا على صورته الجيدة في المحيط القريب منه ، سواء على مستوى العمل أو الجيران أو المعارف . كما أنه كان يحافظ على شعائره الدينية كالصلاة ، والصوم، وغيرها من العبادات التي ربما كان يقوم بها بطريقة ميكانيكية، فبرغم كل شيء هو بشر لديه مخاوفه ومعتقداته ..

يحبه شيخ المسجد برغم أنه يشعر كثيرًا بعدم راحة من نظراته التي تفضح كل شيء ، ويقول بينه وبين نفسه:

- إن بداخل هذا الفتى شيطانًا رجيمًا ، ولكنه لم يتملك منه تمامًا .

يحبه ويهابه أطفال المنطقة ، فمازال للمدرس هيبة ورهبة لم تمحُهَا نقود الدروس الخصوصية ، أو جشع المدرسيين .

تحبه خطيبته فهو في وسامة الشياطين ، ولديه لسان عفاريت وادي عبقر ، كما أنه يعرف كيف يُبْهِرَهَا .

كما تحبه بنت الجيران التي لا يعلم بوجودها ، والتي ظهرت عليها ملامح أنوثة مبكرة وثارت هرموناتها قبل الأوان لتتخيله دومًا زوجها القادم ، أو على الأقل حبيبها حتى تحصل على زوج مناسب يشبهه .

محاطٌ ذلك الوغد دومًا بالحب والمحبين كعادة أمثاله من المخادعين..

الأوغاد فقط هم من يحصلون على الحب الصادق في هذا العالم .

إن لديه كاريزما مغناطيسية ، تجعل كل من يتعامل معه يسقط في هواه ، و هو يعلم كيف يستغل هذا الحب لارضاء شهواته.

كنتُ على يقين أن من يحبه الناس بمثل هذه الطريقة لم يمت قلبه تمامًا ، وهذا شيءٌ جيدٌ جدًا ، فهذه أصبحت مهمتي الآن .

ستموت روحه ويموت قلبه ، وجسده في النهاية .

ولكن لنتعرف عليه عن قرب أكثر..

فوزي جميل ككل البشر عدة شخصيات تسكن جسدٍ واحد ، شخصيات متناقضة تصنع منه هذا الشيطان الوسيم المبهر.

شخصيته التي يُصَدِّرُهَا لقاطني منطقته ومن يقعون في نطاق عمله، هي صورة الشاب الخلوق الملتزم أخلاقيًا ودينيًا ، تلك الصورة التي يجب أن يحافظ عليها ليحافظ على مصدر رزقه . فالمدرس يجب أن يكون مصدر ثقة على كل حال ، فمن يملكون المال يمنحونه فلذات أكبادهم ..

يواظب على ممارسة شعائره الدينية بانتظام كما أخبرتكم من قبل، كما يحافظ على تواصل جيد مع الجيران . ويجامل في المناسبات الإجتماعية سواء عُرس أو عزاء..وبرغم تلك الصورة الخادعة . إلا أن فوزي جميل كان مدمن لشيئين لم يكن يملك من أمر نفسه أمامهم شيئا..

الجنس والحشيش ..

ولو خلت الدنيا من أي منهم في أي لحظة لأصابه الجنون ، وربما مات كمدًا أيضًا .

إنه ينتمي لذلك المجتمع المتدين بطبعه ، والذي يمارس كل الفواحش فور خروجه من دور العبادة .

لم يكن شاذًا عن كل من في المجتمع ، ولكنه كان وضيعًا جدًا ، مستسلمًا دائمًا لشهواته ونزواته ، حتى أنه قد أنفق ما تَحَصَّلَ عليه من أموال خلال ثلاثة أشهر ، ليضاجع عاهرتين معًا .

كانت فكرة مجنونة وحقيرة ولكنه فعلها ، ومبرره الأخلاقي أنه ما دام لا يضر شخص أخر ، فكل شيء بخير ..كما أنه مارس الجنس تحت تأثير الحشيش ، وباستخدام الكيس البلاستيكي ، لقد اقترب بشدة من الموت هذه المرة لإرضاء شهواته ، حتى أن رائحته الكريهة ظلَّت تَعْبِقُ أنفاسة لفترة طويلة ..كان عبدًا لشهوته ، ولكنه كان حذرًا ، وشديد الانفصال عن كل إحساس بالذنب ، ربما لذلك يُكثِر من تعاطي الحشيش ..

كان يعيش حياته بالطول والعرض ، فهو يتيم ولا أخوة له ، ولديه شقته أو وكر ملذاته ، ومبلغ في البنك كوديعة يتحصل منه على ربع شهري جيِّد ، بالإضافة لعمله في المدرسة والدروس الخصوصية ..

أَحَبَّ ذات مرة زميلة له في العمل ، هو نفسه لم يصدق الأمر ، فهي متحفظة محتشمة ، شديدة النحول ، وشفافة ..

لايعرف حقيقية لماذا تعلق بها الأن فهي أمامه منذ عدة شهور ؟!ربما كانت رغبة في التغيير أو نزوة طارئة ، وربما ملّ ذلك الجو الملوث بأنفاس العاهرات وأراد أن يتطهر بحبها .

ألقى بشباكه حولها فلم تقاوم وسامته ، إنها تقترب من الثامنة والعشرين ، ولم يتوقف قطار الزواج في محطتها قط ، وفوزي الوسيم عريس رائع ، بل أكثر من رائع ، وعليها ألا تترك الفرصة تضيع من يديها ، فالقدر نادرًا ما يبتسم لأمثالها.

لقاء على النيل ، لقاء في كافيه إيتوال ، لقاء على الكورنيش ، قُبلة مختلسة في غرفة المدرسين في المدرسة ، باقة ورد ، بعض الرسائل على الفيس بوك ، ثلاثة أسابيع ثم.. خواء تام ..وشعور عارم بالفتور .. لم يعد يراها أو يشعر بها ، أو يشتاق إليها .

إنها تخطط طوال الوقت للزواج وهو يخطط للمتعة ، طريقان متوازيان لا يلتقيان ، خاصة أنه عندما تمتلك المرأة فكرة الزواج تُصابُ بضيق الأفق ..

والأهون عليه أن يتعامل مع أفعى سامة ، ولا يتعامل مع امرأة ضيقة الأفق .

فضيق الأفق يقتل نصف جمال المرأة وكل روحها .

زَهِدَهَا في فترة قياسية ، وتفرغ بعدها لعمله وملذاته ..وتركها تتجرع آلام قصة حب فاشلة بكل حقارة ، وخرج من هذه التجربة الكئيبة بيقين :

- إن الحب بالتأكيد هو أحد أكثر الأشياء التي تُضيّع الوقت وتبعث على الملل ..وعليه ألا يعشق مجددًا.فكم من وقت ثمين سيضيعه في مشاعر تتبخر أسرع من مياه المحيطات ، وتتحول مع الوقت لقيد ثقيل .

هو الآن يعيش حياته كما يريد مُطمَئِنًا للمستقبل.. فحسابه البنكي كل شهر في نمو ، صحته كالحصان ، مزاجه رائق ، الحشيش عاد ليتوفر بكثافة بعد أن عادت للشرطة هيبتها وقوتها، ومع الحشيش تتواجد النساء.

الحياة تسير على وتيرتها التي تعجبه ، لا دخل له بالسياسة ، ولا بأحوال البلد ، هو لا ينتظر منها شيء ، وهي لا تتدخل في شئونه ، لذلك كان مطمئنًا ، ولا يعرف أن وقت الحساب قد حل.. لا يعرف ماذا ينتظره هناك في كتاب الغيب ..

لا يعرف أن هناك من يعرف ماذا فعل ذات صيف ، وماذا أقترفت يداه ، وكيف أنه يعيش بلامبالاة برغم أنه السبب في انتحار إنسانة أحبته وربما أكثر من الحياة نفسها.

لا يعرف أن هناك من يتهيأ ليُحِيلَ حياته لجحيم ، والمثير للفضول هو معرفة رد فعله لو عرف بأمرٍ مماثل .

***

تيك تيك توك ..لقد حان الوقت ..!!

***

ذات ليلة شتوية عاصفة، غاب عن سمائها القمر ، وتوارت النجوم خلف رداء السحب القاتم المكفهر ، بدأ الأمر ..

البرد يغتال كل شيء، السماء يجرحها البرق ويزعجها هدير الرعد ، والشوارع خالية لا تقطع وحدتها أنشطة البشر المحمومة ..كل شيء قد سكن أو اختار الكمون حتى يمضي الليل وتأتي الشمس،إلا روحي المثقلة بكل أنواع الكراهية ..أجلس بداخل غرفتي جيدة الاضاءة ..مع ضخم من النسكافيه البلاك ، موسيقى كلاسيكية تعزلني عن الكون ..صورة ستيفن كينج التي تزين الحائط ، تمنحني الإلهام ..كل شيء مهيأ للهول القادم ..

أجلس على مقعدي المريح ، أمامي الطابعة السوداء الجهنمية الخالية من الحروف، أرتب لروايتي الجديدة ، بل لجريمتي الجديدة ، بل للقصاص ، أشاهد عبر القرين بعين ثالثة ما يقوم به فوزي على فترات متباعدة وكأني أشاهد بثًا حيًا مباشرًا لأحد مسلسلات تليفزيون الواقع..وهنا قفزت الفكرة المقلقة إلى رأسي ..بل أقتحمت عقلي كقذيفة مؤلمة ، ومعها تداعت ذكريات مختلفة ، وأفكار ترابطت مع بعضها حتى صنعت علامة إستفهام كبيرة ومخيفة ..

وكانت الفكرة التي دارت في عقلي لحظتها ، تنبع عن يقين تام بأن كل ما قرأته عن القرين لا يوحي بهذه السيطرة ، ولا بهذه القدرات الفائقة التي يتمتع بها ويخصني ببعضها..

هناك شيء مريب في الأمر ،شيء غير مريح ومزعج ..!!

تُرى هل أخطأت في التعويذة فاستدعيت شيئًا أخر .!! أم أن من وضع الكتاب أخطأ في ذكر الهدف منها، أم أن الكتاب نفسه تم العبث به ..!!

كلها أفكار كارثية ومخيفة وواردة الحدوث ، ولكن ليس وقتها الآن ، فلو كان متبقى لي عمل واحد قبل أن أغادر هذه الحياة ، فهو الانتقام من فوزي جميل.

على كل حال الغرض الذي أريد الوصول إليه بتواصلي مع هذا العالم المخيف يتحقق ، ولا بأس لو كنت قمت باستحضار تنين مجنح بدلًا من القرين .. فالعبرة بالنتائج .

وأدت كل ما دار في عقلي من أفكار وإن ظلّ القلق ينهش في روحي دون قدرة كاملة على إبعاده..

أغمضت عيني لأستدعي كل كراهيتي لفوزي جميل، فسطعت صورته في عقلي شديدة الوضوح والجودة ..

لقد بدأ البث الجهنمي ..

أهلا بك أيها الحقير ، على تردد قناة الجن ، وأعدك أن بعد هذه الليلة ، لن تستطيع أن تغمض عينيك ..

الأمطار في الطريق إلى منزله تهطل على حياء ، وكأنها خجلى من ملامسة الأرض ، البرودة تغتال دفء كل شيء ، الكلاب الضالة والقطط التي لا أصحاب لها توارت في أماكن غير معلومة ..كل شيء يمهد لليلتنا الكبرى .

الشارع في هذه اللحظة فارغ كقلب ملحد ، يقطعه وسط الظلام فوزي جميل عائدًا من عمله في مركز الدروس الخصوصية منهكًا مرهقًا ، يُمَنّي نفسه بدش منعش وفراش دافيء، وبقايا وجبة الأمس من الطرب والمشاوي ، فاللحم المشوي البارد نكهته ، وهو لا يجد غضاضة في تناوله وهو على هذه الحالة ..

صعد الدرج في خطوات رتيبة مسموعة، يدندن لحن سخيف سمعه في محطة الأغاني في سيارة الأجرة التي كان يستقلها منذ دقائق وأنزلته على الناحية الأخرى من الطريق.

طابقين وبعدها قطع الممر المفضي إلى شقته القابعة في أخر الممر ، ثم توقف أمام باب شقته المغلق ، ونظر نحو مصباح الممر المحطم والذي يُشِع بالضياء ، وشهق في دهشة وهو يتسائل في قلق عن حقيقة ما يرى ..

المصباح المحطم يُشِع بالضياء في سابقة غير مفهومة .. قلب الأمر في رأسه عدة مرات وعيناه معلقتان بالمصباح المتوهج ، فلم يجد تفسير حقيقي إلا أن هناك خلل ما أصاب عيناه ..

فالمصابيح المحطمة لا يمكن أن تُشِع بأي ضوء خاصة وقد احترق فتيلها المصنوع من التنجستين ..إن ما يراه يثير بداخله قلق مبهم ..

رمق المصباح مرة أخرى بتوتر ، ثم أخرج مفاتيحه من قلب معطفه الجلدي، وعندما همَّ بدسها في قفل الباب لفت نظره تلك الرسمة الغريبة والتي خطت على باب شقته بالطبشور وبخط منمق،وفي منتصف الباب تمامًا ، فوقف يتأملها في ريبة للحظات.

كانت الرسمة تشبه لعبة الأرقام التي يمارسها كل طلبة المدارس في غفلة من المعلم.. فحصها ببصره وهو يتثائب في عمق، فبدت له لغزًا رياضيًا محيرًا ، بكل ما تحتويه بداخلها من أرقام ورموز.

لا يمكن أن يكون هذا العمل الدقيق عمل طفل أبدًا .

مد يده محاولًا محوها ، فتعلقت يده في الهواء للحظات ، وخيل إليه أن الأرقام والرموز بداخلها تتألق في قوة بضوء ناري مشع. فتراجع متقهقرًا للخلف،وهو يشيح بيده، وقد خيل إليه أن الشرر المتناثر من تلك الرموز قد يؤذي عيناه .

أعاد النظر نحو الرسمة الغريبة ، وبداخل عقله تشكلت الحقيقة ، هل ما يراه بالفعل هو طلسم سحري ، مما تغص به أفلام الرعب .

- لا يمكن أن يكون شي غير ذلك .

هكذا ردد بينه وبين نفسه غير مصدق ما يحدث ؟!

أهي جارته إحسان التي ترغب في الزواج منه ، أم هو شخص أخر يريد أن يؤذيه بهذه الطريقة الجهنمية ..

دقق النظر إلى الطلسم ، اتسعت عيناه من الدهشة ، هل شكلت الحروف بالفعل تلك الكلمة التي قرأها ، أم هو الإرهاق ..

القصاص ..يالها من كلمة ..ويالَ وقعها المرعب على النفس ..من يريد أن يقتص منه ليرهق نفسه بتنفيذ أمر مماثل ..بل من يتربص به .

قرر بينه وبين نفسه أن يمحو هذا الطلسم بأي وسيلة .. وفي هذه اللحظة شعر بريح حارة تجتاح المكان ، وبصدمه جعلت الظلام يكسو عيناه للحظات ، وبعدها تلاشى فضوله نحو رسمة الطلسم، ثم تجاهلها بفتور غريب ، وهو يردد :

- إنها برغم كل شيء رسمة بالطبشور ..

شيء ما يدفعه ليتجاهل كل هذه الأشياء المريبة . ليُقنع نفسه بكونها من صنع أحد أطفال الجيران ، تجاهل بالطبع الدقة في رسمها وتلك الرموز والحروف والأرقام الموزعة بداخل المربعات بإتقان.

للحظة فكر ..اليوم غريب بالفعل ..وما يحدث ليس له تفسيرًا منطقيًا.

دخل من الباب وأغلقه خلفه في أحكام . وكأن هذا الباب يكفي ليهرب من قدره أو يمنع عنه الشر القادم ..

إنه لا يعرف شيء عن هذا العالم المجهول الذي غاص فيه بقدماه بمجرد عبوره الباب، فهو لم يحتك به من قبل . ولكن يبدو وكأنه قد حان الوقت لذلك ..

تيك تيك تيك توك ..كان هذا الطلسم أول هدية له مني ..

إن كتاب شمس المعارف الأصلي كارثة حقيقية، فهو يعج بالتعاويذ والعزائم الصالحة لكل شيء ولكل شر محتمل . وهديتي الأولى له هي إبطال النوم ..

لن يكون انتقامي منه هينًا ..ولن يكون بسيطًا بحالٍ من الأحوال ، وهذا وعد قطعته على نفسي ..

فالمصابون بفقدان القدرة على النوم يتعذبون ، وينهار جهازهم العصبي مع الوقت ، وتصبح أعصابهم فتيل مشتعل وقابلين للانفجار في أي لحظة ..

وهذا هو المطلوب تمامًا ..أن أفسد حياته ، وأجعلها جحيم مقيم ..وتلك هي البداية فقط ..

لقد أدرجت الطلسم الذي سيفقده كل قدرة على النوم في قصة فوزي وقام قريني بالمطلوب .وهاهو الطلسم على باب شقته حقيقة أثقل من الواقع نفسه، وعلى الجيران أن يعانوا معه من سيل الكوابيس الذي لن ينقطع طالما ظل ذلك الطلسم في بنايتهم .

خطا فوزي داخل شقته ثم توقف للحظة شاعرًا بعدم الارتياح ، وقد تعكر مزاجه لسبب لا يعرفه ولكن نعرفه نحن جيدًا.

إن الطلسم يُشِع طاقة سلبية هائلة ، وجسده البشري الضعيف يتشبع بها ، ويتفاعل معها ..وها هو يسحب أخر نفس من سيجارته المحلية قبل أن يعبر لداخل شقته، وعندما خطا للداخل كانت تنتظره مفاجأة ، بل أكثر ..

شقته مضاءة بالكامل ..حتى المصابيح التالفة التي لم يعمد لتغييرها تُشِع بالحياة والضوء..رائحة كبريتية ثقيلة ومقززة تُفعِم هواء الشقة ، والماء يغرق السجادة المفروشة بأرضية الصالة، ولكنه لمْ يتسلل بعد لخارج الشقة ليزعج الجيران، الوضع في المجمل كارثي ..لقد تأكد بنفسه من إطفاء الأنوار وإغلاق صنابير المياه قبل أن يغادر.

تفقد مفاتيح الإنارة ثم شهق .. مفاتيح الإنارة على وضع الإغلاق ، كيف إذًا تشتعل الأضواء ؟!ثم ما هذا الصوت الهامس اللعين الذي يبدو وكأنه ينبع من جدران الشقة ذاتها ؟!!

- ستموت ..ستموت ..إنه القصاص العادل .

لا يمكن أن يكون الحشيش الذي تناوله بالأمس بمثل هذا السوء، صحيح أن الأوغاد يخلطونه بالحناءوببعض المواد الكيماوية وبعض حبوب الهلوسة ، ولكنه واثق تمامًا من كونه ترك الشقة مظلمة والصنابير مغلقة ، والتلفاز أيضًا ..

لابد وأنه مصدر الصوت الغريب ، ربما نسي صمام الغاز ، ولكنه لم ينس أي من التفاصيل السابقة ..التلفاز نفسه يعرض تموج غريب للظلام على شاشته ، يتشكل على هيئة وجه مخيف يظهر من بين التموجات ، ليثير فزعه قبل أن يتلاشى في العدم .

هل هي مزحة من شخص ما ، أم هي أفعال لص سخيف ؟!.

أقلقه الأمر كثيرًا فتوجه صوب الدولاب ، ليجد ذلك الجزء من مدخراته ، مازال قابعًا هناك ، ليستبعد على الفور فرضية اللص غريب الأطوار..

فؤاد صديقه الوحيد والذي يمتلك مفتاحًا لباب شقته ، ليس بهذه السخافة أو السماجة ليعد له مقلبًا، كما أنه ليس متفرغًا أو عاطلًا عن العمل ليمارس هذه السخافات معه ..البيت خالٍ كروح أرهقها الحزن ، ولكن عقله لم يُشفَ بعد من التساؤلات ، المريبة .

ماذا يحدث في شقته حقًا ؟!.كيف تشتعل الأضواء والمفاتيح على وضع الإغلاق ؟! لمن هذا الوجه المخيف المتجسد فوق شاشة التلفاز ؟!!ما قصة الماء الذي يغرق كل شيء في منزله ، وكأن سحابة مجنونة أمطرت على كل شيء وأفسدته ..الجدران نفسها تنضح بالماء ..

نظر للماء الذي تسرب لكل مكان في الشقة ، ونسى بعدها تمامًا مشكلة الإضاءة والمصابيح التي تشتعل بدون كهرباء .

كان مرهقًا وبشدة ويرغب في النوم ..النوم الذي سيتمناه دون أن يحظى به لفترة طويلة ..ولو حظي به لن يمنحه أي راحة .

دخل إلى الحمام وأحضر أدوات تجفيف المياه وهو يلعن كل شيء بعد أن تأكد أن الصنابير المغلقة هي مصدر المياه التي تنهمر لتغرق كل شيء في شقته ..إن التفسير نفسه عجيبًا ..منسوب المياه منخفض فكيف ابتلت الجدران وكل قطع الأثاث .

مرت دقائق كثيرة عجز عن إحصائها، وهو منهمك تمامًا في تنظيف الشقة بعد أن أغلق المحبس الرئيسي، والذي لم يمنع تدفق الماء رغم كل شيء .

بعد ساعة من العمل المضني توقف عن نشاطه المحموم بعد أن كَلّت يداه، إن الأعمال المنزلية ليست للرجال،هم أضعف من القيام بها برغم كل جبروتهم .

تطلع حوله للشقة المضاءة كقلب الشمس ، وشعر ببرودة تتسرب لأطرافه ، إن الضوء غير معلوم المصدر مخيف كالظلام تمامًا ..

الأمر مريب بالفعل وموتر للأعصاب تمامًا ، الضوء الساطع نفسه إحدى وسائل التعذيب في كل معتقلات العالم .. ولكن لا وقت لديه لترف البحث عن تفسير ، لابد وأن ينهي مشكلة الماء ، خاصة وأن الماء قد بدأ يتوقف عن الانهمار من الصنابير كما بدأ دون سبب ..

خمس ساعات كاملة ينتشل فيها المياه، ويلقي بها في المغطس لتتلاشى بعدها منهية جزءًا من المشكلة .. وعندما جلس في النهاية على مقعد الصالون ليستريح ، وهو ينظر لنهر المياه التي لم يجففها بعد ، انقطعت الكهرباء ...

أطلق سبة فاحشة قبل أن ينهض على ضوء هاتفه المحمول ليتفحص مفاتيح الإنارة ، وعندما أعادها إلى وضع التشغيل ، سطعت بقوة لتعمي عينيه للحظات ، ثم عادت لطبيعتها ، مجرد أضواءًا شاحبة ..

وعندما رُدَّ إليه بصره ، نظر نحو الشقة الجافة ، والتي لا توجد بها قطرة مياه واحدة ليطلق صرخة استنكار ، وهو غير مستوعب لما يحدث ..

هل منزله مسكون ؟ متى وكيف ولماذا؟!

هل أصابه الجنون ؟! حل مريح ومنطقي ..

هل هناك عمل يقوم به لإنهاء هذه الليلة السوداء ؟..

النوم ..

إذًا اللعنة على كل شيء ..

وفي هذه اللحظة سمع الفحيح الهامس، فوقف شعر جسده وأغرق العرق جبينه وتحت أبطيه :

- ستموت ..ستموت ..إنه مصيرك الحتمي أيها الفاني .

الصوت الهامس يخدش روحه، متسببًا في المزيد من الضيق والكآبة ، وإنفلات الأعصاب ..تلفت حوله مرة أخرى في دهشة ، ثم نظر للدلو وأدوات التنظيف في حيرة ، ثم لعن الحشيش المغشوش ..

شعر بجفاف في حلقه ، فتوجه صوب الثلاجة ليروي ظمأه ، وعندما أقترب من الثلاجة ، سمع صوت الخمش والصرير الصادران من داخلها ، فتراجع خطوتين للخلف ..

إنها ليلة سوداء ..ليلة سوداء ولن تنتهي على خير أبدًا .

كان يلهث في عنف ، وقلبه يدق في قوة ، وعقله يحترق من التفكير..

هل يفتح باب الثلاجة ، أم يترك الشقة كلها ويغادر..

الهمسات لا تنقطع ..صوت الخمش والصرير يتعاليان ..

المنزل مسكون ..أو أصبح كذلك ..هو على يقين من هذا ، ويقينه هذا مخيف جدًا ، فهو سيواجه ما لم يستعد له أو يقابله حتى في أعتى كوابيسه .

نظر نحو المنضدة فوجد كوب ماء نصف ممتلىء بجوار بقايا شطيرة كان قد تناولها في الصباح قبل أن يهبط لعمله .. حمل الكوب في يده وعندما هم بتجرعة ، شعر بدرجة حرارة الكوب في يده تتصاعد ، ثم شاهد الفوران.

لحظات واستحال لون الماء إلى اللون الأحمر القاني ، وبعدها إنفجر الكوب لتغمر الدماء كل شيء ..

ومع الإنفجار شعر بأعصابه تفلت فأطلق سبه بذيئة أخرى . لم تفحص وجهه وتنفس الصعداء عندما وجده أملس كوجه طفل ، ولم تناله أي من الشظايا الزجاجية التي غمرت كل شيء مع انفجار الكوب.

نظر بهلع نحو الجدران الغارقة في الدماء ، وكأن الكوب كان يحمل طنًا منها ، وهو يتابع ذلك الكيان الدموي السائل الذي ينساب عبرها ليتشكل أمامه بقلب الصالة ..

تراجع إلى الخلف محتميًا بالاريكة ، وفي اللحظة التالية انهار الكيان الدموي ليتحول إلى جيش كامل من الصراصير التي غمرت جسده . وأخذت تتسلل إلى فتحات جسده في سرعة مؤلمة ، كان عاجزًا عن رد هجومها ، وهو يتقيأ في عنف ليطرد ذلك الصرصور الذي دخل إلى أحشائه عبر فمه ..

وبكل رعب الدنيا ، لمح تلك الحركة المتوترة تحت جلده . فأخذ يقفز في عنف ليطأ جيوش الصراصير بحذائه وهو يصرخ :

- الصراصير بداخلي ..بداخلي .

وهنا توقفت أنا عن الكتابة لحظتها ، ونظرت للجدار الذي بادلني النظرات في فهم .

سأتركه يقضي ما تبقى من الليل مع وساوسه ومخاوفه لأحظى أنا ببعض النوم ..النوم الذي لن يحظى فيه براحة لوقت طويل ، قبل نومته الأبدية التي أعده فيها أن تكون مروعة ..ومؤلمة ..

تمددت على فراشي منتشيًا لدرجة لا يتصورها إنسان على هذا الكوكب البائس.. لقد أكتشفت إكتشافًا لم يفاجئني قط ..

إن في أعماقي يسكن شيطان حقيقي ..شيطان يستمتع بالشر والأذى ورؤية خصومه يتعذبون .

لم يكن الأمر إذًا مجرد تغريره بإيمان ، ولن يكون بعدها ، ولكن وجودها كمبرر يؤجج الصراع ويجعله أكثر عدلًا .

لقد تحضرت كمجرم عتيد يجهز لجريمته الكبرى ..هيأت الجو المثالي للكتابة ، قدحت زناد فكري، وأنهكت قريحتي لأخرج بأقوى الأفكار، كي أحيل حياة فوزي جميل إلى جحيم ، حرمته من النوم ، وأراقبه عن كثب ..

أنا الأن أكرهه كما لم يكره إنسان إنسانًا أخر في الوجود.

روحي كإسفنجة تتشبع بهذه المشاعر السوداء حتى أن رغبتي الحقيقية تتلخص في أنني أريد سفك دم فوزي جميل بيدي لا عبر وسيط ..

إن هذا الوغد يستحق كل شر ، وما أملكه الأن أن أوجه موهبتي كلها لأقتص منه ، وهاهو الوغد يتعذب ..

إنني بالفعل منتشيًا ، فللانتقام لذة تفوق لذة الحشيش نفسه ، وللمرة الأولى في حياتي ،أترك سيجارتي الحبيبة المحشوة بالحشيش على الكومود دون أن أقربها ..

أعرف يقينًا أن أطنانًا منه تحترق بداخل آلاف البيوت المصرية .إن الحشيش أصبح هو مزاج المجتمع المصري ككل بكافة طوائفه الآن ، حتى ولو أنكر المجتمع هذا ، على سبيل المثال نسبة الفتيات اللائي يقمن بتعاطي الحشيش مخيفة، وتطرح تساؤلًا حقيقيًا عن دور الوالدين في تنشأة أبنائهم .

كيف يصير سم مثل هذا ، هو الحياة البديلة ، والمهرب ، وربما المنفى أيضًا .

إن حياة الإنسان على هذه الأرض ، هي رحلة كاملة من الهروب لا تنتهي إلا بموته .

وبرغم كل شيء ..لا أحتاج للحشيش اليوم ، فنشوتي مصدرها شيء أخر ..

فأن تعرف أن خصمك يعاني الآن ويدفع ثمن أخطائه بواسطتك ، هي لَعَمْرِي متعة لا تفوقها متعة أخرى في الحياة ..

إن شيء بداخلي يتبدل ، ويتغير ويصير أكثر إظلامًا ..

لقد شعرت بهذا مبكرًا جدًا وتوقعته ، فمع كل حرف أكتبه ، أفقد جزءًا من روحي ، هذا ما أشعر به وأحاول إنكاره وتجاهله..إن شهيتي للموت تتضاعف بالفعل ..وبموهبتي أجعلها مثيرة .

روايتي الأخيرة ، كانت مجموعة من الفخاخ القاتلة ، أرواح كثيرة أقتنصتها ، وكلي متعة ، أشباحهم تزورني في كوابيسي ولكنني أعتدتهم ، وربما أفتقدهم لو غابوا عني ..

لم أستطع بالطبع النوم مباشرة ..

فعندما تكون حزينًا جدًا لا تستطيع النوم وعندما تكون سعيدًا جدًا لا تستطيع ذلك أيضًا ، النوم لا يتفاعل مع المشاعر المفرطة ..النوم يحتاج للتوازن في المشاعر والسكينة .

ويبدوا أن قريني كان مستمتعًا هو الآخر بالعرض الذي يبث منه لرأسي مشاهد منه ..

إن هذه الخدمة الـ **full option** تستحق بالفعل كل ما عانيته ..

لا أعرف حقًا لماذا تذكرت إيناس الآن ؟!.ولكني تجاهلت كل شيء وركزت كل تفكيري على فوزي ..وها أنا من منظور علوي أشاهد معاناته ...

جيوش الصراصير تهاجمه في عنف وتتسلل لداخل جسده عبر فمه ، بحيرة من القيء تغرق الأرض من حوله معظمها من عصارة المعدة الصفراء ، جسده يتلوى وكأنه يحترق ..

لقد بلغ به الرعب مبلغه الآن ..أنفاسه تضيق ويتفاعل مع الوهم كأنه حقيقة .. عروقه نافرة ، ووجهه تغمره زرقة الموت ..وهو ما لن أسمح به.

والآن سينتهي هذا الوهم ..تيك تيك تيك توك ..

فجأة تلاشى كل شيء ..لم يعد وجود للصراصير ..لم تعد تتسلل إلى أحشائه ولم تعد تتحرك تحت جلده ، ولكنه مازال يشعر بأقدامها تسرح فوق جسدة .. يحتاج لأن يحرق جسده كي يشعر بالنظافة من أثارها ..

نهض وجلس على ركبتيه ، وهو يقيء المزيد من العصاره الصفراء ، حتى شعر ببعض الراحة ..وهنا تجاهلت النوم وعدت لآلتي الكاتبة ..مازالت هناك تفاصيل أخرى وأكثر ..لابد وأن يواجه المزيد من المعاناة ..إن عقلي يحترق من كثرة الأفكار التي بداخله ..كتبت صفحة كاملة في دقيقتين ، ثم عدت لأتابع ..عبر البث الجهنمي ..

كان فوزي جميل يقف برعب أمام الثلاجة وهو ينصت لتلك الأصوات المقبضة الخارجة منها، ذلك الصندوق المغلق البارد والذي يحوي بداخله الآن ما يمكن أن يثير الخوف ويطلق الخيال ..

فبعد المياة العجيبة التي لم تكن موجودة من الأساس، والكهرباء التي تعمل والمفاتيح على وضع الاغلاق، والتلفاز الذي يحمل وجهًا متوعدًا مظلمًا، والصراصير التي هاجمته ثم تلاشت ، لابد وأن يحتوي هذا الصندوق البارد على كارثة محققة أو أكثر..

ولكن من من الممكن أن يقاوم فضول وجود صندوق مغلق بداخل منزله يصدر مثل هذه الأصوات المريبة ، هذا غير الجوع الذي ينهش أحشاءه ..

معادلة صعبة جدًا ، كنت مستمتعًا جدًا وأنا أتابع أثرها على وجهه ذلك الوغد يعاني حقًا ..يعاني وهو غير مستعد ولا عالمًا بما يواجهه يعاني و قد قرر ألا يستسلم ، فتوجه صوب المطبخ ، وأحضر أكبر السكاكين الموجودة هناك ، وتقدم بخطوات من هلام صوب الثلاجة ..

صوت الخمش يتعالى ، ممتزجًا بذلك الصرير المرعب ، وأصوات التمزيق .. قلبه يدق في عنف ، معلنًا عن حالته النفسية المتردية ..عقله يشتعل بالأفكار والتفسيرات الغير منطقية ، والتي تكاد تتسبب له في جلطة دماغية ، وبرغم ذلك طفا سؤال مخيف ومنطقي وسطها:

- ماذا يمكن أن يواجه خلف باب الثلاجة المغلق ؟!

الأبواب المغلقة مخيفة في حد ذاتها، فماذا عندما يصدر من خلفها هذه الأصوات ، وهذا الصرير؟.

قبض بقوة على مقبض الباب البارد ..ردد بعض الأدعية - مؤمن جدًا هذا الوغد - ثم فتح الباب وتراجع للخلف وهو يكاد أن يتعثر ..ثم شهق من الصدمة دون أن يقدر على النطق ..فما رآه لم يكن مبهجًا على الاطلاق ..

فأران بحجم القطط في ثلاجته ويلتهمان ما تبقى من وجبة عشاءه بالأمس .. فأران مستمتعان بالكفتة والطرب والأوصال .فأران أستدارا يرمقاه بأعين حمراء شيطانية مشتعلة متوعدة ومنذرة بالشر.

كان المشهد مخيفًا ومقززًا حتى أنه كاد يتقيأ روحه ذاتها ، إلا أن معدته لم تعد تحتوي على أي شيء ، المرة القادمة سيقيء أحشائه ذاتها ،وعلى الفور أغلق باب الثلاجة في قوة ، وأسند ظهره عليه وهو يلهث في عنف ..إنه موقف صادم لأقصى مدى ..حجم الفأران مخيف للغاية ، أعينهم شيطانية لا تمت لهذا العالم بصلة ..نظراتهم المتوعدة أتت من قلب الجحيم ..

ظل يلهث لدقيقة كاملة وهو يضغط بجسده على الباب ، متوقعًا في أي لحظة هجومهم الغادر، وهو ينظر لقدميه بطريقة غير مفهومة..كان يفكر في خوف ، هل تستطيع مخالبهم الحادة أن تخترق باب الثلاجة السميك المدعم بعوازل حرارية ..بل هل يمكنهم الاطاحة بالباب ككل ومهاجمته ؟!كاد أن يبكي وهو يشعر بضعف شديد .. لقد تأكد الآن من أبشع مخاوفه ..إن منزله مسكون ..وهو مع كل هذا الإرهاق ، لن يستطع مواجهة كل مايراه أمام عينه وحده .

حمد الله أنه لم يتزوج ، وأنه ليس لديه أطفال ، فبأي منظر كان سيظهر أمامهم ، وهو خائف من فأران ، حتى لو كانا في حجم القطط ، وأعينهم تسطع بضوء أحمر مخيف ..

الفئران مخيفة في حد ذاتها ، ولكنه لم يرى فأرين من قبل بهذه البشاعة .

فئران ممسوسة ..

فكرة لو طافت بذهن مخرج غربي أجنبي لتحولت لفيلم مروع ، وفوزي جميل لديه ذكرى مروعه مع الفئران ، أثارها لم تُمْحَى من روحه أو جسده ..

وبكل ما يموج بداخله من قلق ، جذب تلك الخزانة الصغيرة التي توضع بداخلها الأحذية دون أن يبتعد عن باب الثلاجة المغلق. وأحكم بها إغلاق الباب ، فهو لن يسمح بخروجهم على غفلة منه ، وهو غير مستعد لمواجهتهم الآن مع هذا الضعف الذي يجتاح كيانه،ثم توجه صوب الأريكة ..

عليه برغم كل شيء أن يحظى ببعض النوم ..إنه مع إرهاقه وتعبه لن يستطيع مواجهة برغوث ، فما بالكم بكل ما يمر به في هذه الليلة السوداء ..

تمدد فوق الأريكية ، وهو يحاول إغماض عينيه ..

عيناه مفتوحتان ، كفوهتا كهفان لا باب لهما ..يستجدي النوم دون قدرة حقيقية على اصطياده ، أو الدخول في مملكته الساحرة ..أطلق سبة بذيئة أخرى ، ثم توجه صوب الحمام ليحضر بعض أقراص الفاليوم ..

ثلاثة أقراص قادرة على إفقاد حصان وعيه ، تناولهم ببعض الماء البارد من الصنبور ..

الجو بارد وكأنه بقلب ثلاجة لا بقلب شقته ..بطانية إضافية ليغطي بها جسده ..صوت الصرير يتعالى من داخل الثلاجة ، والباب يهتز في عنف وكأن هناك من يحاول الخروج عبره ..

يتابع كل شيء بأعين زجاجية مرهقة ..الآن سينام رغما عن كل ما يحدث ، سينام نومًا صناعيًا مرحبًا به .

لقد نسي الأحمق في خضم ما يدور من حوله كل شيء عن الطلسم المرسوم على باب شقته ، كما أنه يجهل أن هناك جني مستمتع متربص به .

تيك تيك تيك توك .

أهلا بك في مملكتي .

خلف جدار النوم

لم أنم ليلتها..

النوم يجافيني هذه الليلة برغم حاجتي الشديدة له ، وكأننا عاشقان افترقنا بعد مشادة أنهت كل رابطة بينهما ، بينما نام فوزي جميل كجثة هامدة، نومًا صناعيًا يطلب به الراحة ، والهروب من تلك الأحداث الاستثنائية المخيفة التي مر ويمر بها .

ولكنني لم أستطع من فرط الإثارة أن أستسلم لذلك الخدر اللذيذ المحبب الذي يعلن إنتهاء اليوم ومشاكله ، وكأن ما يمر به فوزي ، هو طلسمي الملعون الذي قام بإبطال النوم في عيني ..

ومن أصلا يستطيع النوم في هذه الليلة الجهنمية ..

مازلت ممددًا فوق فراشي ، مغمض العينين ، أتابع ما يحدث لفوزي ، عبر قناة البث التي لا مثيل لها في هذه الدنيا ..

أتابعه بشغف

أتابعه بكراهية ..

أتابعه بمقت ..

وأتابع تأثير الطلسم المخيف على روحه ..

النوم راحة ، وهو بنومه الصناعي هذا قد وقع تحت طائلة خادم الطلسم ، ولن يحظى بها ..

إنها تجربة مثيرة لأقصى مدى ، ولو استسلمت للنوم وتركتها ، فإنني مخبول دون شك ..

كل كاتب يتطلع لأن تتحول كتاباته إلى فيلم سينمائي أو مسلسل تلفزيوني، ولم تصل قريحة أي منهم لأن يحولها إلى واقع حقيقي وملموس وفوري ..

أنا أقوم بهذا الآن ..ولكني المشاهد الوحيد في هذا العالم ، غير بطل القصة الحقيقي ..القرين ..

من يشاهد فوزي جميل أثناء غيبوبته الصناعية ، سيعرف أنه يمر بطور متقدم من أطوار الكابوس الذي لم يدخله إلا منذ لحظات ، ربما كانوا بانتظاره هناك .. من هم ؟!.

لا أعرف حقًا فالجحيم يغص بكل أنواع الشرور ..

الحقيقة أني مستمتع لأقصى مدى بمنظره الرث ، فوجهه منقبض، حركة سريعة لبؤبؤ العينان ، جسده متشنج وقبضتاه كالمخلب منغرستان في المرتبة الموضوعة فوق الفراش ..يزوم كمريض الصرع ، ويغرق شفتيه بعض الزبد ..

نظرت إليه أتأمله في شماته ..هل كنت تظن نفسك أذكى من الجميع أيها الوغد ؟!هل ظننت أنك ستهرب من القصاص ؟!

هيهات أيها الأحمق، أنا سيف العدالة في هذه الدنيا ،وأنا أكرهك ..أكرهك كما أكره الضعف والفشل والقيد والمرض ..

ربما لم أكن لأكرهك هذه الكراهية المطلقة لو قابلتك بشخصيتي القديمة ، ولكن كل شيء يقودك إلي ، لا شيء عبثي في هذا الكون ، كلها خطوات متتالية تقود نحو تحقيق الصورة الكاملة ..وأنت قطعة البازل الناقصة لأتم التحول ..

أنت الآن مِلكي ..وعليك أن تخوض جحيمي ..

نعم إنه جحيمي أنا ..

هل تشعرون بالحضور معي ..هل تنصتون للهمسات ..هل شعرتم بتلك الريح التي عصفت خارج نوافذكم للحظة ، إنه معكم أيضًا .. ربما يتطلع لتلك الصفحة تحديدًا من خلف أعناقكم ..

وهو الآن هنا يبارك خطواتي ، ويمهد للمرحلة الأولى من الإنتقام والتحول .

- شكرا لك يا سيدي ، سأستسلم أنا أيضًا للنوم كي أكون هناك ، كي أكون لأول مرة سيد هذا العالم ، الذي يقبع خلف جدار النوم .

أعرف أن عليَّ دفع الثمن لاحقًا ..أعرف كل شيء .فقط أمنحني القوة المطلقة في هذا العالم ، ولحظتها ساكون مِلْكَكَ تمامًا ..

نعم إنه العهد الملعون ..وأنا على العهد حتى الموت .

وفي هذه اللحظة ، اجتاحت غرفتي رياح حارة أطاحت بالصور من فوق الحوائط ، ونشرت أوراقي في كل مكان، وشممت في الجو رائحة

كبريتية منفرة ، وشعرت بصاعقة باردة تخترق صدري،وكأن هناك من يتلبسني..ويسري بداخل جسدي..

إن الشيطان يجري من ابن أدم مجرى الدم ، هذا ما أشعر به بالفعل .

الغرفة تظلم والكهرباء تنقطع عن المنطقة بالكامل ..طاقة هائلة تسري في جسدي مع ألم متقطع ، وحرارة شديدة أجبرتني على نزع كامل ثيابي ..

وفي هذه اللحظة ، وجدت جسدي يتحرك بدون إرادة مني ، وكنت أسري في الهواء وكأنه لا وزن لي حتى وصلت إلى المنضدة التي يقبع فوقها الكتاب الملعون ..كتاب شمس المعارف الكبرى..

الظلام من حولي ثقيل جدًا وكأن له كيان مادي ، جسدي ينتفض في قوة ، الرائحة خانقة ..

أقف عاريًا تمامًا أمام المنضدة ، وكتاب شمس المعارف المخيف يتألق أمام وجهي بضوء ناري ساطع ، وكأنما كتبت حروفه بمداد من نار .

والمخيف أن صفحاته تنقلب الواحدة تلو الأخرى بدون تدخل مني، وكأنما دبت فيها الحياة.

أرمقها في دهشة قبل أن تستقر في النهاية، على صفحة بعينها ..

وبكل ما في جسدي من قوة ، تناولت قطعة من الطبشور وبدأت في رسم العزيمة على الأرض ..كل حرف أكتبه كان يتألق بذلك الضوء الناري المخيف ..

أطراف أصابعي تحترق من هول نار مجهولة تسري فتحرق جلدي ، وبرغم الألم ، أواصل الكتابة ..الدائرة تمتليء بالأرقام والحروف والنقوش المتألقة ..سكين حاد يسبح في فراغ الغرفة ويتجه نحوي ..أنظر نحوه في عدم فهم للحظة ، ثم أتلقفه في يدي ، وأجرح به بطن كفي لأعتصر الدماء لتتشربها الأرضية والحروف ..

ومن داخل عقلي دوت الفكرة المروعة ..إن العزائم التي تستخدم فيها الدماء ، هي تعاويذ ملعونة ولا يجب أن يقوم بها إلا ساحر متمكن، ولكن وقت التفكير قد مر ، وعلى الأمر أن يستمر إلى النهاية .

صوت ممتزج بالفحيح يدوي في المكان ويرج الجدران :

- إقرأ العزيمة تسدد دينك كاملًا ، وتمتلك القوة المطلقة ..أقرأ أيها العبد فإنه العهد .

أقف في مكاني كالمغيب ، أنظر لكتاب شمس المعارف المتألق والذي يسبح في الهواء نحوي ، مفتوحًا على صفحة معينة ، وكلمات محددة بلغة لا أعرفها تتألق أمام عيني ولكني أتقن بطريقة ما فهمها وقراءتها.وبكل قوة بدأت أردد كلمات العزيمة :

بيلهالع ..أشتراكمات ..سيدورت ..أفعارش ..كيموت ..

رامول ..تربجايم ، أمنحات ..بيخوف ..

رادوز .. بليفجات ..مليفات ..سيحتوت ..

الفحيح يدوي ، والريح تعصف بالغرفة وبكل أشيائي ،لأشعر بلفح نيران غريبة غير مرئية يجتاح جسدى ، ويصدر عن جسدي رائحة احتراق مخيفة ، إن شعر جسدي كله يحترق ويضنيني بلسعات مؤلمة.

الصوت المخيف يتردد :

- ردد الكلمات ثلاثة عشر مرة أخرى ..رددها كي يتم المراد ..رددها ففي الكلمات قوة ملوك الجان القدامى ..

أردد الكلمات بكل قوة حتى أن أحبالي الصوتية تئن منها، فتتماوج أحرفها في الهواء وتتألق فوق جدران غرفتي ،ومع المرة الثالثة عشر ..اشتعل المكان بقلب الغرفة بلهيب أزرق مخيف ومروّع أخذ يتراقص ويشع ويتوهج .

ومن قلب اللهيب الذي استحال للون أزرق مخيف، انبثق شعاع زمردي حاد تشكّل على هيئة بوابة تموج بداخلها دوامة مخيفة من النيران ، تمتد إلى ما لانهاية ، ومن كل مكان دوى الصوت المُقبض :

- هذه البوابة هي طريقك نحو عالم الكوابيس ..اعبرها وستمتلك كل ما حلمت به من قوة ..

وتبع الصوت ضحكات مروعة كادت تُفقدني صوابي ، وأخذ جسدي العاري على أثارها ينتفض ويتعرق ..وبكل ما بداخلي من عزم تقدمت

المُغيَّب صوب بوابة اللهب الأزرق المتراقص ، وكل خوف بداخلي من النار يتشكل .

عشرات من الأيدي الملتهبة تحاول أقتناصي ، فأتوقف مكاني ، ولكن الصوت ينهرني لأتقدم ..

أتقدم أكثر من البوابة ، وكل خوف بداخلي يتجسد ..

مخلوقات ذات عين واحدة ترمقني في تهديد ..فأتراجع للخلف ..ولا أعود إلا بعد أن يتوعدني الصوت بالموت ..

أتقدم أكثر ، فأرى أنهار من حمم ونيران ، إلا أن الصوت الغاضب يدفعني للمضي قدما ..

تقدمت أكثر وجسدي غارق في عرق بارد متسائلا :

- هل هي بوابة لعالم الأحلام بالفعل ، أم بوابة للجحيم؟ .

ولوهلة لمحت ذلك الظل المخيف الذي غادر النيران ، ولمحت تلك العينان المشتعلتان ترمقاني. وذلك الذيل المشقوق الذي توارى في الظلام ..

وأثناء عبوري للبوابة ، دوى في عقلي سؤال عنيف أخر:

- هل جننت لأفتح بوابة الجحيم ؟!..

العذاب

انتقل فوزي جميل فور فقدانه لوعيه إلى عالم أخر ؛ بل جحيم أخر أعده له القرين . بمباركتي ، وجسده قد تشبع بكل تأثير للطلسم الملعون ..لقد ظن أنه هرب وأن يومه سينتهي بالنوم ، ولكن هيهات أيها الساذج ، فما خلف جدار النوم عالم أخر ، عالم مخيف ولن يدخله من بوابتي إلا ملعون ، أو تَعِس الحظ.

لم يكن عليك أيها الوغد أن تستخدم ذكائك وأقراص الفاليوم لتهرب من المصير المُعَد لك ..أنت تهرب بالنوم القصري ..وغدًا ستهرب منه ..

أنت الأن في مملكتي ، في قلب الجحيم ، وليس كل الجحيم حُفر ونيران وزبانية للعذاب ، هناك جحيم نفسي أخر مروع يمكن أن تمر به، فتشعر بما تواجهه في الجحيم الحقيقي أو ربما أكثر.

أن تواجه أخطائك وتتعرى أمام نفسك ، وتعرف أنك لست بالنبل الذي كنت تتوقعه عن ذاتك ..أن تواجه نفسك على حقيقتها بدون حجاب ، وتشاهد مكب النفايات ، الذي هو شخصيتك الحقيقية ..

وتلك مواجهة لو تعلمون عظيمة ..

النسيان خُلِقَ للحظات مماثلة، كي لا تصل لذروة المواجهة مع نفسك ، فينهار كل شيء من حولك وتنهار روحك ، وكل ما يربطك بهذه الأرض .

المنتحرون يعرفون تلك اللحظة جيدًا ..لذلك يكون قطع الشرايين ، والشنق ، وحرق أنفسهم ..أهون عليهم من المواجهة مع ذواتهم المريضة.

لقد تواصل قريني مع قرين فوزي جميل وعرف أدق التفاصيل عنه ، عرف أحلامه وطموحاته ، مخاوفه وذلاته ، وكل تفاصيل حياته ، وأيضًا الأشياء التي لم يعد يذكرها ..ومهمتي أن أنتقي من بينها وأجعله يعيش أسوأ ذكرياته ، وأكثر لحظات حياته ألمًا ومعاناة وتعاسة.. سأكون أنا الصانع لأسوأ كوابيسه على الإطلاق.

لقد وعدته بالعذاب ، ولن أُخلِف وعدي قط ، فمن أجله أدفع ثمنًا باهظًا ، ليس أقل منه ذلك الكيان الذي لمحته يتسلل إلى عالمنا أثناء إنفاذ العزيمة، وفتح بوابة الكوابيس .

تجسد وعي فوزي جميل في مكان مخيف ..الشمس هناك على وشك المغيب ، والهدوء يصبغ كل شيء ..المكان يشبه أطلالًا قديمة لمبنى غير محدد الملامح، مجرد خرابة قديمة تمتليء بالقمامة والقاذورات، ولكنها مكان جيد لما ينوي أن يفعله ربيع وجودة بهذا الفتي الوسيم الأمرد.

لم تكن المرة الأولى التي يصطحبان فيها فتى مماثل إلى هذا المكان المنعزل . ولكنها المرة الأولى التي يحظيان بها بفتي بمثل هذه النظافة ..

لم يكن الفتي قد تجاوز العاشرة من العمر ، ملامحه وسيمة وجميلة كاسمه .. فوزي جميل ..

لم يكن فوزي يدرك ما يحدث من حوله ، إنه يلعب بصحبة الكبار ، وهم للمرة الأولى يعاملونه معاملة جيدة . ولم يكن يتوقع منهم غدرًا ، ولكن في تلك اللحظة التي نزعوا فيها عنه ثيابه وشعر بالألم يخترق أحشاءه ..

صرخ ، وبكى ، وتذكر نصائح والدته بعدم اللعب مع من يكبره ..

الألم مضني ..والهروب من قبضتهم مستحيل ..رأسه تدور من الألم مع كل لحظة يشعر فيها بالانتهاك ..وبداخله تولد احساس عارم بالكراهية للكبار ..

كره الكبار ..كل الكبار..

لم يكن يدرك لماذ يفعلون ذلك، ولا لماذا يعاقبه الكبار بهذه الطريقة الجهنمية.

الألم كان شنيعًا ،وكأنها نيرانا تحرق أحشائه ..

الوقت يمضي ببطء ..

الألم يتصاعد ..وبدا لعقله الصغير ، وكأنه ألم أبدي لا ينتهي مع تناوبهم عليه. هذا غير روائحهم التي لا تطاق ، وسبابهم الذي لم يتوقف لحظة واحدة.

ظل يصرخ ويتألم ويبكي ، دون أن يأتي أحد لنجدته ..

كان الألم شنيعًا حتى أنه شعر بروحه تُزْهَق..هل أمتدت تلك اللحظة المؤلمة إلى الأبد ؟! هذا ما شعر به ، فكان يتمنى الموت الذي لا يعرف معناه ولم ينقذه من الألم والانتهاك إلا فقدان الوعي ..

ويومها عاد متأخرًا صامتًا ، لم يلحظ أحد غيابه ، وفي غياب الأم ، لم يعرف أحد معاناته أو يثأر له ، وكل ما فعله أن أبدل ثيابة ، ثم اندس فوق الفراش ، وأسفل الأغطية أخذ يبكي في حرقة ..

كانت ذكرى عنيفة ومخيفة ولا تُنسى ..لقد عانى هذا الوغد في طفولته حقًا .

وهذه اللحظة ستتكرر الآن ..ستتكرر حتى يتمنى الموت دون أن يناله ..

سيتألم ..سيكره نفسه ..سيكره من أعتدى عليه ..
سيكره الحياة ذاتها ..

***

الآن فوزي جميل يعيش تلك المعاناة الرهيبة التي مر بها أطفال كثيرون قبله، في ذلك المجتمع ، الذي مازل يُصِر ، على كونه متدينًا بطبعه ، برغم كل ما فيه من فجور وآثام ..

الأمر صادم ، ولكنه يتكرر في العشوائيات ، والملاجيء ، والمدارس الداخلية ، وفي الشوارع حيث تلك الهوام التي ينكر المجتمع حقوقها، فيطلقون عليها اشمئزازًا أطفال الشوارع .

لقد سحقت قرية قوم لوط لأفعال مماثلة ، فمتى تهبط زبانية العذاب على الأرض ، لتقتص لمثل هؤلاء .

كم مرة عايش فوزي جميل تلك التجربة على يدي ..لا أذكر حقًا ..

ربما عشر مرات ، وربما مائة مرة ، وربما ألف ..لقد جعلته يخوضها ، حتى كادت روحي نفسها أن تُزْهَق ، قبل أن أنتقل به لذكرى ، أقوى وأعنف ..

إن هذا الوغد يستحق حياته بالفعل وما عانى فيها ..

لم تكن طفولة فوزي جميل طبيعية ، ولن تكون بعد الآن .

لقد أفقدته هذه التجربة ، كل أحساس لديه بالرجولة ، ولذلك هو ينتقل طوال الوقت من عاهرة لعاهرة ، من أجل اثبات هذه الرجولة الضائعة .

ولذلك خطب عدة مرات ولم يتزوج ، لم يستطع أن يمضي في المسار الطبيعي للعلاقة ، إن روحه المشوهة كانت تبسط سيطرتها على كل علاقة طبيعية يخوضها ، وكانت تدفعه دفعًا ليحاول أن يثبت الأمر بالقوة والعنف ، وكانت قمة نشوته عندما يستطيع أن ينتزع ذلك الاعتراف برجولته وفحولته من فم نسائه بالقوة ، وليس باللين .لذلك كانت تفشل كل علاقاته الطبيعية مع الجنس الأخر ..

لم يكن فوزي جميل وحشًا حقيقيًا، بل كان ضحية، والضحية عندما تنتقم تتحول لجلاد لا يرحم،ولكنه كان وللأسف جلاد لم يحظ بالثقة في نفسه قط.

كانت هذه هي معاناته الكبرى والتي بَدَّلَت كل شيء في شخصيته ، بل شوهتها تمامًا ، ولكن الوغد استطاع عبور المحنة ، وإن ظل الهاجس الذي أخذ يلح عليه دائمًا هو إثبات رجولته ..

أما محنته الثانية فكانت محاولة أخرى لإثبات رجولته بطريقة المراهقين المُصِرّين دائمًا على تقليد الكبار .

لقد تعلم الوغد التدخين مبكرًا ، مظهرًا أخر من مظاهر الرجولة ، وكان عليه أن يقوم بتوفير ثمنها ، خاصة وأن أسعارها تتضاعف طوال الوقت ، وهو لا يعمل كبعض أصدقائه بجوار الدراسة ، فوالدة يصر على أن الدراسة أهم من أي شيء أخر ، وإن كان على أحد أن يعمل فهو ، فقط الويل لك لو لم تحقق حلمه وتصير مهندسًا ، وهو الحلم الذي لم يتحقق يومًا .

كان في البداية يسرق سيجارة أو سيجارتين من علبة والده في غفلة منه، ثم تطور معه الأمر بدأ يسرق النقود من حافظته .. ولأن الظروف السيئة دائمًا ما تجعل الأباء يحصون جيدًا ما في حافظاتهم ، فقد لاحظ أبيه الاختفاء الدائم للأوراق المالية الصغيرة ولم يجد من يشك فيه إلا فوزي ..

إن ابنه المراهق مشروع صغير للص أو تاجر ممنوعات ، كل المراهقين في نظره كذلك ، لذلك كان يعامله دومًا بقسوة وغلظة ليصنع منه رجلًا وشخصية محترمة يفخر هو بها ، ولكن من الواضح أن كل ما سعى إليه فشل ، وهاهو أبنه يتحول لأسوأ كوابيسه ..للص ..

وفي يوم ما قرر أن يوقف هذه المهزلة ، فأعد لأبنه فخًا محكمًا ، ومن سوء حظ فوزي أنه سقط فيه ..

إن هذا الحثالة يسرقة حقًا ..

لا تتخيلوا موقف فوزي جميل عندما ضبطه والده يسرق عشرة جنيهات من حافظته ..

كان يتمنى لو ينهار المنزل على رأسه أو تخسف به الأرض ،أو تحرقه صاعقة غاضبة، فقط كي لا يمر باللحظات التالية من المواجهة مع أبيه.

كان منظره مثيرًا للشفقة وهو يرتجف ، وينظر نحو أبيه في ضراعة. وكان يكفي منظر أبيه بوجهه الغاضب وعروقه النافرة عندما قبض عليه بالجرم المشهود كعقاب .

ولأن قلبه مازال فَتيًا ، فقد تحمل المشهد ، ولكن عيناه كانتا كصنبورين مياه تلفت جلدتهما ..

كهرباء الرعب سرت في جسده ، وحمد الله أنها لم تصل لمثانته وإلا لأصيب بالتبول اللا إرادي .

هذه المرة كنت ملاصقًا له في عالم الأحلام دون أن يشعر ، أشم رائحة خوفه ، وأسمع نبضات قلبه المضطربة ، وأتنصت على أفكاره نفسها ..

الأحمق كان يظن أن الأمر سينتهي بعلقة ، ويمر الموقف ، وربما يُحرَم من المصروف ورؤية الشارع لأسبوع كامل ..الفلكة كانت ستصبح طريقة ضاربة في القدم لو أستعملها والده ..ولكن ...عدة صفعات على وجهه ، وصوت أبيه مشعث الشعر ، الذي يبدوا كشيطان يرتدي منامته :

- هل تسرق أبيك أيها الحثالة ..لقد كنت متاكدًا من أن تربيتي لك فشلت ، لقد فتشت ثيابك ، ورأيت الثقوب ، حيوان صغير تهتز يده عند الإمساك بلفافة تبغ ليحرق ثيابه ، كبر وأصبح رجلًا وجاء ليَسرق أبيه ..

تحضر فوزي لعقاب الفلكة ، إن أباه من الجيل القديم ، سيضربه على باطني قدماه حتى يعجز عن المشي ، لقد جرب هذا العقاب مرة في كتاب القرية ، ومن يومها تعقد من كل الشيوخ ، اليوم سينال نفس العقاب ، وسيتعلم كيف يكره والده ..كما كره شيخ الكتاب .

سحبه والده من قفاه قابضًا على ياقة منامته ، ولم يتوجه به إلى الصالة كما ظن ، بل توجه به إلى المطبخ ، مما جعل جميل يصرخ في عنف :

- لا ليست النار ..الرحمة يا أبي ..النجدة يا أمي .

صفعه والده صفعة أدارات رأسه وكادت تدير عنقه بطريقة عكسية لتُهشِّمَه، وجعلت السواد يُكَلِّل عينيه، قبل أن يصرخ به بصوت حانق :

- لص ومدخن ، ومازلت تنادي على أمك .

صفعة أخرى أشد من السابقة ..

- متى ستصبح رجلًا أيها العاق ؟! ..

صفعة ثالثة جعلت الشرر يتطاير من عيناه ..

- سأعلمك كيف تصير رجلًا أيها الحثالة ..من حسن حظ أمك أنها تبيت الليلة لدى جدتك ، وإلا لعاقبتها مثلك على إفسادك ..اللعنة عليك وعليها ، وعلى العمل الذي جعلني أتهاون مع سافل مثلك .

شعر فوزي بأن روحه تُسحب منه ، لم يتوقع الصفعات ، ولم يتوقع أن يصيروا بمثل هذا العنف ، حتى أنه ظل على مشارف فقدان الوعي لبرهة من الزمن.

وعندما أستعاد وعيه وبصره ،فاجئه الظلام ..لم يكن ظلامًا دامسًا كليا، بل كان هناك ضوءًا يتسرب من خلف نافذة باب المنور المُطِل على المطبخ ..لم تصل قسوة أبيه أن يطفئه ، وربما نسي .

تنفس بعمق رائحة الهواء المكتوم المشبع بالأتربة والرطوبة، قبل أن يقفز واقفًا في عنف ملتصقًا بجدار المنور اللزج ..الأرض متسخة ، وعشرات المخلفات والقمامة مبعثرة بداخل المنور وكأنه قبو معسكر حربي قديم، مابين أحذية قديمة ، صفائح ، برطمانات ، أجهزة راديو

من عصر اللمبات ، بعض الثياب التي يغطيها الوحل ، لابد وأن أكثر من شتاء مرَّ عليها ، موقد كيروسن معطل ، كلوب كان يستخدم قديمًا للإنارة ، بعض مواسير السباكة المعدنية ، وأشياء أخرى أنتهى الغرض من استخدامها .

تفحص كل ما حوله في ذهول ، ثم نظر حوله في هلع غير مصدق ..

هل فعلها أبي ..هل جرؤ حقًا على تنفيذ تهديده ؟!.نظر حوله مرة أخرى محاولا استيعاب الموقف ثم صرخ في هلع :

- لا ليست غرفة الفئران ..ليست غرفة الفئران يا أبي .

وانطلق يبكي في جزع ، ووقع الجملة على روحه يمزقه ، فماذا لو قابل فأرًا حقيقيًا ، وهو شيء غير مستبعد تمامًا في مثل هذا المكان الرطب .

من سمع منكم عن غرفة الفئران ..

جميعنا سمعنا عنها ، ولكن من حقًا كان عقابه أن يبيت فيها ليلة كاملة ، وسط الخوف والبرد والظلام والفئران ..

هي طريقة تربوية عنيفة وستجعل فوزي جميل لا يكرر قصة السرقة مجددًا في حياته، ولكنها ستدمر جزءًا كبيرًا من روحه ، وستخلق منه كائنًا مشوهًا ، لا يصمد أمام المواجهة ، كائن ستكون كل حياته مجرد هروب متصل ..

لقد خُلِقَ الصغار ليخطئوا وعلينا تقويمهم بالطرق الصحيحة ، وليس بقسوة تدمر طفولتهم .

إن غرفة الفئران فكرة شيطانية ، هي بالطبع أرحم مما أستخدمه الفيتناميون ضد الأمريكان في حربهم الشهيرة، بوضع جوال به فئران جائعان حول وجه الضحية ، ليعترف بما يريده المحققون ..ولكنها تظل فكرة تستوجب سجن القائم بها ورجمه حيًا ، وكان على فوزي الطفل أن يعيش هذا الجحيم ..

إن التدخين ضار بالصحة ، وغرفة الفئران دليل حي على ذلك ..خاصة إن كان أبيك بقسوة والد جميل ، ولم يترفع عن الزج بك بداخلها ، كعقاب صارم على فداحة جرمك ..

المنور هو غرفة الفئران في هذا المنزل ، وهو مصدر التهوية الملعون الذي يلتهم دائمًا من مساحة الصالة أو المطبخ أو الحمام ، ودائمًا لا يخلو من الفئران لأنه مفتوح حتى السطح ..

هم يسكنون في بناية قديمة ، والسطح مخزن كامل لهذه الهوام ..لذلك تجد وسط الفوضى الضاربة أطنابها في المكان والمخلفات ..عدة مصائد للفئران بالداخل .

البعض منها ممزق ولا يصلح من الأساس لاصطياد أي فأر، والبعض الأخر كفخاخ صغيرة جاهزة تم وضع الجبن في إحداها، ومعروف جدًا عشق الفئران للجبن ، والبعض وضع بداخله ثمرة طماطم معلقة ، ولا أعرف السبب حقًا في استخدامها ربما تحب الفئران الطماطم أيضًا، ولكن في المجمل الوسيلتان ناجحتان للغاية ..

لذلك وعلى ضوء المطبخ الواهن المتسلل عبر النافذة الزجاجية المتسخة ، كان فوزي جميل يتطلع إلى المصيدتين السلكيتين ، وقلبه يكاد يتوقف من الهلع ، خاصة وأن إحداهما تحتوي فأر والأخرى

تحتوي فأران لا يكفان عن محاولات الهروب ، التي لو نجحت سيكون في مأزق رهيب ..

يتحرك بصعوبة فتصطدم قدمه بجزء معدني لا يعرف ما هو ، فيصرخ متألمًا ، الفئران الرمادية تتحرك في عصبية داخل المصائد ، وجوده وحركته المفاجئة أشعرها بالتوتر.

صوت الخمش والصراع الدائر ، مع صوت الفئران الحاد ، جعل خياله الطفل ينطلق ..

كان يحاول أن يبحث عن مكان آمن ..قبض على قطعة معدنية من بقايا ماسورة مياه ، وجعلها في يده كسلاح ، طرق على باب المطبخ المغلق لنصف ساعة كاملة ، دون أن يجرؤ على محاولة تهشيمه وهو يصرخ مناديًا أمه التي لم تكن بالمنزل ، فلن يتسبب في مصيبة جديدة تستأهل عقابًا أشد، وفي النهاية ، ظهر من قلب المخلفات ، ذلك الفأر الضخم ..

وللصدق أقول لكم أن فوزي شعر بوجوده قبل أن يظهر أمامه ، إن حاسة الخطر لديه ارتفعت وبشدة ..وعندما رأى الفأر بشواربه المتحركة وفمه الذي لا يتوقف عن الحركة والهمهمة ، سال خيطٌ دافيء من المياه بداخل سرواله ..

تفاجأ الفأر أيضًا بوجوده .. ولذلك كانت حركته عصبية ، وكالمجنون كان هو يطارد الفأر تارة ، وفي اللحظة التالية كان الفأر يطاردة ..

انفلات أعصاب كامل ، وفي النهاية ، استطاع سحق الفأر والإجهاز عليه ، حتى أن أحشائه عَلِقَت بتلك الماسورة المعدنية التي يحملها في

يده ، وبعدها لم يتحمل جهازه العصبي الأمر ..وقبل أن يفقد الوعي ، وجد أنه في غمرة غضبه المحموم قد حرر الفأران السجينان من المصيدة ..

وعيه يغيب ورعبه يتصاعد ..الظلام العظيم يسيطر على كيانه .خمش الفئران يتسلل إلى أذنه ، وروائحهم تعبق أنفه ..

وفي هذه الليلة الكئيبة، فقد إصبعًا كاملًا من قدمه ، وجزء من إصبع قدم أخر ، وكان هذا سبب عرجه الغير ملحوظ، فهو يحشو حذائه دائما بالقطن . ولولا قدوم أمه بعد اتصال الجيران بها بعد سماع صرخاته في المنور ، ورفض والده أي وساطة أو تدخل منهم، لتصفى دمه ولفقد أكثر مما فقد من أعضاء جسده .

من أنهى هذه القصة هي صرخة الأم الملتاعه ، التي وجدت الفئران يلتفون حول صغيرها وكلهم حماس لالتهامه ..بل لقد بدأوا بالفعل في التهامه .

كابوس جديد سيضاف لما لديها من كوابيس ليؤرقها طوال عمرها مع شعور بالذنب لم يغادرها حتى ذهبت إلى القبر ، وبرغم كل شيء ، لم تستطع طلب الطلاق أو لوم الأب المتحفز.

هذه الليلة سيعيش فوزي جميل كل ما مر به في الليلة الماضية التي قضاها وهو طفل في المنور ، وسأتركه أنا الآن ..وَغَدًا يوم جديد ..

فقط أتمنى ألا يظل يدوي في رأسي صوت نميم الفئران ..إنه مروع بحق

لست وحدك

خرجت بإرادتي من أرض الكوابيس ، لا يمكن أن يطلق علها بأي حال من الأحوال أرض الأحلام، إن الأحلام نفسها لن تجرؤ على ولوجها ،ولو جرؤت لتبددت على الفور ..إنها أرض الألم والعذاب ..

كان قلبي ينبض بعنف ، عرق غزير يغمر جسدي بالكامل ، وكأني كنت بقلب غرفة للبخار ، برغم أن التكييف يعمل على أقل درجة حرارة ممكنة ، وحوَّلَ الغرفة إلى ثلاجة .

نشوة متدفقة تسري في عروقي ، مع إحساس عارم بكوني لست وحيدًا في المكان،وهو شعور معتاد جدًا ، فلو نظرت أنت حولك الآن ستتأكد أننا جميعًا ، لا نحظى بالخلوة في أي وقت من الأوقات ، بسبب ماحولنا من مخلوقات غير مرئية ، ترانا ولا نراهم إلا بشروط محددة ..

ذلك الإناء الذي سقط في المطبخ دون أن تدري لذلك سببًا ..صوت أمك النائمة الذي يناديك وعندما تذهب لتَفَقُّد الأمر بعد منتصف الليل ، تجدها أسفل الغطاء تغط في نوم عميق ..حركة الشمعة بعد انقطاع التيار الكهربائي مع إغلاقك لكافة النوافذ .. الشعور الموتر بأن هناك من مر من أمام فتحة الباب ، والأكثر منه شعورك الآن بذلك الألم الخفيف في رقبتك، وأن هناك من يثبت بصره عليك من الخلف..

كلها أحداث مرت وتمر وستمر بنا . ونختار أن نتجاهلها . خوفًا من أن نصل لتفسير أخر . بكونها علامات على أننا لسنا وحدنا . وأن غرفنا الخالية تعج بهم ..فقط شيء واحد يمنعهم من الفتك بنا . وهو أن الوقت لم يحن بعد ..

فتحت عيني بصعوبة . وجلست فوق الفراش أعُب من زجاجة ماء أضعها دائمًا بجوار الفراش فوق الكومود ..عَطَش وحشي رهيب . وكأن جسدي طرد كل ما بداخله من ماء على هيئة عرق ..

الغرفة من حولي مضاءة كما تركتها . كل شيء فيها كما هو . كل شيء كما تركته قبل أن أخوض مغامرتي الأخيرة ..ليس كل شيء تمامًا..

فقط انعكاس الغرفة داخل المرآة مختلف . وليس هذا المهم . فقد تكون زاوية الرؤية هي من صنعت الإختلاف . فقط هناك تلك العينان السوداوان اللامعتان المشقوقتان طوليًا، اللتان تراقباني في جشع ..

أفرك عيني في قوة . ثم أعيد النظر ..العينان مازلتا هناك ترمقاني بثبات .. نظرة متوعدة أو منذرة لا أدري . ولكنها في كل الحالات مخيفة.

انتفض جسدي في قوة من ذلك الخطر الجديد والمجهول..هل أصِبْت بالهلاوس من جراء ولوجي لذلك العالم المخيف ..لقد إعتدت وجود القرين وحضوره وانصرافه . وتجسده في الحلم . .ولم يدهشني أو يروعني أن أخترق ذكريات فوزي جميل وأعيش معه أسوأ ذكرياته .ولكن الخوف الذي تملكني عند رؤية هذه العيون السوداء المشقوقة طوليًا . جعلني أنتفض من مكاني واقفًا، ومشهد واحد يتكرر في عقلي..

مشهد ذلك الكيان الأسود ذو الذيل المشقوق الذي تسلل عبر بوابة الكوابيس، التي فُتِحَت بواسطة تلك العزيمة . الموجودة بكتاب شمس المعارف الجهنمي الملعون .

اللعنة هل أوصلتني الكراهية لمثل هذه المرحلة المخيفة من عدم السيطرة على نفسي ؟!هل دفعني القرين هذه المرة نحو الهلاك ؟!.

هل ما غادر البوابة هو جني . أم شيء أخر ؟!!..

والإحتمالان مفزعان ..

لا أعرف هل ما رأيته كان حقيقة أم وهمًا . إن البشر غير قادرون على رؤية الجن بطريقة مباشرة . إلا إذا تجسد في هيئة حيوان أو إنسان أو طير.

ما رأيته لم يكن يشبههم، ولا يشبه هيئة القرين . لا يمكن أن تشاهد الجن بعينك المجردة إلا تحت ظروف خاصة، أو امتلاكك قدرات سيدنا سليمان والتي لم يختص الله غيره بها ..

إن هذه هي خصائص الجن منذ بدأ الخليقة . لقد قرأت حديثًا يشير إلى ذلك الأمر : فعن ابن عباس أنه قال :

- خلق الله سوميا . أبو الجن . وهو الذي خُلِقَ من مارج من نار.

قال تبارك و تعالى :

- تمنى .

قال:

- أتمنى نرى ،ولانُرى ، وأن نغيب في الثرى ، وأن يصير كهلنا شابًا .

فأعطى ذلك فهم يرون ، ولا يُرَون ، وإذا ماتو غُيِّبُوا في الثرى ، ولا يموت كهلهم حتى يعود شابًا ، أي مثل الصبي يُرَدُّ إلى أرذل العمر ..

لقد تمنى أبو الجن على الله في الملكوت الأعلى ألا يُرَوا ، فكانوا لا يُروا إلا متجسدين ، سواء في هيئة حيوان أو إنسان ، أو طير .

إن المعلومة مخيفة وتؤكد لي ، أن ما أمر به علامة على أني عبثت بما ليس لدي به علم ، والعينان المخيفتان ، دليل على أني تورطت في شيء أكبر مني قد أدفع بسببه حياتي ..

نظرت نحو المرآة مرة ،أخرى ثم تنفست بعمق ..كان سطح المرآة خاليًا .. نعم خاليًا ..انطلقت أضحك في هستيريا ، متقبلًا فكرة الهلاوس ، فهي أقل وقعًا من فكرة أن ما رأيته حقيقي وعليَّ مواجهته .

يا إلهي ..لقد كان ما رأيته وهمًا ..ربما نتيجة ما أمُر به من ضغط عصبي .

مسحت ببصرى أجزاء الغرفة. وخلف الستار لمحت ما جَمَّدَ الدماء في عروقي.

ذيل أسود مشقوق يشبه ذيل السحلية ولكنه أملس وأكثر سوادًا ..

وعندما انزاح الستار ، وكشف ما خلفه ، كاد قلبي أن يتوقف من هول ما رأيت ..وما تم بعدها كان رهيبًا ..

***

كان فوزي جميل يمر بمحنته الرهيبة ، الخوف يتكرر والآلام تتضاعف ، وكنت أنا أعيش معه الحالة كاملة ، ثم أعود لأسكبها على الورق ، صانعًا قصة جديدة ، بمشاعر تكتب لأول مرة لتصنع قصة رعب جديدة ورهيبة ..

ستُخلد في أحد أعمالي أيها الحقير ..سيكون وقع ما أكتبه على القراء عنيفًا .. ربما لن يناموا ولن يأمنوا بقائهم وحدهم في غرفهم ، قبل أن يتفقدوا أسفل الفراش وخزانة الملابس وما خلف الستائر ..

سيخافوا الكبار أكثر ، والفئران والصراصير أكثر، وأصوات الاحتكاك أكثر وأكثر.. فهي معاناتك التالية أيها الوغد..

إنني أصنع مجدي الآن ..أصنعه بقلب الجحيم ومن واقع معاناتك..

وبالطبع لم أتوقف عن تكرار الحادثة الأخيرة إلا بعد أن كاد يصاب فوزي جميل بأزمة قلبية .

لن يهرب هذا الوغد ممارسًا هوايته المفضلة ، قبل أن أتم إنتقامي كاملًا ..

أراكم تتساءلون عن الكيان صاحب الذيل المشقوق !!.

لا تتعجلوا الأمر بعض الصبر فقط وستحيطون بكل شيء علما، فقط لنضع فوزي جميل في مأزقه الجديد ، ونعود بعدها لذلك الموقف الرهيب ..

***

الثانوية العامة ..

الواقعة الأكثر رعبًا وإرهابًا في مصر ، لا يوجد بيت في مصر لم يمر بهذه المحنة ، ولم يعانى منها نفسيًا وماديًا ..

عانى فوزي منها كما عانى طلاب كُثُر في هذه المرحلة ، ولكن معاناته كانت مختلفة ، وتسببت في ألا يحقق حلم والده الراحل ..

رحلت أمه ثم تبعها أبيه القاسي ، الذي تسبب فراقها في أن تتبدل شخصيته ، حتى ألحقه الحزن بها ..

هكذا بعض الناس لا يدركون كم هم واقعون في الحب إلا بعد أن يفقدوه ، فيموتون كمدًا عليه ..

وظل هو وحيدًا ، يحارب وحده الدنيا بقسوتها ومخاوفه برهبتها ، وسوء الحظ الذي ظل يلازمه لفترة طويلة ..

كان من المجتهدين المميزين في حقل الدراسة ، والطالب الصموت المجتهد ، يجذب حوله الأعداء دومًا ، ولسوء حظ فوزي كان منهم ..

أشرف ومراد بلطجية هذه الدفعة ، وكان عليهم يوميًا أن يثبتوا زعامتهم . ولأنه ليس هناك أفضل من فوزي جميل اليتيم الذي لا سند له ولاظهر لإثباتها، فأصبح هو لعبتهم المفضلة ..

كان يخشاهم كالطاعون ، فبأجسادهم هذه يستطيعون تكرار ما فعله به جودة وربيع ..وربما أسوأ . وكان من سوء حظه أن لمحوا ذلك التعبير المزعج على وجهه عندما احتك إصبع الطبشور بلوحة الكتابة في حصة الفيزياء ..

كان فوزي جميل كتلة من الأمراض النفسية ، ولكن مشكلة مثل مشكلة الاحتكاك والتي تصيبة بقشعريرة وبرودة في الأطراف والتعرق البارد ، لم تكن لتأخذ أهمية كبيرة لدي أهل والده ، خاصة وأن أمه ليست هنا لتعتني به ، ولن تجعلهم أبدًا يزورون طبيبًا نفسيًا من أجله ، وهم يعتبرونه من الأصل عبء ثقيل على كاهلهم ، برغم كونها مشكلة عامة ، ومن أجلها يصرف الأطباء الأدوية كالسبرالكس والستالوبرام .

سيظل الطب النفسي دائمًا وأبدًا مرادفًا للجنون في الأذهان، وعمه لن يقبل أن يُنعَت من خرج من صُلب أخيه بهذا الأمر،حتى لو كان الثمن حياته نفسها ، إنه معتدٌ بنفسه وبأسرته ، ليست مشكلة تافهة كهذه هي التي تدفعه ليدمر صورة أخيه الراحل في المنطقة .

كان فوزي جميل يعاني بشدة من احتكاك المعادن ببعضها أو التعامل مع بعض الأنواع من الأقمشة ، وكان يخفي الأمرَ كي لا يقال عليه ليس

رجلًا أو يتم السخرية منه لأنه يتصرف مثل الفتيات ..كانت مشكلة بسيطة ، ولكن مع أشرف ومراد كانت كارثة وذكرى لن تمُحى من عقله قط .

وفي نهاية أحد أيام الدراسة الشتوية، والتي لم يحضر فيها الكثير من الطلاب بسبب الأمطار وبرودة الجو،انفردوا به في الفصل وحاصروه..وفي هذه اللحظة حضرت كل مخاوفه ، وتجسَّد هلعه في نظراتهم الظافرة .. وساعتها قرر أنه لن يتكرر الأمر ولو قتلوه ..لن ينتهكه أحد مجددًا ..

وهنا تحرك وبعنف ..

وعندما هجم على جودة ومنحه لكمته الأولى، علم جيدًا أن الغضب لا يكفي للتغلب على ثورين مثلهم ..وما تلا الهجوم كان مؤلمًا وبشدة ..

صفعات ..لكمات ..ركلات ..سباب مقذع موجع يتهمه في رجولته ،حتى تقطعت أنفاسه ، وتشوشت الرؤية ، وأصبح كل شي يتحرك أمامه بالسرعة البطيئة ..كان يشعر بكونه في كابوس، ما كل هذه الكراهية وكل هذا العنف الذي يتعاملون به معه!! ..كيف تُحَوِّل الغيرة البعض إلى وحوش بغيضة لا همَّ لها إلا كسر الناجحين والمُجِدِّين ..إن غيرة المراهقين جحيم أسود ، وكان عليه أن يحيا في هذا الجحيم ..وفي هذا الموقف الشنيع ، مرت عليه الدقائق كالدهور بين الألم ، والدهشة ، والشعور بالقهر ، وفي النهاية توقف الأمر. وتمنى بكل كيانه أن ينتهي

عند هذه المرحلة ، ولكنه لم يكن يدري أن أمنيات الضعفاء لا تتحقق ، ولا تأبه بها الأقدار ..

كانوا قد أعدوا له مفاجأة أخرى ..إن جعبة الأشرار لا تخلوا من مصيبة حاضرة دومًا ..

وفي هذه اللحظة كان فوزي جميل يفترش الأرض وسط دموعه ، وضلوعه تئن من أثر الركلات ، وجهه مشدود ويصدر حرارة مرتفعة من موضع الصفعات حتى أنه كان يجد صعوبة حقيقية في مسح مخاطه في طرف قميصه الذي تمزق ، وهو يمسح بلاط الفصل ببصره ، خوفًا من أن تتلاقى عيناه بعين أحدهم فتستفزه ، فيعيد الكَرَّة ويعتدي عليه ويهينه أكثر ..

ووسط دموعه كان يلوم نفسه على ضعفها وتخاذلها ، هل وصل لهذا السن ولم يعد يستطع الدفاع عن نفسه و...لو كان أباه حيًا لم يجرؤ أيًا منهم على الإعتداء عليه ..وفي اللحظة التالية سمع صوت الصرير ..فأطلق شهقة عنيفة،وهو يضع يديه فوق أذنيه..الصرير يتعالي..يصرخ في قوة:

- كفى أيها الأوغاد ..لماذ تفعلون بي ذلك ..كـفـى..

- ززززززززززززززززيززززززز

ومن وسط دموعه شاهد أشرف ومراد يضحكان وهما مستمران في تمرير تلك القطع المعدنية على لوح الكتابة ، لتظهر خدوش حادة دقيقة على سطحها الداكن وتصدر ذلك الصرير المقشعر للأبدان ..

- زززززززززززززززززيززززززز

الصوت كان مؤلمًا ..مما جعله يَصِر على أسنانه ويدمي شفته ، كما جعله يصرخ كالفتيات ..البرودة تغتال أطرافه ، والعرق البارد يغمره ، يحبو على ركبتيه كطفل صغير .. كانت روحه قد بلغت الحلقوم ، وبعينان محتقنتان ينظر نحو مراد المنهمك في إطلاق القهقهات مستجديًا :

- الرحمة ..الرحمة ..

وفي هذه اللحظة أطلقتُ أنا ضحكات من القلب ، ضحكات تردد صداها في هذا العالم المخيف ، وكان لصداها وقعًا مروعًا على فوزي جميل..

الوغد يعاني .. يعاني ويتعذب ..فليتعذب حتى يقترب من الموت ، دون أن يحصل به على الراحة ..وعندما يستيقظ من نومه ، سيكون النوم هو أخر ما يفكر فيه أو يرغبه..لا أحد يهرب من تأثير الطلسم ..لا أحد ..

أراكم تنظرون لي بكراهية ..ولم لا أنا أستحق هذه الكراهية ، لقد صار قلبي كقطعة الفحم ، واقترب التحول ..

ألم أخبركم أني تغيرت ..تغيرت كثيرًا .

خلف الستار

فسخت خطبتي على سهر في اليوم التالي لهذه الأحداث ، الحقيقة أنها كانت واجهة اجتماعية ممتازة ونقلة نوعية لي في حياتي مع نفوذ والدها وثروته الهائلة .ولكن الزواج لا يتم فقط لهذا السبب، الحب فقط هو الغاية الوحيدة للزواج ، وأنا كنت منبهر بها فقط ، وبمكانتها الاجتماعية ..كانت سهر مبهرة لأول وهلة ، وسقطت أنا صريع جمالها .

الانبهار الأول ، والدهشة الأولى التي تصعق القلب، فلا يدري إن كان يعشق بالفعل أم أنه أخذ بروعتها وجمالها ، وروحها الجميلة .

الكاتب الحقيقي لا يتزوج أبدًا، كان هذا رأي صديقتي ميار خطاب ، الذي أصبح عالمي يتشبع بوجودها وعطرها ، وعلمها الغزير ..

فالزواج في معظم الحالات هو مقبرة للمشاعر ، خاصة لو لم يكن الحب حقيقي ، تحتاج لأساس قوي لتبني حياة كاملة ، ولو كان هذا الأساس هش فأنت تصنع مأساة أخرى ..

كما أن لعنة بكاء الأطفال تستدعي التضحية .

الحقيقة أني سُقت لنفسي العديد من الأسباب كي يتم الفراق ، وسط دهشة سهر ودهشة أهلها بهذا التغيير المفاجيء، ودون أن أخبر أحد عن السبب الحقيقي لما فعلت .

هل يمكن أن يكون سبب الإنفصال أني ملعون ، هو سبب رقيع جدًا ، ولن يقبلوا به ، فقط كوني حقير هو السبب المناسب ، لذلك تعمدت

أن أهينها وأعترف لها بعشق أخرى ، وفي هذه اللحظة كانت كرامتها هي التي أنهت كل شيء ..أسلوب دنيء ولكنه ناجح ومنجز .

وبعيدًا عن أن روحي لم تعد تتقبل هذا الكم من المشاعر المبتذلة والرومانسية ، والصداع بالحديث عن لون الستائر وغرفة البيبي ، وعن القمر الذي مازال يحمل لي رسائل عشق بعد ليلة قضتها في التفكير في ، فإن ماتم في تلك الليلة ، كان كحادث 11 سبتمبر ، تبدلت بعده الدنيا تمامًا .

فبعد أن غادرت عالم الكوابيس ، تم لقاء مذهل ومدهش لم أتوقع حدوثه في يوم من الأيام ، واكتشفت خلاله أن معلوماتي عن عالم الجن قاصرة لأقصى مدى ، وأن هناك وراء العالم تحدث أمور رهيبة لا يعلم البشر عنها شيء ، ولكن تأثيرها على حياتهم مخيف ومقلق ..

وبرغم كوني كاتب ومتخصص في الخيال وما وراء الطبيعة إلا أنني لم أقتنع يومًا بفكرة حدوث زواج بين الإنس والجن، أو وجود ذرية لهذا الزواج الغريب ، فالكائن الذي سيجمع بين ذكاء البشر . وقدرات الجن لابد وأنه سيكون كائن خارق لديه القدرة على الولوج إلى العالمين بكل بساطة ، وربما أيضًا لديه القدرة على حكمهم ..

وعندما حدث اللقاء في تلك الليلة ، تبدلت لدي عشرات المفاهيم وتغيرت ثوابت كنت أعتقدها في صلابة الجبال، وسكنت بداخلي عشرات التصورات عن ما يدور بداخل عالمنا ومن حوله .

فبعد أن غادرت عالم الكوابيس وتركت فوزي هناك يعاني من أثر ذكرياته العنيفة ، كنت متهيأ وبشدة لكتابة فصل جديد من قصته ..

عاصرتم معي تسلل ذلك الكيان المخيف عبر بوابة الكوابيس ، وعاصرتم أيضا ظهوره في غرفتي ..فخلف الستائر كان يتوارى ذلك الشيء الأسود المخيف ، لا يظهر منه إلا ذيله الشيطاني المشقوق ، وكأن صاحبه تعمد أن يظهره ، مع تصاعد رائحة غريبة وكأن هناك من يحرق بخور مع شعر آدمي في نفس الوقت،رائحة عنيفة تتسلل إلى كل خلية من جسدي لتستحوذ عليها .

لابد وأنها لعبة لعينة من ذلك الكيان ، فجميع الشياطين تتقن الألعاب النفسية لذلك فهي تسيطر على ضحاياها بسهولة تامة .

لا حاجة لي لأذكر حالتي لحظتها ..الذعر والهلع مشاعر الصغار ، ولكن عندما يخاف الكبار ، تُظلِم الدنيا كلها ، وتتحول إلى ثقب أسود كبير ، كفيل بابتلاع أرواحهم ذاتها .

ثَبَتُّ بصري على الستار الذي كان ينزاح في بطء وكأنه تمهيد لعرض مسرحي ، ربما يصبح العرض الأخير في حياتي ..إن الجن كاذبون ، وربما كانت هذه حيلة من القرين لينتهي من عهده معي ، ويتحرر إلى الأبد.

الستار يكشف في بطء عن إمرأة ترتدي ملابس سوداء من مادة هي مزيج بين الجلد والكتان ، على ظهرها حرملة سوداء ، يخرج من أسفل ملابسها ذيل مشقوق يتلوى كالثعبان ، تسري في المكان وكأنها لا وزن لها ، تقترب في بطء فأشعر بأن كل هواء الغرفة يُسحب من حولي ..أما

ما أثار الرعب بداخلي هو عيناها ..عينان مشقوقتان طوليًا كأعين الثعابين ، مع حاجبان حادان ، وشعر في سواد الليل يتحرك وكأن له حياة خاصة ..ذكرني بميدوسا، وبرغم ذلك كانت فاتنة الجمال .

وقفت أمامي وأنا أحاول ألا أقيء بسبب الرائحة ..تبادلنا النظرات ..نظراتها منومة ومخيفة ..قلبي قد تعدت نبضاته المسموح به ..العرق البارد يغرق جسدي ..أطرافي عاجزة عن الحركة ، وقد ولد بداخلي يقين بأني أعيش لحظاتي الأخيرة ..طال الصمت بيننا ، فكدت أبكي ..أين شجاعتي السابقة ، أين كل ذلك الشر الذي شعرت بقوته تسري بداخل عروقي سريان الدم ؟!. وبكل ما بداخلي من عزم ، وبخوف مراهقة أدركت عن يقين ، أن قاتل الشقراوات قد أختارها قلت بهلع :

- إنصرفي ..إنصرفي ..

وفي المكان دوت ضحكة ماجنة ساخرة عالية ، ومعها اجتاحت المكان ريح عاصفة ساخنة ، أطاحت بي من فوق الفراش ، قبل أن يدوي الصوت الرخيم ، وبلهجة مصرية خالصة :

- انصرفي أي فقر في الخيال أصاب عقلك أيها الكاتب العبقري ، يبدو أن الأفلام الهابطة التي تشاهدها جعلت أفقك يضيق، أم نقول إنها موهبتك المحدودة !!.

نظرت نحوها غير مصدق ، وبكل ما بداخلي من خوف قلت :

- من أنت ؟!.

نظرت نحوي نظرة طويلة بعيناها المشقوقتان ، قبل أن تتساءل بصوت أقرب للفحيح :

- ألا تعرف الإجابة حقًا ؟!

توتر جسدي بشدة،وشعرت بهواء الغرفة يصير أثقل، وصار تنفسي عسيرًا مع ثقل الرائحة فأنتزعت من داخل روحي بعض الكلمات وألقيتها في وجهها :

- لو كنت أعرف ما سألت ، هل أنت تجسد أخر للقرين ؟!.

دوت الضحكة في المكان ، وعادت الرياح لتحملني قبل أن تطيح بي إلى جانب الغرفة الأخر ، لأشعر بعظامي تئن ، وبرغم ذلك ظللت صامتًا وعيناي مركزتان على الوجه الجميل المخيف ، فعاد صوتها ليدوي في المكان ، كأجراس كنيسة صدئة :

- إنك لم تستحضر القرين بل استحضرت ما هو أخطر وأكثر قسوة وشراسة ..لقداستحضرتني أنا ..أنت الآن ملكي ..والآن عليك أن تكون بطل قصتي .. هل يذكرك ذلك بشخص ما ؟! شخص دأب على قتل أبطال قصصه منذ سنوات ، شخص يمتهن الكتابة !!.

يقولون أن الموت دومًا يقترب بخطوات صامتة ، ولكني الآن أعاني من ضجيجه ، لا أعرف لماذا تسرب داخلي شعور هائل بالإحباط والكراهية ، لا أعرف لماذا دارت في عقلي كل ذكرياتي السيئة ، ولماذا أشعر بكل هذا الضعف ، ما الذي ورطت نفسي فيه ، ومن هذه

الشيطانة ، ولماذا الآن ، ومن قلب تساؤلاتي العنيفة ، لم يستطع لساني إلا السؤال :

- من أنت ؟!

الصوت المفزع يصفع أذناي :

- ليست كل الأسئلة لها إجابات ، ولكني سأخبرك ..أنت لا تعرفني ، ولكني أعرفك جيدًا ربما أكثر من ذاتك ، أنت تحتاجني وبشدة ولكني لا أحتاج إليك ، ولكن العهد يجبرني على مساعدتك .

وبكل توتر أعيد السؤال :

- من أنت ؟!.

الرياح الساخنة تعود مع الرائحة المخدرة، جسدي يرتفع في الهواء وكأن هناك أيدٍ خفية تسيطر عليه ، فيتلاشى عنه كل تأثير للجاذبية ، ولكن هذه المرة ظل معلقًا في سماء الغرفة ، ومن منظوري العلوي لمحت شفتاها تتحركان ، قبل أن يدوي صوتها المخيف :

- أنا الهجينة ؟!

وعندما دوت الكلمة في رأسي ، نسيت كل شيء عن موقفي ، وتدفقت بداخل عقلي المعلومات التي تخص ذلك العالم الرهيب ، وقلت بصوت هادىء لا أعرف من أين أتى :

- أنا أعرف من أنت ، أنت لست بشرية ، ولست شيطانية .

الصوت يخترق روحي :

- لقد أخبرتك منذ لحظات ..أنا الهجينة ..أنا خادمتك وسيدتك .

يقول أبو منصور التعالبي في فقه اللغة ، يقال للمتولد بين الإنسي والجنية الخس ، وبين الآدمي والسعلاة : العملوق ..وأضيف أنا أن المتوالد بين الجنسين يطلق عليه الهجين ، وهذه الشيطانة ، ناتجة عن تزاوج بين هجينان خس وعملوق، ومن سوء حظي أني فتحت بوابة الجحيم ، بتلك التعويذة الملعونة، وتسللت هي إلى عالمنا ، لتزيد حياتي سوءًا ، وبدون تردد تساءلت :

- لماذا الآن ، ولماذا أنا ؟!.

لقد أصبحت أكره هذا الصوت ، ولكني مجبرٌ على سماعه ، الصوت المخيف يتردد في جنبات الغرفة :

- لقد قرأت الكلمات المقدسة ، و قدمت القرابين المفروضة، وعليك الآن أن تحظى بما لم يحظ به بشري ..لقد فتحت البوابة بين عالمين مخيفين ، وصدِّقني الكثير من الأمور ستتغير الآن .

الغضب يظهر على وجهي ، والفكرة تتسلل من عقلي إلى عقلها ، فتسمح لجسدي بهبوط آمن فوق الفراش ، قبل أن أقول :

- أي قرابين قدمت ؟!

- دمائك ؟!

- ولكني لم أرغب في استحضارك .

- لكل تعويذة خادم . وأنا خادمة التعويذة ، ربما لم تقصد إحضاري ولكني كنت أنتظر الفرصة لأتحرر من لعنتي . إن الهجناء أمثالي لا يحظون بالإحترام الكافي في عالم الجن ، ولذلك يتم استعبادنا من قبل الإنس والجن . وحظك الأسود جعلك من نصيبي ، أنت ملعون أيها البشري ، ملعون بما داخلك من طموح وشر . ولقد إرتبط خلاصي بك . فأنا خادمتك وسيدتك .

لم أستوعب من حديثها غير أني حررت خادم التعويذة ، وأنني كي أعيدها لعالمها علي أن أحررها . ولا أعرف معنى حقيقي لهذه الأفكار ، لذا حولتها لكلمات وألقيت عليه السؤال :

- وكيف يتم الخلاص ؟!.

وكانت إجابتها أبعد ما يكون عن تفكيري وخيالي برغم كوني كاتب وقارىء نهم . فبصوت قادم من أعماق الجحيم والكراهية قالت :

- بأن تتزوجني ، وتمنحني طفل يحمل صفاتك البشرية وقدراتي الخارقة ؟!

لم أستوعب بالطبع ما قالته ، ولم أتخيل في يوم من الأيام أن يعرض علي شيء مماثل . وبالطبع لم أكن لأتقبله ، فأي بشري لن يوافق على الزواج بأمرأة لديها ذيل مشقوق يتماوج كأفعى سامة، وعينان مشقوقتان هي الأخرى طوليًا . ثم إن صوتها يشع بكراهية خالصة . إن زواجي منها إهانة لها . ولكن لعنتها إرتبطت بي . وبالطبع لم أكن لأوافق . فالكلمة عهد ولم أكن لأربط نفسي بها فقلت :

- ومن أخبرك أني سأوافق ، أنت خادمتي وستطيعيني .

الصوت يدوي في المكان أكثر غضبًا ، عيناها تستحيلان حمراوان بلون الدم ، وذيلها يتحرك نحوي كحربة قاتلة :

- أنا خادمتك وسيدتك ، ومادمت لا تعرف اسمي السري ، فأنا سيدتك وستطيعني . لابد أن أتحرر ، ولابد وأن تطيع أو تنال غضبي وعقابي .

خوف هائل تسلل إلي روحي ، وحاولت أن أستنجد بالقرين دون فائدة . لقد سقطت بداخل المستنقع الآسن ولا خلاص لي .

الزواج من الجن حقيقة تاريخية ، وسيدنا سليمان مارسها ، مع بلقيس ملكة سبأ ..فكما أتى في الأثر كانت بلقيس أبنة أحد عظماء الملوك ، وولده ملوك اليمن ، فتزوج إمرأة من الجن وهي ريحانة بنت السكن وولدت له بلقيس وتسمى اللقمة ..ويقال أن مؤخِرَ قدميها كان مثل حافر الدابة، ولذلك أتخذ النبي سليمان الصرح الممرد من قوارير وكان بيتا من زجاج ، يخيل للرائي أنه يضطرب فلما كشفت عن ساقيها رأي شعر خفيف ، لم تتقبله روحه ، وهو كان يرغب في الزواج منها .. لذا فانه طلب من الشياطين اتخاذ الحمام والنورة وكان أول من اتخذ الحمام والنورة..وطلوا بالنورة- وهي نوع من الأعشاب- ساقيها فصارت كالفضة فتزوجها .

لم أكن أعرف في هذه اللحظة ماذا أفعل ، وأي قرار أتخذ ، ولكن الإجابة أتت على لسانها :

- عندما يستحيل القمر بدرًا ، سيكتمل تحولك ، وساعتها ، ستكون لي .. فأعد نفسك لرحلة إلى العالم السفلي ، فهناك ستلتقي أبي وستطلبني منه للزواج بكل إحترام ، وستدفع من دمائك مهري .

الأمور تتطور بعنف ، إنها تعرف عن تحولي ، وتعدني بزيارة إلى عالم الجن ، وهي ليست السابقة الأولى من نوعها ، فالأثر والتاريخ يحتويان على قصص كثيرة لرجال حُبِسُوا هناك ..في عالم الجن .

ويقال أن هناك مدن كثيرة بناها الجن ثم هجروها ، وأشهرها تلك القصة عن مدن الجن في تركيا .

ففي عام 1963 قام أحد سكان مدينة ديرينكويو فى تركيا بهدم أحد جدران منزله، وكان منزله هذا موجود فى وسط مجموعة من الكهوف ، عندما اكتشف أنه خلف هذا الجدار يوجد غرفه غامضه لم يرها من قبل ، وهذه الغرفه اكتشف وراءها غرفة أخرى وأخرى، وبهذه الطريقة وبالصدفه تم اكتشاف مدينة ديرينكويو المشيدة تحت الأرض ،وأطلق عليها السكان فى ذلك الوقت مدينة الجن لوجودها في باطن الأرض .

و يرجع تاريخ بناء أول طبقة منها إلى عام 1400 ميلادية ، وبدأ العلماء بدراسة هذه المدينه الغريبة الممتدة تحت الأرض ،حيث استطاعوا الوصول إلى عمق 40 متر تحت سطح الأرض ، وهو ليس أخر عمق لها، فيوجد تكهنات أخرى ، أنها تمتد أعمق بكثير من هذا العمق الذي تم اكتشافه .

التصميم الداخلي للمدينة مدهش حيث تستوعب المدينة قرابة 10 آلاف شخص وتحتوي على ممرات سرية بثلاث فتحات رئيسية يمكن

غلقها عن طريق وضع الصخور على الأبواب، وهذه الصخور هى التى تغلق أبواب المدينه لحمايتها من الأعداء.

ولقد تكلم المؤرخون الإغريق عن هذه المدينة وذكروا أن الناس في الأناضول

كانوا يعيشون في منازل محفورة تحت الأرض ، وهي منازل كبيرة تكفي جميع أفراد العائلة ، ويعيشون على الحيوانات الأليفة والمواد الغذائية التي تم تخزينها.. ولا يزال سكان هذه المدينة لا يقتنعون بأي أقاويل، ويؤكدون روايات أجدادهم أن هذه المدينة كان يسكنها الجن وهجروها وسيرجعون لها مره أخرى .

فهل سأزور إحدى هذه المدن ، أم سأذهب إلى باطن الأرض ، حيث الجن السفلي كما شاع عن مساكنهم ؟!.

سؤال كان من الواضح أن إجابته عسيرة في الوقت الحالي ، فكيف سيكون شكل ذلك العملوق ، وهل هو جني أو وحش أخر ؟!

وفي النهاية شعرت بالهواء يعود ليغمر الغرفة ..وبحضورها الثقيل يتلاشى .. وعلى الحائط كان هناك لطخة من دماء سوداء ، لابد أنها تركتها في الغرفة لتذكرني بها ..

تتعامل تلك الملعونة برومانسية وتترك تذكارات وكأن أمر زواجها مني قد حُسِم !!.

لم أصدق لوهلة أن اللقاء أنتهى ، وأنني مازلت على قيد الحياة، ولكن الغرفة الخالية دليل حي على كونها تلاشت كما حضرت، ومعها تلاشت

الرائحة الخانقة ، وعدت أنا لأفكاري المعتادة ، وعاد فوزي جميل ليحتل كامل مساحة تفكيري ..وكل ما وقر في عقلي لحظتها أن أُذيق فوزي المزيد من العذاب ..

كم أنا شرير وقاس ، ولكني هذه المرة على حق ، ففوزي يستحق كل شر ، والشر لو تعلمون هو أكثر المشاعر صدقًا ، فهو خالي من كل الشوائب .وقد صار ما بداخلي شر خالص سيحسدني عليه الشيطان نفسه . إنه التمهيد المبدئي للتحول الكبير .

صحيح أن الأمور تتعقد ، ولكن هل يوجد هناك ما هو أكثر من سفك الدماء واهدار الأرواح ، كي تتعقد بعده حياتي أكثر ؟!

كل الأشياء المهمة تحدث في وقت واحد ، فلا يدرك الشخص منا مقدار أهميتها حقًا . والمخيف أنني عجزت عن أن أجد رابط بين كل ما يحدث .

لقد زججت بنفسي في جحر الزنابير ، وبعض اللسعات شيء متوقع ، فمن يقتل ، ويسعى للتحول والتخلي عن بشريته، لن يكون من الغريب أن يتزوج هجينة ويزور مملكة الجان ، فقط علي أن أنتهي من روايتي الأخيرة ، فزيارتي لعالم الجن ستكون الرواية الجديدة .

لماذا تنظرون لي باستهجان .

الكاتب الجيد هو من يستفيد من كل ما يمر به من أحداث .

تيك تيك تيك توك .

الحياة فرص ، والأحمق من يتركها تمضي دون أن يقتنصها .

اليقظة

استيقظ فوزي جميل صارخًا متألمًا والعرق يغرق كامل جسده برغم برود الجو، وعلى الفور انتفض من فوق الأريكة التي ينام فوقها، وهو يشيح بيده وكأنه يقاتل عدوًا لايراه غيره ، قبل أن يصرخ غاضبًا:

- لماذاااااااا ؟!!.

ومن التليفزيون المغلق انطلق الصوت باللغة الإنجليزية التي يتقنها جيدًا بحكم كونه معلم محترف لهذه اللغة:

- ليس سيفي من جردك من سلاحك ، بل هو ماضيك .

كان لمسة ملهمة مني ككاتب ، كنت أرسل له رسالة حقيقية بمصيرة ، إلا أنه وسط كل هذا الهول الذي يمر به لم يتلقاها أو يفهمها ..كان فوزي جميل يعاني ، يشعر على يقظته بكل آلام الانتهاك وكل آلام فقد أطرافه ، وصدى الصرير يدوى بداخل روحه فيُفْقِدَهُ إتزانه .. كان الألم شنيعًا برغم كونه قد غادر عالم الكوابيس ، وفي لحظة واحدة وجد نفسه صريعًا فوق الأرض ،وقلبه يوشك على التوقف ، من فرط ما يبذله من مجهود لاحتواء كل أثار الألم .

لم يكن يعرف حقيقة ما يحدث له ولا لماذا ،كان يفكر دون تركيز ويتسائل :

ما الجديد الذي حدث في حياته ليخوض كل هذه الأحداث الشنيعة ؟!إنها ليلة ملعونة وعليها أن تنتهي ..ولكنه لم يكن يملك القرار..

سمع صوت الخمش والصرير ، فتلفت حوله في خوف وقلق ، ثم تذكر الثلاجة .. وعندما نظر إليها كانت مفتوحة كحصن تم تهشيم أبوابه ، وخزانة الأحذية كانت هي الأخرى ملقاة على الأرض ، وكل ما بداخلها مبعثر ، وبعض الأحذية عليها أثار أنياب عملاقة .

الجو البارد يجعل جسده يرتجف ، والقلق من الفئران الطليقة ، جعله يتلفت مجددًا حول نفسه في قلق وجسده يرتجف من الرعب، إن ذكرى غرفة الفئران ماثلة أما عيناه ، ومع حالته المتردية لن يستطيع الصمود أو مواجهة فئران ممسوسة ، وعليه أن يهرب ، ويترك الشقة بما فيها من لعنة وعُمَّار .

الأحمق لا يعرف أنه شخصية في روايتي الحالية..لا يعرف أني سأجعل المواجهة حتمية ، أنا أكتب تفاصيل حياتك الجديدة ، أنت مِلكي ، وستعاني .. أقسم أنك ستعاني، فلم يعد انتقام فقط فأنت من سيكمل التحول .

يقف فوزي جميل في الصالة مرتجفًا خائفًا ، متوتر الأعصاب ، وقد قرر أنه سيغادر شقته وربما إلى الأبد ..

لن يقوم بمواجهة خوفه كما ينصح كل أطباء النفس ، ثم إن مواجهة فئران ممسوسة لن تنتهي على خير أبدًا ، وربما يفقد المزيد من أطرافه ..

وعندما قرر أن يغادر المكان وتوجه صوب باب الشقة ، تلاشى الباب تمامًا ، بل وتحول إلى جدار مصمت من الآجر الأحمر، ومن قلب الجدران شاهد الهول قادم ...

شبح ايمان الميتة يخرج له من قلب الحائط ومن قلب الماضي..لم تكن ايمان في حالتها الطبيعية ، ناهيك عن أنها لو كانت في حالتها الطبيعية ، فهي قادمة من قلب قبرها ..لقد ماتت ايمان ودُفِنَت ، بعد أن خذلها وتركها مع عارها والجنين الذي سكن أحشائها في لحظة عشق وشوق .

كان شكلها مفزع ، وبرغم ذلك لم يستطع أن يشيح بوجهه عنها ..

الدماء الداكنة كانت تَنِزّ من أوردتها المقطوعة لتُغرِق الأرض في مشهد رهيب ، ترتدي قميص نوم يعرفه جيدًا ولكنه ملطخ بالأوحال والدماء ، شعرها قد تحول إلى خيوط شديدة القبح وقد نحل وخلا منه رأسها في بعض المناطق ، أما الشيء المخيف فهو تلك الديدان التي كان تخرج من إحدى محجري عينها في حين كانت الأخرى سليمة في مشهد مروع ..

الموقف كله مميت ، جثة خارجة من القبر ، وقد أتت لتنتقم منه ، وإلا فلماذا أتت إن لم يكن دافعها الإنتقام ؟! ..

تجمد في مكانه وقد جحظت عيناه ، وتوتر جسده ، ومن بين شفتيها المتشققتين خرج صوت عميق جاف مفزع :

- لقد عدت من أجلك ..

***

قررت ايمان أن تغادر هذا العالم إلى عالم أكثر رحمة وشفقة بقلبها الكسير ، بعد أن أرسلت له رسالة أخيرة ومختصرة على بريده الالكتروني :

(لقد أحببتك أكثر من أي شيء في هذا العالم، ولكنك خذلتني .لامعنى للحياة الآن بدونك، وداعًا).

***

لا أحد يمكن أن يتصور حالة فوزي جميل في تلك اللحظة ، ولا مقدار الخوف الذي شعر به لحظتها ، ولا تلك الأفكار التي دارت في عقله ..

فقط عندما ركض نحو المطبخ ، وانتزع سكين مطبخ أخر وحاول أن يولجه في صدره ، لينهي حياته وسلسلة الأحداث المروعة التي يمر بها ، طار السكين من يده ليلتصق بالسقف ، قبل أن يعود صوت الخمش والصرير ، ولكنه هذه المرة كان أقرب وأوضح ..وبدأت المواجهة ..

ظهر الفأران الممسوسان بأعينهم المشتعلة بذلك الضوء الأحمر المخيف ،وكلا منهما يصدر صريرًا مخيفًا، وتتحرك مخالبه استعدادًا للهجوم ومن قلب الصالة دوى صوت ايمان المخيف . أو لنقل شبحها:

- لقد عدت من أجلك يا حبيبي ، عدت لأصحبك معي للعالم الأخر..

فوزي جميل يتسلح بمقلاة معدنية ثقيلة ..ينظر للفئران بخوف شديد ..لا يعرف إن كان يهاجمهم أم ينتظر هجوهم ، ويشتت تركيزه صوت الشبح :

- أنا أعرف أنك تحبني ..ولكنك جبان .

يهاجمه أول الفئران فيضربه بالمقلاة،ولكن الفأر الأخر ينشب مخالبه في قدمه.

يهوى على الفأر الناشب في لحمه بالمقلاة، ولكن الفأر مازال متشبثًا بقدمه .. يعدو بداخل المطبخ ، يصطدم بالمنضدة التي تراصت فوقها بعض الأطباق والأكواب ، لتهوى متهشمة ..

يشعر بأنياب الفأر تحاول إنتزاع قطعة من قدمه ..يتملكه الجنون ..يهوي بالمقلاة عليه مئات المرات ..

الفأر الأخر . يتسلل عبر بنطاله وينشب أنيابه في فخذه ..يطلق صرخات كفتاة عذراء تتعرض للإغتصاب ..يشعر بالفأران يقضمان من جسده ..يلقي بجسده على الأرض ويتقلب ..ينزع بنطاله في عنف ..

يتراجع الفئران وكل منهم يتلذذ بتلك القطعة التي نزعها من جسده ..

الدماء تغرق قدميه ، وعيناه مسلطتان على الفأرين اللذين أثارتهم رائحة الدماء المتدفقة ..

يقفان أمامه في تحد ، أعينهم تتألق بذلك الضوء المخيف . تتحرك أقدامهم ورأسيهما بحركات متوترة استعدادًا للهجوم الجديد .

صوت شبح إيمان يأتي من الصالة :

- أستطيع أن أنقذك منهما ..مع وعد واحد ..أن تكون لي ..

يتجاهل صوت الشبح وهو ينظر نحو الموقد وعقله يعمل بسرعة ، وبكل ما تبقى داخله من قوة ، تذكر المعلومة ..كل الكائنات الحية تخشى النار ..

إذاً فالنار هي وسيلة نجاته ، والمطبخ هو معبدها المقدس ، وعليه أن يحصل على قبس منها ليدافع به عن نفسه ..

يتجه بسرعة نحو الموقد ذاتي الإشعال ، يدير صمام الغاز ، تنطلق الشرارة وتتوهج العين الكبرى بالزهرة البرتقالية الحارقة ..ينزع قميصه عن جسده ويلفه في سرعة حول عصا المكنسة التي انتزع عنها الرأس ، ثم يضعه بقلب اللهب ، لتشتعل فيه النيران في سرعة ..والآن أصبح يمتلك مشعلًا بدائيًا ولكنه صالح للقتال ..

يُلَوِّح به نحو الفئران في توتر ، فيهاجمه أولهم قافزًا في الهواء كفهد غاضب ، يستقبله بضربة عنيفة من المشعل البدائي ، لتمسك النيران في جسده الوبري ، وكأنه متشبع بمادة سريعة الإشتعال ، ليتحول بعدها لكرة من اللهب في مشهد مقزز ، قبل أن يرتطم بالأرض ليتحول بعدها إلى كتلة من الرماد الأسود ..صوت الشبح من الخارج يصفع أذنيه :

- رائع أنت كما رأيتك دائمًا ..قوي وجسور ..وخائن ..

الصوت يوتر أعصابه ولكنه يتجاهله ويستعد للمواجهة الثانية. المفاجأة ، أنه عندما أقترب من الفأر الثاني ..توتر جسد الفأر وإنطفأت عيناه ..ثم تلاشى في العدم .. وكأن هناك رابط ما كان يربطة بالفأر الذي أحترق منذ لحظات ..

ووقف هو ينظر للفراغ غير مصدق أن هذه المواجهة انتهت ..ينظر لجسده المصاب ثم يشهق في قوة ..

إنه يشعر بالألم المضني في تلك الأماكن التي تمزقت بفعل الفئران ، والغريب أنه لا يوجد أي أثر لجروح أو دماء ..

هل جُنّ ؟ بالتأكيد ..

والدليل ، صوت الشبح يأتي من الخارج :

- هل أفتقدتني يا حبيبي ..هل أفتقدت صغيرك ..

يقف وسط المطبخ كالمجذوب ، إن عقله عاجز تمامًا عن استيعاب ما يمر به .. هل انفتحت بوابة الجحيم بقلب شقته ؟!.هل أصبحت شقته فجأة ثغرة للشياطين ؟!

ماذا يحدث حقًا..هل شبح ايمان هو المسئول عن كل ما يمر به ؟! لم يكن هناك تفسير منطقي أخر لكل ما يحدث حوله من أحداث غير منطقية ..الآن عليه أن يواجه شبح ايمان ..

وفي هذه اللحظة دوت الصرخة من قلب الصالة ، لتزلزل جدران البيت وروحه التي تكاد تغادر جسده ..اندفع صوب الصالة وقلبه يرتج في صدره متوقعًا مصيبة جديدة .

وهناك كان جسد ايمان الشبح ممددًا فوق الأرض يتلوى في عنف من الألم .. يشيح بوجهه ليتجنب منظر الديدان التي تمرح في وجهها ، وهو يفكر هل تتألم الأشباح كالبشر ؟!.

الجسد الشبحي يتقلب فوق الأرض دون أن يلامسها ،وقد أحاطت به سحب سوداء داكنة لا تفسير لها ..

جسد ايمان الشفاف المتموج يعاود الإنتفاض في عنف ..

يقف جميل عاجزًا عن فعل أي شيء ، فلتمت أو تحترق في قلب الجحيم .. فقط فلتغرب عن المكان ..

مازال الوغد حقيرًا ، وكلما أحتاجت له ، ظهرت حقارته أكثر .

يتقهقر نحو الخلف وهو لا يدري كيف يمكن أن يموت شبح من الأساس ..

المشعل البدائي في يده ..ينظر نحوها ومئات الأفكار تعبث في عقله ..صوت صراخ شبحها يرج جدران المنزل ..كيف لم يستيقظ الجيران ، وكيف لم يبلغ أحدهم الشرطة ؟!.

صوت شبح إيمان الصارخ المتألم يصفعه في تضرع :

- لا تتخلى عني إنه قادم ..

وقعت جملتها على روحه كالصاعقة ..أي هول أخر قادم أيتها المخبولة؟!

وفي اللحظة التالية انتفض جسد ايمان في قوة ، قبل أن يرتفع ليعود مستويًا فوق الأرضية الباردة ودون أن يلامسها .

هل يمر شبح إيمان بمرحلة المخاض ؟! أي جنون هذا ؟!

لا يعرف الوغد أن الجنون هو الصفة المميزة لكتاباتي ..

ينتفض جسد إيمان الشبحي إنتفاضة أخيرة، قبل أن تتقلص قدماها وتبتعدان ، لتتماوج السحب السوداء ولتعبر بداخل قدميها وتتلاشى ..وفي اللحظة التالية ، انطلقت صرخة الصغير وهو يخرج من رحم أمه الشبحي ، وعندما وقع بصر فوزي جميل على المولود ، الذي يشبه وحوش أفلام سلسلة ALEANS كان ما قام به يفوق أي توقعات ..

فقد أقترب بهدوء مخيف من الجنين الغارق في تلك الدماء قليلة الكثافة ، والذي يتقلب بين يدي أمه المتآكلة محاولًا معرفة كنه ذلك العالم البارد الذي يحيط به ، وبالمشعل الذي تكاد تذبل شعلته ، قام بمس جسد الجنين به فاشتعل هو وأمه.

أطلق الطفل صرخة عاتية مروعة،وأطلقت أمه أنين يمزق القلوب،ومع احتراق الجنين والأم، تصاعدت رائحة الشواء في قلب المكان،ومعها تصاعد العواء .

وقف فوزي جميل بأنفاس متقطعة ، يشاهدهم وهم يتلون بقلب اللهب الأزرق ، وعقله غير مصدق، وقلبه يكاد ينفطر من اللوعة .. لقد أحرق حبيبته ، وابنه الذي لو كان تزوجها لحظي به ، ومن قلب النيران دوت الصرخة الملتاعة :

- قتلتني مرة أخرى أيها الحقير ..وقتلت طفلتك ..أقسم لك بأنك لن تحظى بلحظة واحدة من الراحة ما دمت حيا ..

وبكل ما بداخله من صدمة ، جلس فوزي جميل فوق الأريكة وأشعل سيجارة ، وهو ينظر للهب الذي خبت جذوته ، وتحول إلى رماد أسود

تلاشى بعدها في العدم ، قبل أن يسود الهدوء كل شيء : وكما ظهر الشبح تلاشى كل أثر له. ولكن بقيت في جسده غصة تؤلمة أكثر من أي وجع أخر شعر به في حياته .

النار تحرق الأوهام أيضًا ، وقد توصل لها هذا الوغد بضربة حظ .

وأخيرا تسلل الهدوء إلى داخله ، فأخذ ينظر حوله غير مصدق ما مر به منذ لحظات ، ثم شعر بضعف مفاجيء ، وترك السيجارة المشتعلة تسقط من يده ، ودخل في نوبة بكاء عنيفة ..

وفي اللحظة التالية سمع صوت الطرقات الحذرة على الباب ..

وهنا توقفت عن الكتابة .

توك.

التحوّل

يقولون ، وهم دائمًا حكماء:

- لكي ترى جيدًا العالم الجديد الذي أخترته بكامل إرادتك، عليك أن تنسى كل شيء عن عالمك القديم ، عليك أن تختار نفسك أولًا ، وبعدها لتختار أي شيء أخر .

ولكن ماذا لو خسرت نفسك قبل أن تعبر لهذا العالم الذي أخترته، وسعيت إليه ، ثم تورطت بداخله حتى أنك نسيت جدوى أختيارك ؟!..

ليس معنى أنك صرت كاتبًا شهيرًا وثريًا ، وأنك حققت طموحك الأكبر أنك قد ربحت نفسك ، لتريح نفسك لابد وأن تحقق حلمك بوسائل مشروعة ، وتعرق وتتعب من أجل تحقيقه ، أي شيء أخر مجرد هراء ، وسيفقدك لذة النجاح الحقيقية ..

ولكنني كنت في ظروف خاصة ، لقد تم الإستحواذ علي من قِبَل طموحي ، قبل أن يستولي عليَّ القرين ، وذلك الكتاب الجهنمي شمس المعارف ، والطموح لعنة لو لم تكن تملك كل المؤهلات التي تساعدك لتحقيقه ..

عليك عندما تحلم أن تحلم بالمستحيل ، ولكن واقعًا يظل المستحيل مستحيلًا مادمت غير قادر إلا على الحلم .

لا أخفي عليكم أن وجود كتاب شمس المعارف معي بنسخته الأصلية . كان إغراءًا لا مثيل له، خاصة وأن تعويذته الأولى نجحت ومنحتني ما أصبو إليه ، وجعلت مني ما أنا عليه الآن ..

كاتب شهير ثري وذو نفوذ، لقد حقق الكتاب حلمي الأكبر..

الشهرة ،الأموال ،والسلطة التي تمنحها لك الأموال، ومن تستطيع الأموال أن تشتريهم مغرية ، ولكن يبقى شيء واحد ، قد يجعل كل ما ذكرته هباء منثورا ..

الزمن ..

الزمن يعدوا أسرع من قدرتي على الاستيعاب ، الشعر الأبيض الذي أخفيه بالصبغة يتكاثر وكأن رأسي أرض خصبة لنموه ..

يتكاثر ليبلغني رسالة واحدة ، أن كل ما سعيت له وحققته ،لا محالة سيُدفَن تحت التراب ..وهو شيء لم أضعه في حسباني من قبل، ولن أقبل به الآن .

الزمن الذي يعدوا كجواد جامح وتلتهم عقاربه أجمل سنين عمري أصبح العدُوّ..

فماذا لو كانت هناك وسيلة لقهره ، وسيلة جهنمية ؟!.

وكانت رغبتي الشديدة أن أقهر الزمن ومرور الوقت ، وذلك العد التنازلي الذي لا يتوقف من لحظة الميلاد ، ويجعلني أقترب حثيثًا من الموت .

النسخة الأصلية من كتاب شمس المعارف تحتوي على علوم و معارف جهنمية ، إنها خلاصة الفنون السوداء جميعها ..ولا يبدوا أن ساحر واحد قد كتبها ، وربما كانت تضم ما أنزله الله ببابل من سحر على هاروت وماروت .

لقد أصبحت على يقين تام من أن من يملك هذا الكتاب قادر على أن يحكم العالم لو أستطاع فقط أن يُلِمَّ بعلومه ويمتلك كل تلك القدرات التي تُمَكِّنَهُ من التعامل مع عالم الجن وخدام الكتاب والتعاويذ والهجناء ، إن الكتاب يحتوي من العلم ما يجعلني غير قادرًا على مفارقته ..

ربما وقعت نسخته الأصلية في أيدي الكثيرين ، ولكن تفعيل تعاويذها كان يحتاج لمن هو مثلي ، لمن خرق جدار الطبيعة . وكفر بكل مبادئه وعقائده ، وعقد العهد مع الشيطان نفسه .

كم مرة قرأت فيها هذا الكتاب ؟!كم مرة دخلت إلى عالمه وتألقت حروفه أمامي ؟!كم مرة سالت دمائي من أجل تجربة تعويذة ما ؟!.

لقد صرت أسير لهذا الكتاب المروع ..وما أجمل تلك القوة التي أشعر بها عندما أضمه إلى صدري ..

لقد سيطر الكتاب علي كما سيطرت تلك الكتب المماثلة على روح صديقي الباحث الأكاديمي عبد الرشيد أمين ، الذي ساعدني على اقتناء الكتاب لو كنتم تذكرونه وسط دوامة الأحداث هذه ..

سيطر عليَّ لدرجة أني صرت عبدًا لكل ما يحتويه من علوم ، وأصبحت أرغب في المزيد والمزيد مما يحتويه من قدرات .. خُلِقَ الإنسان من طمع ..

ومن جشع أيضًا.

لايمكن أن أن تملأ عين ابن آدم إلا بالتراب ، هكذا قال القدماء ، فقط لا يوقف طمعه وطموحه إلا الموت ، وكانت رغبتي أن أقهر الموت..

كل التعاويذ والعزائم الموجودة بكتاب شمس المعارف مروِّعَة وشنيعة ، ولكن تخيل وسط كل هذا الهول أن تجد هناك تحذيرًا شديد اللهجة يحذر من استخدام هذه التعويذة بالذات ..

تخيل وقع الأمر عليك ...إنها التعويذة الوحيدة بكتاب شمس المعارف الأصلي التي سبقها تحذير صارم ، وهي الوحيدة التي ترغب بها .

ويقول كاتب التحذير:

- هذه التعويذة خطها الشيطان بنفسه ..الخلود لا يمنح إلا للملعون ..

الخلود ..هذا هو الحلم ، أن أصير كاتبًا شهيرًا ، ثريًا ، لا يتوقف عن الإنتاج ، ولا يهزمه الزمن يومًا ..

القرين نفسه لن يسره الأمر،لأنه لن يتحرر يوما من صحبتي ولكن من يبالي، لن يكون هذا الجني عقبة أمام أحلامي التي تخطت المستحيل ذاته، وربما وجدت ذات يوم وسيلة للسيطرة عليه .

عودوا معي قليلًا بالزمن ..تحديدًا مع كتابتي لرواية أبناء الزمن ، روايتي الخامسة ..كانت تتحدث الرواية ، عن الخلود الصناعي وكيف عن طريق تكنولوجيا النانو استطاع البشر الخلود بأجسادهم ولكن أرواحهم كانت تشيب مع مرور الوقت ، وكيف تمنوا الموت في النهاية ، ولكنهم عجزوا عن الحصول عليه بسبب تلك الجسيمات المبرمجة ذات الذكاء الصناعي التي تسري في دمائهم ، والتي أصبحت تحافظ رُغمًا عنهم على صحة ونشاط الخلايا ، وتكافح أي مرض أو تغير يطرأ عليها بفعل مرور الزمن ..

لقد عانى أبطالي أو ضحايا في هذه الرواية ، وعانى معهم من اخترتهم أبطال لهذا العمل على أرض الواقع.. لقد كان مرور الزمن يفعل أفاعيله بأجسادهم الهشة!!.

أول من مُنح الخلود في التاريخ المعلوم كان الشيطان ، ولابد أن قلبه قد مات بعد المعصية ، فكم شاهد من أبناء وأحفاد يرحلون وهو باق ، كم مرة عشق جنية ثم هرمت وذوت أمام عيناه ،دون أن يملك أن يبقيها بجواره ..

وربما لهذا خط هذه التعويذة ليحتفظ ببعض من يهتم بأمرهم بجواره، إنه يملك كل الوقت ليجرب ويتعلم ، ويرى نتيجة عمله..السحر علم،ولكنه علم محرم ..كم كسر من قوانين ، وكم ارتكب من آثام ليملك تلك المنحة الأبدية .

لم يرغب أبطال روايتي في الخلود بعد أن حصلوا عليه ..ربما لأنهم لم يمتلكوا الهدف المناسب والطموح الصحيح ، ولكني قد دفعت الثمن مسبقًا من أجل أن أحقق جزءًا من حلمي ، والآن المستحيل هو حلمي ولدي كل القدرة على تحقيقه ..

ووقتها سطعت في رأسي الفكرة ..لماذا لا أحصل أنا على الخلود ؟!..

لقد أرتكبت في سبيل حصولي على الشهرة والمجد ككاتب رعب، ما لم يرتكبه قاتل متسلسل مهووس ، والخلود سيمنحني ألف فرصة لأصلح ما فسد ، وربما حكمت العالم نفسه ذات يوم وأصبحت أعمالي مقررات دراسية ..سأفعل أي شيء ليخلد اسمي وكتاباتي في التاريخ، وليس أفضل من أن أخلد أنا معه.

التعويذة هذه المرة لم تكن هينة ، أو بسيطة ، ولكن المال قادر على فعل كل شيء في عالمنا المادي هذا ، بل وتحقيق المعجزات .

كان علي أن أصرح بالكفر ، وكأن ما قمت به ليس كفرًا بخالقي وانسانيتي ، ثم أحضر جسدًا ميتًا مرُ عليه على الأقل ثلاثة آلاف عام ،مع العديد من المكونات الأخرى التي يسهل الحصول عليها ، ثم كان علي أن أأمر بسفك الدماء كتضحية أرضي بها خادم التعويذة، في النهاية على أن أسجد للشيطان وأقيم له الصلاة من غروب الشمس وحتى فجر اليوم التالي ..

والمومياء كانت من أبسط الأمور ، فعن كمية الأثار التي تنهب وتهرب وتباع في السوق السوداء المحلية والعالمية حدث ولا حرج ،إن لها

مواقع تموج بها شبكة الإنترنت العالمية ..الأمر مع المال أسهل بكثير ..فالمال هو مصباح علاء الدين الحديث ..

المومياوات مع ضعف متابعة الدولة ، كانت تعامل معاملة سيئة مع كثرتها في أرض الفراعنة ، لقد وصل بهم الأمر في أحد الأوقات أن مومياوات أحد الجبانات كان يستخدمها الأهالي للتدفئة ، لذا لم يكن الأمر صعبًا في الحصول على مومياء فرعونية كاملة .. وببضعة الاف أخرى استطعت أن أجمع مكونات التعويذة ، ثم كان عليَّ بعدها أن أستعين بفوزي جميل ، كي يقوم بسفك الدماء كقربان ..فبعد أن أتممت إعداد كل شيء لإتمام التعويذة وجهزت كل مكوناتها، تبقى لي الشرط الأخير والأهم .

الأمر بالقتل .

وببضعة نقرات فوق مفاتيح آلتي الكاتبة الجهنمية استطعت أن أنجز الأمر ، و قام فوزي جميل بجريمة المتجر القريب من الطريق الدائري .

***

ومضة من الذاكرة !!.

المكان : المتجر القريب من الطريق الدائري ..

مشهد لخمسة من الجثث تم رصها بعناية ، الرؤس تصنع دائرة مركزية ، والأقدام منفجرة في كل اتجاه كزهرة آدمية متفتحه تغمرها الدماء ..

يهم بإخراج أدواته من معطفه ..

صوت يرُج أركان عقله يخبره ، بأنه ليس هناك وقت ليمارس هوايته الأثيرة ، ولكنه يُصِر على وضع لمسته الخاصة ..

لوحته الفنية الجديدة ستعج بالنيران ..

المتجر مشتعل ، وهو يقف متفرجًا ، وعلى وجهه إبتسامة وحشية ..

صوته العميق الصارم :

- لقد أنفذت مشيئتك اليوم ، وغدًا يوم جديد ..

إظلام

***

كانت جريمة مروعة ، والأجمل أن فوزي جميل لم يترك خلفه أي شهود ، ومنحته أنا فقدان الذاكرة المؤقت كمكافأة له ..حتى الشيطان يمنح أتباعه مكافآت لإتمامهم الأعمال الصعبة ..هكذا يضمن ولائهم وإتقانهم مهامهم .

والآن نعود لفوزي جميل ، الذي تركته يعاني ويتعذب بعد أن قتل حبيبته ايمان وجنينها للمرة الثانية ، وعاش معاناة الفقد حتى الثمالة ..

ففي تلك الليلة السوداء ، كان فوزي جميل قد انهار نفسيًا إلى أقصى مدى وأصبح مستعدًا ليقع تحت قبضة سيطرتي الكاملة. إن السيطرة

النفسية تمنحك خضوع وتحكم كامل في حياة ضحيتك ، وكل محقق في أقبية المعتقلات يدرك ذلك جيدًا .. لذا فأنهم يحطمون المساجين نفسيًا بأبقائهم مستيقظين لعدة أيام وبحرمانهم من الطعام والراحة والنوم.

ولذلك فعندما صعدت إليه تلك الأرملة إحسان في تلك الليلة الطويلة، وطرقت باب شقته ، كاد قلبه أن يتوقف هذه المرة من الرعب ..

لم يكن يعرف من الطارق ومن أي عالم أقبل ، لذا فإن الرعب الذي أجتاحه كان مروعًا وهو يقف مواجهًا للباب مستمعًا للطرقات القوية ، متوقعًا الأسوأ ، فأي هول أخر قادم من خلف باب شقته المغلق ..

لم يكن يدري بالطبع أن الطلسم الذي رسمه القرين على باب شقته كان يؤثر في كل سكان البناية بكل الطاقة السلبية التي كان يشعها محتويًا البناية وربما بنايات أخرى من حولها ..

لم ينم طفل أو رجل أو إمرأة يومها ..ومن كان نائمًا منهم أستيقظ على كوابيس شنيعة أماطت اللثام عن أعتى مخاوفه ليواجهها ..لقد أصبح فوزي جميل لعنة حقيقية على كل مكان يتواجد به .

أما عن إحسان جارته فقد كانت تربطها بفوزي جميل علاقة حميمية محرمة وأثمة ، لذلك عندما هاجمتها الكوابيس وجفاها النوم ، حملت معها زجاجتان من البيرة ، وكمية من الحشيش تكفي لإفقاد دزينة من

الرجال وعهم وصعدت إليه ..وإحسان ، كانت هي المعادل المادي لميرهان في الرواية التي كتبتها ..كانت إحسان هي الأصل ..

كانت أولى جرائم فوزي جميل الحقيقية والتي أقترفها بيده، ربما لم تكن بإرادته ولكنه من قام بها ، تلتها بعدها ذلك إلهام أو وئام وهو أسم الضحية الحقيقية أو المعادل الواقعي لإلهام. ثم تتابعت الأحداث كما ذكرناها من قبل .

فقط كانت قصة فوزي جميل هي القصة التي لم أكملها في حينها، ولم أرغب في أن أُعَجّل بنهايتها..لقد أقسمت على الوغد أن يتعذب وأوفيت بوعدي ، لذا كنت أضيف له يوميًا كارثة جديدة في حياته ، بل وتعمدت أن يكون بطل روايتي يحمل أسمه الحقيقي .

تخيل أن يتحكم كاتب رعب - يمتلك كتاب ككتاب شمس المعارف الأصلي ، بكل مافيه من تعاويذ ولعنات وفنون سوداء - في مسار حياتك ، أن تكون بطل لرواية دموية يَخُطّها .. بطل يكرهه الكاتب ، ويرغب في جعله يعاني؟!

إنه الجحيم ذاته ..

فتلك المخلوقات المخيفة التي كانت تمرح طوال الوقت على سقف شقته كانت جزءًا منها وأحالت بعض لياليه لجحيم قبل أن يعتادها..

النباتات التي تذوي بمجرد اقترابه منها كانت لعنة أخرى سببت له إحراجًا لا مثيل له ، وعمَّقت بداخله إحساس كونه لعنة تسير على قدميه ..

ثم تلتها شهوة القتل والنساء ، والتي أججتها بداخله، ليصير قاتلًا متسلسلا تتحكم فيه الغريزة فقط ..كما أنني كنت أمنحه فقدانًا مؤقتًا للذاكرة ، كي لا أفقده من هول ما يمر به من أحداث ومواقف .

إن حياته ظلت ثمينة حتى قررت أن أضع لها النهاية المناسبة ..

والأن أخبركم بنهاية قصة فوزي جميل الحقيقي ، لقد حان الوقت تمامًا ، فبعد التحول لن يكون له أي انعكاس في حياتي ، هو أو غيره سيكون صفحة أنطوت على عالمي المحدود ، فأنا سأتطلع بعدها نحو العالم أجمع ، كلماتي ستشكل العالم من جديد ، وساعتها سأمتلك كل الوقت.

فبعد أن انتهت قصة فوزي جميل على الورق بأن نال جزائه حرقًا على يد حبيبته هبة ، كان على فوزي الحقيقي أن ينال نفس الجزاء ، أن يموت محترقا ، ماحيًا من حياتي بموته أسوأ فصولها ، وأمتعها ..

إن الكاتب الذي يظل أسير قصة واحدة ينتهي ويتلاشى مع الوقت. لذلك حان الوقت للتحرر .

في تلك المرحلة كان فوزي جميل يعيش حياته بالقصور الذاتي ، لا يعرف ماذا يدور فيها ، وكلما اقترب من شاطيء المعرفة ، كان يفقد

ذاكرته ومعها كل ما يربطه بواقعه ، ويتحرك وفقًا للسيناريو الذي أعدتته له ..

والحقيقة أنه كان أوقاتًا ما يخالف ما كَتَبْت ولكن النهاية ظلت واحدة ، ففوزي جميل الذي يحيا على الورق خيوط حياته محدودة ومحصورة ، أما فوزي الحقيقي ، فحياته تتقاطع مع الآلاف من الأشخاص والأحداث القديمة والجديدة ، ويحتاج تتبعها إلى قدرة إلهية لن تتوفر لبشر قط ، ولن يمنحها لي كتاب حتى لو كان شمس المعارف ..

كان فوزي يشعر بالخواء والضياع وفقدان الهدف طوال الوقت. إنه مُسَيَّر بكل ما للكلمة من معان ..وهو إحساس شنيع مقيت لو طلبتم رأيي ، خاصة لو أنك ترتكب رُغمًا عنك ، ورُغمًا عن إرادتك ، كل ما يخالف ما جُبِلَتْ عليه فطرتك الإنسانية، فمهما بلغ بك الأمر من السوء ، فالقتل سيظل إثمًا رهيبًا لن تتحمله إلا روح مشوهة ومهشمة ، ولن يمارسه إلا مريض نفسي فَقَدَ كل إتصاله بسلامه الروحي والعقلي .

إن أصعب إحساس في الدنيا، أن تكون على قيد الحياة ، وكل شيء بداخلك ميتًا ، أنت ورقة شجر تنتظر السقوط من شجرة الحياة ، نحو الجحيم مباشرة.

لقد تمنى فوزي الموت ألف مرة دون أن أجعله يحظى به ، ثم حانت لحظته بموت فوزي الأخر في روايتي ، إن خط حياتهم مشترك ، موت أحدهم هو النذير لموت الأخر ، والقاتل واحد .

كنت أتابع تحركاته ، وما يقوم به بفضل تلك القدرة التي منحها لي القرين ، القرين الذي بدا وكأنه في مرحلة كُمُون منذ ظهرت الهجينة في حياتي، وكأن لها سيطرة ما عليه ..أو أنها هي من كانت تدير الأمر من البداية .

وفي الليلة الحاسمة ، كان فوزي جميل يستعد للإجهاز على ضحيته الجديدة ، فتاة ليل متمرسة ، ولا يبدو من طريقة كلامها أو ردودها الفجة أنها تمتلك أي رقي أو ثقافة ، فقط تمتلك ملامح فينوس ، وجسد كيم كارديشان المفعم بالأنوثة ..

إن العاهرات يختلفن من مكان لمكان ، فهناك المتعلمة الراقية المثقفة ، وهناك من تماثل رجاء ، أكثرهم إمتاعًا تلك التي تشبه رجاء ، والتي تنظر لعملها بنظرة جدية ، وتبذل فيه مجهود حقيقي .

كانت عنيفة في تعاملها معه ، ومنحته ليلة مثيرة حتى أنه كان يتمنى لو يقضي معها عدة ليال أخرى ..ولكن الصوت العلوي كان قد قرر مصيرها ..وعليه أن يُطيع ..

كانت نائمة فوق الفراش عارية وكأنها لا تقبل أن تمس الأغطية جسدها بعد ليلة أسطورية منحته فيها ما لم يمنحه غيرها من نشوة ومتعة ، بساديتها واستعذابها للألم ..

لقد انتزعته من روتينية حياته ، وذاكرته المشوشة وأدخلته جنتها المحرمة .

الغريب أنه بعد نومها ، عادت ملامحها طفولية وجميلة وفقدت كل شراستها، لذا فإنه عندما أحضر تلك القيود المعدنية ليثبتها في الفراش ، كان في قلبه جزء يشفق على كل هذا الجمال الذي سيسلمه لملك الموت ثم إلى لهيب النيران ..ولكنه كان عليه أن يطيع الصوت الخارق وينهي حياتها ويشوهها ..

كان قد استأجر ذلك الشاليه من الباطن دون أوراق ، ودفع الثمن مقدمًا ، بعد أن غير في هيأته ، لذا لن يكون هناك آثار يمكن تتَبُّعه عبرها ، إنه حريص وحذر وينفذ مشيئة ذلك الصوت العلوي ..

مشيئتي ..

قيَّدَ جميل رجاء إلى الفراش من يد واحدة ، ثم أحضر جركن البنزين ، فهو سيقتلها ويشوهها في نفس الوقت ، إنها لوحة نارية عليه أن يُتِمَّها..

سكب البنزين فوق جسدها العاري فاستيقظت وعادت شراستها لتطغى على ملامحها ، وعندما تسللت رائحة البنزين إلى أنفها ، نظرت نحوه في هلع قبل أن تصرخ فيه :

- ماذا تنوي أن تفعل في رجاء أيها المعتوه ، هل تظن أنك لن تدفع ما اتفقنا عليه وستتخلص من رجاء ، لقد قامت رجاء بعملها على أكمل وجه ، وعليك أن تدفع ..

كان رد فعلها عنيفًا ومدهشًا، ربما لأنها لا تدرك ما ينوي القيام به معها ، أو أنها تراه أضعف وأقل من مواجهتها ..

كانت رائحة البنزين تُفعِم أنفه ، ويده تقبض على قداحته البلاستيكية ، وكان جسد رجاء العاري أمامه يهزه من الداخل ، والجريمة التي سيقوم بها تضرب أعمق أعماقه ..

كيف لكل هذا الجمال وهذه الفتنة أن تُلتهِمَهَا النيران ؟!بل هل يجرؤ على حرق من تمتلك مثل هذا الجسد ، وهذه الملامح وهي حية وتواجهه ؟!.

كانت مواجهة مع نفسه التي ضعفت وتلاشت في ملكوت الاستسلام لذلك الصوت العلوي الخارق ، مواجهة ستنتهي دائما بهزيمته ، وإتمام الأمر.

كانت رجاء تقاوم قيدها بشدة ، وكان قائم الفراش النحيل يئن تحت وقع جذباتها التي أدمت معصمها ..فريسة شرسة تقاوم قيد الصياد ..

لن أخفي عليكم أن فوزي جميل ، كان مستمتعًا بمقاومتها ، إنها تزيد الأمر إثارة بحركتها العصبية وجسدها العاري ، لقد تملكه نداء الدم ،

وهو يتطلع إليها الآن بأعين شيطان مريد ، محاولًا تحديد الخطوة التالية ..

نظر لجسدها المثير الذي غرق في العرق والبنزين ، وتمنى بداخله ليلة أخرى يقضيها في أحضانه الفتية ..وبكل هدوء واستمتاع ، وضع جركن البنزين جانبًا ثم أشعل القداحة ، وهو ينظر لوجه رجاء الذي منحه الغضب فتنة مضاعفة، بعد أن أيقنت من مشهد القداحة المشتعلة مصيرها ، فإزدادت وحشيتها ، وغمره قاموسها المنتقى من الشتائم البذيئة ..

إنها حيوان هائج لن يقبل أن يستسلم لصياده بسهولة .

لم تكن رجاء من ذلك النوع من النساء الذي يستسلم ببساطة ،وبكل قوتها جذبت القيد المعدني لتهشم به قائم الفراش الهذيل ولتدمي معصمها ..لم تصب بالخوف كما كان يحدث مع مثيلاتها عندما توقن أن الموت اقترب منها ، بل شعرت بالغضب ..لقد واجهت رجاء الموت والعنف في منطقتها الشعبية مئات المرات، لذا كانت توقن أن من هم مثل فوزي جميل الرقيق لن يمثل عليها خطرًا حقيقيًا ، بل هي الخطر عليه ..وبمجرد أن تحررت من القيد هاجمته ..وكانت ضربة قدمها بين ساقيه كاسحة . إنها تعرف كيف تربح معاركها بسرعة وقوة .

تلقى جميل الضربة بين ساقيه وهوى على ظهره ، وفي اللحظة التالية إعتلته رجاء ، وأخذت تكيل لوجهه الضربات وهي تقول في غضب :

- اكنت تريد أن تحرق رجاء حقًا...رجاء التي لم يتمكن منها أحد إلا بأرادتها ، هل تعتقد نفسك رجلًا أيها الوغد ..

تلا حديثها عدة صفعات على وجهه زلزلته ..وجعلته يتذكر لوهلة ذلك الاعتداء الشاذ الذي حدث له في طفولته ، وإحساسه الدائم دومًا بنقص رجولته ليصيبه الغضب ..

ومع غضبه المتصاعد ، لم يكن ليستسلم لها، خاصة وأن ذلك الإحساس الخارق يتملكه، لولا أن جلست أنا على آلتي الكاتبة وكتبت (وانهار فوزي جميل تحت وطأة ضرباتها القوية).

إنه حدث ما بعد نهاية القصة الأصلية المحوري ..ومع أخر نقرة فوق آلتي الكاتبة ، انصاع القرين إلى رغباتي ، وكعفريت المصباح حققها فوريًا ، كنت أجهل كيف يتحقق الأمر مع اختفائه . ربما السر كله في تلك الآلة الكاتبة المشنومة . فعندما همَّ فوزي جميل بمهاجمتها دوى الصوت الكاسح في رأسه :

- استسلم ولا تقاوم ..استسلم ولا تقاوم ..

وفي هذه اللحظة ، شعر فوزي جميل بالخِدر في جسده ، كان يريد أن يقاوم ولكن جسده لم يطيعه ، حاول بالفعل أن يقاوم ولكن جسده لم يعد ملكه ولم يعد يُنَفِّذ مشيئته . بل مشيئتي فقط .

وعندما سَكَبَتْ عليه رجاء البنزين ، هطلت دموعه كطفل صغير غابت أمه عن بصره فجأة، وتجسدت أنا أمامه ، كأسوأ ذكرى خرجت إليه من عالم الماضي ، ليشهق في عنف ويصرخ في ضراعة :

- ساعدني يا ناجي ساعدني ..

جعلت هذه الكلمات رجاء الغاضبة تجفل، وتستدير بسرعة لتنظر خلفها، وتبحث عن ناجي المزعوم ، ولكن تجسدي لم يكن يراه سواه ..

لذا فإنها عادت مبتسمة وغاضبة، ووجهت حديثها لفوزي :

- هل تعتقد أن هذه الألعاب الصبيانية ستجعلك تفلت من بين يدي أو تكسبك بعض الوقت، رجاء لا تترك ثأرها أبدًا ..هل كنت ترغب في حرق رجاء . يا لك من أحمق .

ثم بصقت عليه ووجهها يحمل أعتى ملامح الاشمئزاز ، وتناولت بعدها من جركن البنزين من فوق الأرض لتفرغ ماتبقى بداخله حتى أخر قطرة فوق ملابس فوزي جميل ، ومن فوق السجادة القديمة تناولت تلك القداحة البلاستيكية التي تحمل الموت بين طياتها، وعيناها مشتعلتان بنشوة مخيفة ، فقط لتقدح زنادها لتتوهج بفحيح خافت ، ثم وقفت للحظات تتأمل في جزل وجهه الخائف الغارق في الدموع والبنزين، لم تكن تفكر أو تراجع نفسها ، بل كانت تمتع نظرها بضحيتها المستسلمة.

في حين كان فوزي جميل في عالم أخر ، يواجه تجسدي المخيف.

وعندما دوى صوتي بداخل عقله ، تراخى جسده تمامًا بعد أن أيقن أني وراء كل ما يحدث دون أن يفهم كيف :

- هذه هي نهايتك أيها الحقير ، هذا هو القصاص العادل ، ستدفع ثمن قتلك لإيمان وجنينها ، وثمن كل ذنب مارسته في حياتك ، كما أنك ستكون نهاية مرحلة التحول ، ربما لاتفهم كل حديثي ولكن هذا لا يهم الآن ، فقد تحدد مصيرك، وموتك دون فهم لن يؤرقني بأي حال من الأحوال ، ستذوق عذاب الخاطئين في الدنيا ، قبل أن تناله في الجحيم ..إن كان هناك شيءٌ مماثل .

نظر نحوي بهلع غير مصدق، وعندما تلاشيت من أمامه ، لم ينطق إلا بكلمة واحدة :

- الرحمة ..

رجاء لم تكن تعرف الرحمة، لقد رأت من الموت من قبل ، ما جعلها تؤمن أنه ينهي مشاكل كثيرة ، ويُبَرِّد القلب بعد الأخذ بالثأر ..

أشعلت رجاء القداحة، التي فحت بالنيران ، ثم قالت بصوت هاديء لا يشي بما ستفعله في اللحظة التالية، وكان وقعه على فوزي مروعًا :

- إن درسك الأخير في هذه الدنيا ، ألا تعبث مع من هن مثلي ..وإن كنت على يقين بأنك لم تعد تملك الوقت لتتعلم عبرة الدرس ..

قالتها ثم اقتربت منه ولامست جسده بنيران القداحة، لتسري النيران في جسده المتشبع بالبنزين في سرعة رهيبة ، وليصدر عنها فحيح مروع،

في حين أخذ جسد فوزي يتلوى وينتفض في قوة انتفاضات محدودة، فهو لم يكن قادرًا على أن يتحرك من مكانه بعد أن خدَّرَهُ أمر الإستسلام ، ليشعر بكل خلية في جسده تحترق ، دون قدرة منه حتى على الصراخ ..الموت يأتي صامتًا ، والأبشع أن تموت دون أن تملك القدرة على التعبير عن ألمك .

تطلعت نحوه رجاء في لامبالاة غريبة ، وبصقت عليه مرة أخرى، ثم تناولت ملابسها وارتدتها على عجل ، ولم تنسى أثناء هروبها أن تأخذ من محفظته كل ما فيها من أوراق مالية لأنه حقها ..

وفي الجريدة الرسمية الصباحية ، كان هناك خبر عن انتحار مدرس ثانوي حرقًا في شاليه مستأجر يدعى فوزي جميل ..

لقد انتهى الأمر ..وليلتها نمت كما لم يحدث لي منذ سنوات ، وفي اليوم التالي أرسلت لناشري عبر الايميل ، رواية القصاص ..وعدت لنقطة الصفر ..ولكني عدت سعيدا ومنتشيا ..

كانت أروع رواية كتبتها في حياتي ..ربما لا يراها القراء كذلك، فرواية المنتقمون حققت صدىً أسطوريًا ..ولكنها بالنسبة لي أروعها ..

توك توك توك..

لقد رحل الآن .

العالم السفلي

السرداب

يشعر الكاتب بخواء غريب بعد انتهائه من كتابة الفصل الأخير من روايته ووضعه كلمة النهاية ، وكأنه قد تم تفريغ روحه من شحنة كثيفة من المشاعر الهادرة ، والمؤلمة ، والموجعة ، ويتحول بعدها إلى كائن أجوف حائر ، غير مستوعب أن غابة الأحداث والشخصيات التي كانت في رأسه قد انتهت وتوقفت تمامًا، السكون في رأسه له ضجيج وصدى غير معتادان .قلبه منقبض وكأنه فقد عزيزًا أو يستعد للقاء ملك الموت نفسه .

هناك شيء ما ناقص لا يدري كنهه، شيء يفسد يومه ويقض مضجعه ، ويشعره بالضياع ، ممتزجًا بشعور عنيف من الراحة والتحفز ، من أجل خوضه مغامرة أخرى لا يعرف متى يرأف به القدر ليخوضها بمنحه فكرة العمل الجديد ، الكتابة رزق ولن يأتي دون موعده أبدًا ..

هدوء وترقب مع دهشة ، وفراغ كبير ..

الخواء هو ملك الوجود في هذه اللحظة ..

كما يعتريه شعور عارم بالنشوة مع فقدان الإتصال مؤقتًا بالواقع ، مع عدم القدرة على تحديد العالم الحقيقي من الخيالي ، وهي أثار تشبه أثار الإنسحاب من المخدر التي يدركها المدمنون جميعًا، وهذا لا يعني أنها متعة لا مثيل لها في نفس الوقت .

متعة الخلق ثم الإكتمال بوضع تلك الكلمة ، التي تعني أنك فارقت عالم بأكمله، وهجرت أبطاله ، ومنحت بعض مخاوفك كهدية لقراء جشعون ، يلتهمون ما تكتب من كلمات ..

إنها بالفعل لحظة بداية ونهاية الوجع الأدبي .

انتهيت من هذه الرواية المروعة ، ومعها انتهت حيوات وسقط ضحايا ، وتمتع قرائي بجرعة كراهية ودماء ورعب لا مثيل لها ، إن الكاتب والقراء يتبادلون كؤوس المرض النفسي وعليها أن تكون مُرضِيَة ، وممتعة وآسرة، فكما يقول كاتب الرعب الشهير فرانتز كافكا :

- أنا لم أكن لأقيس الكتب بسخافتها وحكمتها، وإنما بقدرتها على أن تأسرني أم لا..

الهدوء أخيرًا يجتاح عالمي ..القرين توارى عن المشهد وكأن كل ما مر بي معه كان وهمًا ..أصبحت أنام بعمق شديد ..

شعور لذيذ بالتحرر لا يفسده إلا موعدي المرتقب مع الهجينة، للذهاب إلى عالمها وطلب يدها للزواج من أبيها الجني العتيد ..

ربما كانت هي الأخرى وهمًا ، ولو لم تكن وهمًا أو أثرًا جانبيًا للأحداث فإنني أُعِدُّ لها مفاجأة ستجعلها تعرف حقًا ودون تردد من العبد ومن السيد ، فقد قارب تحولي على الإكتمال ، وهي لحظة أنتظرها بشغف ..

قررت أن أمنح نفسي إجازة أستحقها دون شك ..أحتاج لأن أسترد نفسي وكياني من تلك العوالم الرهيبة المختلطة ، أحتاج لأن أشعر بأني وصلت بالفعل لمحطة النهاية ، وبأن قدماي تلمسان الأرض مجددًا ..

الكتابة يا لها من رحلة رهيبة ..

لم يكن لدي خادم أو خادمة برغم الثراء الذي أحيا فيه ، فلن أترك شيئًا للظروف، ولن أترك مجالًا لأحد ليكتشف سري الأعظم .. فقط هناك زوجة أحد البوابين الذين يتبعون صاحب البناية وابنتها النحيلة من يقومون على العناية بشقتي في تلك البناية الفاخرة بالتجمع الخامس ، حيث يقطن الأثرياء وأنا منهم ..لذا عليَّ أن أنهي حزم حقيبتي بنفسي ، ووضع آلتي الكاتبة في حقيبتها الخاصة ، فلم أكن أتركها لتبتعد عني في أي مكان أذهب إليه ..إنها أداتي السحرية والأحمق فقط من يترك كنزه الثمين بعيدًا عنه ، وبالطبع كنزي الكبير كتاب شمس المعارف..

الآن سأنام .وغدًا يوم جديد وربما قصة جديدة .

***

الصباح هبة الخالق المتجددة ، تلك النعمة التي يغفل الكثيرون عن شكرها ، يومٌ يموت ومعه مشاكل وأحداث وأشخاص ، وبعده يأتي الأمل بيوم جديد، تتجدد فيه طاقتك وأحلامك وطموحاتك .

عليَّ السفر اليوم ، كانت باريس هي المُرَشَّحَة وبشدة لرحلتي الحالية ، فرنسا مدينة النور والجمال وبرج إيفل وجول فيرن ، والكسندر دوماس .وأميل زولا و جان بول سارتر، وجان جاك روسوا ، وسيمون دي بفوار، وفيكتور وهوجو ، و ألآن ديلون، وداليدا، وصوفي مارسو وغيرهم .

أنا أعشق السفر أكثر من أي شيء أخر ، الانسلاخ من عالمك والحياة في عالم مختلف بتفاصيل مختلفة وعادات وتقاليد مختلفة ، ونساء مختلفة ، إن معجباتي من الجاليات العربية هناك بالمئات ، ومعظمهم على تواصل دائم معي ..

لا أعلم حقًا لماذا تصير المرأة العربية أجمل وأكثر فتنة في بلاد الغرب ، ربما لأنها تستعيد حريتها ، وقدرتها على أن تكون هي بعيدًا عن كل قيود المجتمع والعادات والتقاليد فتتعامل بفطرتها النقية دون ضغوط أوإجبار ..ولا أقصد هنا التحرر بل الحرية ، الحرية التي تُضِيفُ للجمال العربي جمالًا أخر.

هل تمت الرحلة ؟! بالطبع لا .

والسبب ؟!! .ميار خطاب

تعرفونها جميعًا الأن، أجمل صديقاتي ومعجباتي وأكثرهم ثقافة وجاذبية ، ولن أتحدث عن فينوس هنا، لأنها ستخجل من مجرد مقارنتها بجمال كاسح كجمال ميار خطاب ..إن ميار خطاب هي الفتنة

تمشي على قدمين ، بقايا الجمال التركي البائد الذي ذاب وأصبح جزءًا من جمال بعض العائلات المصرية .

ما يربطني بميار خطاب هو الغموض ، فأنا سرٌ غامض ومستغلق بالنسبة لها ، وهي كتلة من الأسرار تخطوا فوق أرض كوكبي . لا أعرف متى ستقرر ميار أن تنشر أعمالها ، إنها موهوبة وهذه شهادة قاريء وكاتب معًا ، لا أعرف لماذا لم تضع خيالاتها السوداء بين دفتي كتاب بعد لتمنح القراء ، روايات رعب خالصة .

هذا الجمال يكتب الرعب ..يالها من مفارقة رهيبة ..ولكنها دومًا ما تخبرني أن وقتها لم يحن برغم نضوج كتابتها وأسلوبها ، ربما لأنها تخشى النقد أو أي شيء أخر أحمق مما تموج به عقول النساء ..

التفاصيل البسيطة هي حياتهم ، وكانت ميار ملكة التفاصيل ، وهذا هو سر نضارتها الدائمة وأناقتها ..

فاجأني اتصالها في الصباح ، كانت تعد لرحلة خاصة إلى فيلا عائلتهم القديمة في بلدتها التي لن أذكر أسمها وموقعها بالطبع ، كانت دائمًا ما تخبرني بأن هذه الفيلا تحتوي على أسرار قديمة حرص أجدادها على إخفائها ، وهي تصر بكل قوة على الوصول إليها .

لم يكن ثراء عائلتها ونفوذهم شيء طبيعي ، وهي نفسها تدرك أن خلف الأمر سرًا ، لذا فإنها كانت تدعوني ، وفي هذا التوقيت المريب ، لزيارة فيلا الأجداد ،وأنا لست بالحماقة المرجوة لأرفض طلب مماثل ..

أنا أؤمن بالعلامات ، وبتوقيتها ، ولابد أن الأمر كله جزء من تلك الترتيبات العديدة التي تعدني للمرحلة القادمة .

ومن مفارقات القدر الجميلة أن من ستصحبني إليها فاتنة كميار خطاب .. الشيء الغريب في الأمر أني لم أشتهيها يومًا كأنثى وكأن هناك هالة خاصة حولها تقول ممنوع الاقتراب أو حتى مجرد التفكير بهذه الطريقة المشينة، وجودها دائمًا كافٍ ومشبع ، وكأنني في حضرة قيمة مُطْلَقَة ..وربما هذا سر جمالها الإستثنائي .

أعرف جيدًا ما تفكرون به وهو خطأ كليًا ، فلا يمكن بالطبع أن تكون ميار خطاب هي الهجينة المنتظرة، ربما هي خطوة تقودني إليها ، أو إلى طموحي الأخير ، وربما بوسيلة ما تريد أن تشاركني الأمر ، ولكنها يومًا ما لن تكون هي الهجينة، هذا ما أعتقده وأؤمن به .

لن أصدع رؤوسكم بتفاصيل السفر واللقاء ، أو الاستقبال الأسطوري الذي أعدته لي ..

فقط كنا هناك أنا وهي ، ومدير أعمالها الكهل أو لنقل خادمها، الذي يشبه مساعد الشيطان في القصص المماثلة ..

وفي هذه الجلسة التي تمت على أضواء الشموع دار الحوار ..فبادرتني ميار خطاب بصوتها العذب قائلة، وهي ترتشف بعض من مشروبها المفضل في كأس بلوري :

- لقد رأيت رؤية عجيبة بشأنك يا ناجي ، وكان هذا سبب دعوتي لك للقاء هنا ، ولن أغفل بالطبع حماستي الشديدة ولهفتي للقاءك .

نظرت نحوها باهتمام ، وأنا أنهي ذلك المشروب اللذيذ الذي يدخل النبيذ مع مزيج من الفواكه في صنعه وقلت :

- هل كانت رؤيا مخيفة أم عجيبة فقط ؟.

ابتسمت في رقة وقالت :

- هي عجيبة أكثر منها مخيفة ، الخوف نسبي يا ناجي ، ومعك كل الأمور المخيفة منطقية ومعتادة .

منحتها إبتسامة أكبر قبل أن أقول :

- مجاملة كعهدك دائمًا يا ميار قصيها عليّ .

أشعلت ميار سيجارتها ، وهي تشير لي أن نقوم لنذهب إلى الشرفة القريبة ، المطلة على حديقة قصرها المظلمة ، فتبعتها وأنا أتأمل خطواتها الفاتنة ، وجسدها المشوق المثير متعجبًا من أن كل هذا الوقت قد تأخر لتكون في فراشي ..

توقفنا للحظات نتأمل الظلام والظلال والقمر المنير . قبل أن تقول :

- الرؤية كانت واضحة جدًا ، وكأنها واقع ..أنا وأنت هنا في نفس المكان ، نفس الظروف ، نفس الثياب ، وأنا أطلب منك طلب غريب ..

هممت لتكمل فأستطردت قائلة :

- لم يكن طلبًا واحدًا بل طلبان الأول أن تتزوجني ، والثاني أن تهبط معي إلى السرداب .

نظرت نحوها بدهشة مضاعفة وقلت بمرح :

- أن أتزوجك هذا شرف لا أملك أن أتحدث فيه، يبدوا أن الكثيرات يرغبن في بشدة هذه الأيام ، ولكن ما قصة السرداب ؟

أبتسمت ابتسامتها الرائقة قبل أن تقول :

- بل الشرف لي يا صديقي ولكنك تعرف وجهة نظري في مشروع الزواج كله ، أما عن السرداب فله قصة طويلة ومتشابكة ..

قبضت على يدها عندما لاحظت الإرتجافة تغزو جسدها ، فمنحتني نظرة ممتنة قبل أن تقول لي :

- إن لهذا القصر قصة عجيبة ، ومنها تتفرع قصة السرداب ، فهذا القصر قبل مائة وخمسون عامًا لم يكن له وجود ، ولا أحد يعرف من بناه ولا متى ولا كيف ، وكأنما انشقت عنه الأرض ، أو هبط من السماء ..لا أحد من العجائز أو الشباب يعرف أي شيء عنه قبل لحظة وجوده وحضور جدي الأكبر ومعه خدمه ليستوطنوه ، حتى جدي نفسه لم يحل هذا اللغز وأخبرني أنه عندما يحين الوقت سيكشف المكان عن أسراره .. وعن سره الأعظم المدفون بالسرداب .

توقَفَتْ لتشعل سيجارة جديدة ، فنظرت لوجهها الفاتن ، ولمحت الإرهاق يغزوه للمرة الأولى ، وأفكار لا حصر لها تغزو عقلي ، ولكني فضلت أن أنصت لها ، فعادت لتكمل :

- بالطبع حديثه ألهب فضولي بشدة ، فكنت أزور القصر مرة كل عام وأمضي الوقت بصحبة عزيز ، خادم جدي ، وحارس القصر ، ونظل ننقب في السرداب لساعات طوال قبل أن أعود خائبة الرجاء ..

نظرت نحوها بعمق وأنا أدير حديثها في عقلي ، قبل أن أقول :

- وكيف يبدو هذا السرداب ؟!

نظرت نحوي في حيرة ثم قالت :

- لا أعرف حقًا !!.

نظرت نحوها في دهشة وقلت :

- وكيف ذلك ؟!.

إبتسمت وهي تنظر نحوي في قلق قبل أن تقول :

- كل شيء في هذا القصر عجيب جدًا ، ففي كل مرة أزوره فيها ، تتغير ديكوراته وترتيب حجراته ، وطرق الإضاءة ، فاليوم يبدو كقصر الحكم في الأربعينات ، وذات مرة كان يشبه قصر فرعوني ، وقبلها قصر روماني أو يوناني ، وفي إحدى المرات كان يشبه الخرائب ..

اتسعت عيناي في قلق ، وقلت لها :

- وكيف استطعتى أن تحفظي هذا السر وحدك كل هذا الوقت ، ولماذا تعاودين زيارته مادمتي تخشينه إلى هذه الدرجة ؟!.

سحبت النفس الأخير من سيجارتها ثم ألقتها من الشرفة في توتر وقالت:

- الأمر يشبه النداء الذي لا راد له ، وكأنه نداء ملك الموت ، شعور عارم ومؤلم يسحقني للقدوم ، شيء ما يؤجج فضولي في لحظة معينة ، فأترك كل شيء وآتي هنا لأجد عزيز بانتظاري ، بنفس الهيئة والشكل والوجه البارد ، إنه الشيء الوحيد الذي لا يتغير هنا ، كما أن هناك سرًا أخر أخفيه على الجميع ، ولن أصرح به إلا لك الآن ..

أشتعل فضولي في هذه اللحظة ، فنظرت نحوها في اهتمام قلت :

- أي سر أكثر مما قصصتيه عليّ ؟!

أبتسمت في توتر وقالت :

- سري أنا .

-اشتعل فضولي أكثر وقلت :

- كلي آذان مصغية .

قبضت ميار على يدي بقوة ، ثم نظرت في عيني وقالت :

- ناجي ..كم تمنحني من العمر ؟!.

نظرت لوجهها الفاتن على ضوء القمر ، ومنحت جسدها نظرة أخرى شاملة ، قبل أن أقول مترددًا ، فهذا سؤال قد يكون فخًا ما عندما يصدر عن أنثى جميلة :

- لن تزيدين بالطبع عن ثلاثين عامًا !!.

أطلقت ضحكة عالية تردد صداها في المكان ، فانقبض قلبي دون سبب ، قبل أن تميل نحوي ليغمرني عطرها لتقول :

- مائة وثلاثة وأربعون عامًا .

فغرت فاهي في دهشة ، وكست وجهي ملامح الذهول ، قبل أن أقول في اندفاع غير مصدق ، وجسدي يتفحصها من رأسها حتى إخمص قدمها .

- كم ؟!

رددت ببطء وكأنها توكد الرقم :

- مائة وثلاثة وأربعون عامًا يا ناجي ، إنني كهلة في أرزل العمر.

أطلقت ضحكة عصبية قبل أن تأتي في رأسي فكرة ما ، فألقيتها في وجهها :

- هل تملكين نسخة من كتاب شمس المعارف ؟!

نظرت لي نظرة غامضة وابتسمت في خبث دون أن تجيب أو تفسر نظرتها ، فاستطردت :

- لو أفترضنا أن ما تقولينه صحيحًا ، فإن ورائه سر ، ومن تجاربي أعرف أن هناك وسيلة واحدة ، أو عزيمة واحدة هي التي تمنح الخلود ، وهي توجد بكتاب شمس المعارف الأصلي ..

نظرت نحوي وضيقت عيناها في خبث أكثر قبل أن تقول :

- لا يا ناجي ..أنا لم أمارس السحر لأحظى بالشباب الدائم ، ولن أمارسه ، السر كله في السرداب ..

نظرت نحوها في غير فهم فأكملت :

- السرداب لا يشبه أي شيء نعرفه لأنه كحال القصر متغير ، فمرة هو طريق مرصوف يمتد إلى مالا نهاية ، ومرة هو كهف جبلي لا عمق له ، وأخرى يشبه المتاهة ، ولكن في كل الأحوال مهما توغلت فيه أعرف طريق العودة ، وكأنما بداخلي بوصلة خفية تقودني للمخرج ، ولكن حالتي عند الخروج منه تختلف عن لحظة دخولي إليه .

كان النظر إلى عينها كالنظر نحو نفق بارد ومظلم ، ولا أدري لماذا شعرت بخوف مبهم يتسرب إلى داخلي وأنا أتأمل تلك العينان الحادتان ، ولكني عدت لأنصت باهتمام :

- كنت أشعر بطاقة خفية طاقة هائلة، وأشعر معها بخلاياي تتجدد، بل كانت تتجدد بالفعل ، كما أنني كنت أشعر بحضورهم ، وبلمساتهم الجشعة لجسدي.

نظرت نحوها بعدم فهم ثم قلت متسائلًا :

- حضورهم ..من هم ؟

هزت رأسها وهي تشعل سيجارة جديدة وقالت :

- لا أعرف حقًا يا ناجي ، ولكنهم دومًا ينتظرونني ، ويتحسسون جسدي ، فأستسلم لهم حتى ينتهون ..لا أعرف حقًا إن كان مجرد إحساس ، أم هو شيء حقيقي ، فقط هم دائمًا هنا وأنا دومًا أعود ..

حاولت هضم حديثها ونظرة الانكسار التي كللت وجهها ، ثم قلت :

- وماذا نحن فاعلون الآن ؟!

نظرت نحوي في برود ، ثم قالت :

- نهبط إلى السرداب ، لقد تمت دعوتنا معًا.

تناولت سيجارة من علبتها أشعلتها هي لي ، فنفثت دخانها في فراغ الغرفة ثم قلت :

- ولماذا تعتقدين أني سأقبل الدخول معك إلى السرداب ؟!.

ابتسمت وهي تقترب من وجهي وتقول بغموض :

- لأنك مثلي ..مفعم بالأسرار .. ولأن النهاية التي تنتظرها بشغف قد حان موعدها ..جميعنا مسيرون بطريقة أو بأخرى

وفي هذه اللحظة شعرت بضيق مفاجيء، وبرغبة مُلِحَّة للعودة لغرفتي ، فنهضت من مكاني وقلت :

- بعد ساعة واحدة يا ميار، سأصطحبك إلى الجحيم نفسه لو كنت ترغبين.. فقط دعيني أحظى ببعض الراحة ..

كنت أحتاج لبعض الوقت للاختلاء بنفسي ، فالأحداث تمضي أسرع مني وأسرع من قدرتي على استيعابها ، كما أن هناك شيء لا تفسير له يجتاح كياني ، شغور غامض يجبرني على العودة لغرفتي ..

أشاحت بيدها أن لا بأس وهي تبتسم لي في غموض، فغادرت المكان ، وهرولت نحو غرفتي وكأن شياطين الدنيا تطاردني ، وهنا رأيت الشيء الذي تملكني وجعلني أعود إلى غرفتي في لهفة ..

إنه النداء ..

فالآلة الكاتبة بطريقة مجهولة كانت خارج حقيبتها المؤمنة ، تحتضن ورقة بيضاء ناصعة ، وعندما أقتربت منها بدأت أسمع الصوت المخيف !!.

- تيك تيك تيك توك .

كانت المرة الأولى التي تكتب الآلة الكاتبة من تلقاء نفسها ، وكأن هناك كاتب خفي يجلس أمامها ..

تعلقت عيناي بالحروف التي أخذت تشكل جملة طويلة :

- عليك الآن أن تتم عهدك ..عليك أن تسفك الدماء ..أنت في مفترق طرق حقيقي هذه المرة ، ليس كل ما تراه حقيقي ، ولكن العذاب

سيكون حقيقي ، اقتل ميار ..أقتلها تحوذ ما سعيت له من البداية ..أو لتقتل نفسك وتضع كلمة النهاية بيدك .

تذكرت في هذه اللحظة وعدي للقرين ، أني سأسفك الدماء مرة واحدة فقط لأنقذ عنقي ..ولم يكن يأتي في خيالي أن تكون دماء ميار . نظرت نحو الورقة وعدت لقراءة ماكتب وأنا أفكر ، هل هو القرين أم الهجينة ، أم عُمَّار القصر ،وهنا أحسست بالحركة الحذرة من خلفي . وعندما استدرت فاجأني وجه خادم ميار عزيز، وبعدها شعرت باللطمة العنيفة على وجهي ..

أظلمت الدنيا للحظات غاب فيها وعيي من أثر الضربة العنيفة. وبسلاسة مدهشة وجدت وعيي يتشكل في مكان عجيب ، أخر مكان يمكن أن أتواجد فيه ..كنت أسبح في أعماق المحيط البارد ، والعجيب أكثر أنني كنت أتنفس بسهولة ، وكأنني أحوذ في جسدي خياشيم حقيقية، بل وكنت أسبح بمهارة كسمكة ناضجة ، تنزلق عبر سياج الشُعَب المرجانية نحو نقطة معينة تنجذب إليها بفطرتها، وبعد مرور عدة دقائق كنت أمام صخرة عملاقة تستقر على أرض القاع ..

وهناك كانت تنتظرني مفاجأة أعنف ..

كانت الهجينة هناك في هيئة رثة لا تشبه هيئتها التي أذكرها عليها ، والمخيف أنها كانت مقيدة بسلاسل من فولاذ إلى الصخرة العملاقة كحيوان متوحش ، وقد ظهر على جسدها أثار تعذيب وحرق بشع بالنار..

وعندما رأتني صرخت في هستيريا :

- أبتعد عني أيها الملعون ..لن يمكنني تحمل التعذيب هذه المرة .

نظرت نحوها في دهشة وهلع قبل أن أردد بغير وعي وبدون أن أفتح فمي ، وكأن التواصل يتم بوسيلة عقلية متطورة:

- التعذيب وبسببي أنا ..

صرخت بكل غضب :

- إرحل عني واتركني ..فإنها لا ترحم ..

كانت كلماتها تشبه الألغاز ، وفي عقلي تجسدت صورة مخيفة لميار فتسائلت بصوت مضطرب :

- من هي ؟!

وفي هذه اللحظة أضاءت الدنيا من حولي مرة واحدة، فشعرت بالبلل يغمر جسدي وملابسي، وعادت لي ذاكرتي ومخاوفي ومعها شعرت ببرد شديد، وألم متصاعد في معصمي .

وعندما فتحت عيني وتفحصت المكان من حولي تيقنت دون لحظة شك واحدة ، أنني في المكان الملعون ..بقلب السرداب ..

في هذه المرة كان مختلفًا جدًا عما وصفته لي ميار ..

كان يشبه مكتبة ضخمة عملاقة. تمثل حلم كل كاتب وقاريء بآلاف الكتب التي تكتظ بها جدرانها. وكنت أنا مقيدًا إلى جدار خال من الكتب بقيود معدنية باردة .

المروع أن ميار كانت تجلس أمامي على مقعد حديث الطراز خلف منضدة أنيقة .وخلفها يقف عزيز ببرود خادم بريطاني متأهبًا لتنفيذ أوامرها ، وكانت هي تدخن سيجارة جديدة ، ولكنها وللدقة كانت تبدو أصغير بعشر سنوات ، تفاحة طازجة تُشِع بالأنوثة ..

الشيء المخيف أن كتاب شمس المعارف كان أمامها ، ومفتوحًا على صفحة ما ، ولكنها لم تكن تُوَلّيه الإهتمام الكافي ..في حين كانت آلتي الكاتبة هناك ، ولكنها هذه المرة كانت تحتضن حروفها المتألقة التي غابت عنها في أثناء وجودها في حوزتي ، وكأنما قامت ميار خطاب بتبديل مفاتيحها القديمة بمفاتيح أخرى جديدة ..

وعندما شَعَرَت ميار بيقظتي قالت :

- هذا هو سرك إذًا ..أنت ساحر خبيث ، ووسيم أيضًا ، وكاذب ، وقاتل.

نظرت نحوها عاجزًا عن الفهم ، وفي عقلي تجسدت صورة الهجينة السجينة المشوهة ، ثم قلت بصوت مضطرب :

- ماذا تريدين مني يا ميار ..ليس معنى أن الآلة الكاتبة تحُضني على قتلك أنني سأرضخ لها ..أنتِ صديقتي ومازلت أملك إرادتي الحرة ..

انطلقت ضحكتها لتتردد في أنحاء المكتبة / السرداب الفسيح ، قبل أن تضيق عينيها لتصير أكثر فتنة ولتقول :

- كم أنت أحمق يا ناجي ..أي إرادة تلك التي تتحدث عليها ..أنت عبد لي منذ أول كلمة كتبتها على آلتك الكاتبة ، وأول روح أزهقتها ..كان اسمه منير لو كنت تجهله ..منير زوج إيناس ..ألم تلاحظ أن الآلة الكاتبة كانت بلا حروف ..

لم تكن أنت من تكتب أيها الأحمق ..فأنت لم تمتلك يومًا الموهبة أو الإلهام الحقيقي ..لقد كنت أنت أنجح مشاريعي .

سحقني الذهول بعد عبارتها فقلت :

- أنت تعلمين كل شيء..من أنت أو ما أنت ؟!.

عادت لتطلق ضحكتها في قوة قبل أن تقول :

- أنا ميار خطاب صديقتك.لا تقل لي أنك بعد ما رأيت مصيرها مازلت تعتقد كوني هي.لقد عَبَثْتَ بشمس المعارف أكثر مما كنت آمل، ولكني احتويت الأمر.لا تقلق لن تتزوج تلك المنبوذة فلا وجود لها أصلًا إلا بعقلك.

فغرت فاهي غير مصدق ما أسمعه ، وعقلي يحاول ألا يحرق المزيد من خلاياه في محاولة حقيقية للفهم ..كان منظري يشبه الأبله ..ولم أستطع تكوين جملة واحدة ذات معنى ، وفي النهاية صرخت في ثورة :

- مخادعة .

انطلقت ضحكتها في قوة لتتردد في أنحاء المكان ، وليتبعها صدى عنيف ، قبل أن ينتهي لتقول :

- هل صدقت بالفعل حديثي وقصصي لك ..لا أعتقد أنك بهذا الحمق لتصدق كاتبة هاوية ، وأنت الكاتب الشهير .

غمزت بعينيها لي ، فحاولت أن أتملص من قيودي التي أطلقت ضجة عالية ، قبل أن أقول في غضب وكراهية :

- وكيف تعلمين كل هذا ؟!.

ضاقت عيناها مجددًا ، ونهضت لتقترب من مكاني في خطوات هادئة حتى شعرت بأنفاسها العذبة تصفع وجهي ، وقالت في دلال :

- خمن !!.

أشحت بوجهي عنها وأنا أصرخ في غضب :

- لا وقت لهذا العبث يا ميار ..أخبريني حقيقة كل شيء ..

فاجأتني بقبلة على خدي الأيمن قبل أن تقول :

- لا داعي للغضب والعبوس يا صغيري ، ألم تقرأ روايتي الجديدة ، بالطبع لم تقرأها لم يكن لديك الوقت لتتصفح بريدك الإلكتروني ..أم أنت لم تعد تقرأ للكُتَّاب الجدد قليلي الشهرة مثلي..أم أصابتك لعنة الغرور بعد أن صرت كاتبًا كبيرًا ..

رمقتها بذهول وقلت :

- أنت لا تعنين ما أظنه !!..

عادت ضحكتها لتدوي في المكان ، قبل أن تقول بصوت عابث :

- نعم أيها الأحمق ..أنت بطل روايتي الجديدة ..ماذا توقعت أكثر من ذلك ، أنت مجرد كلمات أخُطُّها على الورق .

صرخت في ألم وأنا أحاول أن أتخلص من قيودي ، وعندما فشلت صرخت فيها بعد سيل من السباب وقلت :

- أي خدعة حمقاء تمارسينها علي.. لقد جمعتي عني المعلومات بطريقة خفية، والآن تحاولين ابتزازي بتلك القصة الحمقاء ..أنا صاحب تلك الفكرة.

نظرت نحوي بتحدٍ قبل أن تقول :

- بل أنت الأحمق ..أنت من غرته الشهرة والقوة والمال ، هل ظننت أن لقاءك بي وعثورك على كتاب شمس المعارف الحقيقي كان مصادفة ، أن تتواصل مع قرينك بهذه البساطة مصادفة ، أن يمنحك كل هذه القدرات كان مصادفة ، أن تعثر على آلة كاتبة مماثلة مصادفة ، أن تختار ضحاياك مصادفة ، أن تقتل مصادفة .

كم أنت أحمق ومغرور ياناجي ، لا شيء عشوائي في الوجود كل شيء كان مرتب كدور شطرنج زائف.. حتى قدومك لي ..حلمك بالخلود ..لقاءك بالهجينة ..أنت مجرد خيط في قصة أكتبها أنا ..أنت مجرد عدم ..

الهجينة نفسها كانت تجسيد لمخاوفك مني ومن إدراكك لوجودي وإنكارك للأمر في نفس الوقت ، مازالت مخاوفك تحيا بأعماقك مشوهة كما ستحيا الهجينة في سجنها الأبدي مشوهة ، غرورك منعك من إدراك حقيقة كل شيء على الرغم من الإشارات الكثيرة التي كنت أتركها لك ، في عالميّ الحلم والواقع..

والسرداب لم يكن إلا قبرك الذي أعددته لك بنفسي لتحظى بحلمك المستحيل .

هل ظننت أن الشيطان بكل حماقته قادرًا على منحك الخلود بتعويذة حمقاء أخرى ، وهو نفسه لا يحظى به كما تظن..

إنه مخلوق بائس مطرود من رحمة ربه، حُدِّدَ عمره بعمر البشرية وله موعد لن يُخْلَفَه ، إن سر قوته في أنه أطول المخلوقات عمرًا ، والشيطان لم يُمْنَح إلا الشر ، ولن يُمْنَح لأحد غيره .

ربما يمنحني السرداب بعض الوقت والحيوية لكنه لا يمنح الخلود ، هو سر أخر من أسرار القدماء وأسرار سلالتي .. نحن نوع متفوق من الجنس البشري حافظ على علومه عبر القرون ، ويقيم عدالته الخاصة على أمثالك من الضالين والمفسدين في الأرض ..وهذا هو سرنا الأكبر ، نحن بينكم ومنكم ، ولكننا نختلف عنكم في أننا نمتلك الحكمة ، والقوة ، والوقت..

ستجد أثارنا في حرب تنشب بين قوتين عظمتين ، يفنى فيها ملايين الأوغاد الذين لن يضيفوا للحياة إلا كل شر ، ستجدنا في شجار بين

زوج وزوجة ينتهي بمصرع الزوجة وسجن الزوج ، ستجدنا في ألف حادثة للمرور ، وألف كارثة طبيعية ، نحن يد العدالة على الأرض ، عدالة ناجزة ، وإن كانت قاصرة لقلة عددنا ، ولكننا نزداد مع الوقت..

أنت كنت مجرد ضحية ، أداة تكتب وسوط يجلد ، ويحقق بعض من عدالتنا كتطهير لروحك قبل أن تنال عقابك الحقيقي ..

صمت غير مستوعب أو مقتنع بكل ما تقوله هذه المجنونة ، هل سينتهي الأمر بسجني هنا مع كاتبة مخبولة ، تمارس علي ساديتها وحكاياتها الحمقاء .

نظرت حولي في لهفة متفحصًا كل شيء باحثًا عن إشارة أن كل ما أمر به مجرد كابوس .

ولكن للأسف كل شيء يبدو حقيقيًا أكثر من الواقع نفسه .

عدت إليها ببصري ، فاستقبلتني إبتسامتها ، وهي تناول خادمها عزيز كتاب شمس المعارف الأصلي ، وعادت شفتيها تتحركان في بطء موجهة حديثها إليه ، بعد أن احتوى الكتاب في يديه وقالت :

- لقد انتهت مهمة هذا الكتاب ، فأعده إلى مكانه ..

تناول منها عزيز الكتاب ، وتوجه به نحو رف قريب من أرفف المكتبة، فوضع الكتاب على كعبه بداخله وسط مجموعة من الكتب تشبهه، ليصدر عن المكتبة صوت تنفس ملهوف،فبدت ..ياللجنون .. كأم تتنفس في راحة بعد عودة صغيرها إليها ..

وبعدها أشارت إلى الآلة الكاتبة فحملها عزيز ، ووضعها في مكان مخصص لها ، قبل أن تقول :

- أحضر رقي وريشتي ، ودواة الحبر ، فقد حان موعد إنهاء هذه القصة.

نزلت كلماتها على روحي كحكم بالإعدام ، فنظرت نحوها بضراعة ، وقلت بصوت مضطرب :

- الرحمة ..

أبتسمت وهي تتناول ريشتها من يد عزيز الذي فرد الرقَّ أمامها ووضع على المنضدة دواة حبر ممتلئة ، قبل أن تقول :

- لا تطلب الرحمة يا صغيري ..بل اطلب العدل ..لقد أردت الخلود ودفعت ثمنه بالكثير من الدماء والحقارة ، فلك عندي أجر العمل الجيد ، وعقاب القاضي العادل ..

لقد تحدد مصيرك وعقابك حسب رغبتك ودرجة خيالك المحدودة ، والخلود الذي سأمنحه لك ، وهو الوحيد والمتاح لبشر قاصرين مثلنا، أن أُخَلِّدَكَ في كتاباتي ..

صدقني أيها الكاتب الفاشل ، كتاباتي ستحيا بعدك وبعدي ، فالعمل الجيد لا يفنى ، وأعمالي بحكمك أنت جيدة ، بل أكثر من جيدة ..

ستحيا كبطل لأحد رواياتي التي سيتداولها القراء عبر العالم ، فيُخَلَّدَ أسمك وروحك ، ولكن جسدك لن يحظى بنفس المعاملة الكريمة ، جسدك سيظل هنا في هذا السرداب يتعفن طوال العام تعاني من

الجوع والعطش الذي لن يقتلك ، ثم ستتجدد خلاياك لعام أخر..لتحيا إلى الأبد كما رغبت ..

ولكنك ستحيا وحدك..لا تعرف الفرق بين الحقيقة والخيال..مجرد بطل في رواية ..ستدخل عبرها إلى العالم السفلي الذي لن يكون إلا ذاتك المريضة ..

ويوم أن تطلب الموت بنفسك ..ستكون هذه هي النهاية الحقيقية ، وساعتها ستقتل نفسك لتنقذ روحك من العذاب .. لقد كان القرين للأسف صادقًا حقًا في هذه النقطة ..مازال كل شيء بإرادتك ..

وللإجابة على السؤال الذي يحرق عقلك؛ لماذا أنت ؟!:

- أجيب الآن عن يقين .. لأنه قدرك ..ولأنك تستحق ..

وداعًا أيها الكاتب القاتل محدود الموهبة ..

وداعًا..

وأحتوى السرداب ألف صرخة يائسة أطلقها كاتب رعب سابق .

توتك توك توك توك .

النهاية

انتهيت في هذه اللحظة السابعة وخمسون دقيقة صباحًا من كتابة روايتي الجديدة ، والتي كان بطلها كاتب رعب كان كل ما يكتبه يتحقق ، وكل ما يسفكه من دماء ، يسيل في أرض الواقع ، وفي النهاية يكتشف أنه كان مجرد شخصية في رواية لكاتبة أخرى كان يظنها في وقت ما مجرد صديقة ثرية مفعمة بالأفكار والأسرار والغموض.

ثم سَحَبْتُ من فوق تلك الآلة الكاتبة الخالية من الحروف ورقة النهاية ، ووضعتها فوق كومة الأوراق الأخرى التي تشكل روايتي الجديدة ، ثم سَحَبْتُ نفسًا عميقًا ، وأنا أنظر بخواء نحو آلتي الكاتبة السوداء الخالية من الحروف ، قبل أن أشعر بالحضور الطاغي ، وأنصت للصوت المخيف قبل أن أجيب :

- نعم يا سيدي لقد انتهيت ..فهل أنت راضٍ عني ..

أنْصَتِ للصوت المخيف قبل أن أجيب :

- نعم الكتابة محنة ومعاناة لذيذة لذلك تستحق الثمن الذي ندفعه ككتاب لها ..

إننا في النهاية جزء من حقيقة مطلقة ، لا تعني سوى الفناء ، نحن أبناء الموت ، والموت هو الغرض الحقيقي لوجودنا على هذه الأرض .

تلاشى الحضور فأشعلت سيجارتي وأنا أنظر نحو الفراش الذي غادرته تلك المعجبة منذ ساعات، والذي مازال يشع بحرارة لقائها ورائحة

جسدها ، وابتسمت وأنا أتذكر كلماتها الغاضبة قبل أن تغادر شبه عارية :

- أنت ممسوس ..ممسوس دون شك ..لقد حذروني من صداقة كاتب رعب ولم أصدقهم ..أنتم شياطين وأبناء شياطين..كم أنا حمقاء ..كم أنا حمقاء .

تمت بحمد الله

الدمام

2015/3/1م

المصادر:

- ويكبيديا الموسوعة الحرة .
- موقع ما وراء الطبيعة .
- شمس المعارف الكبرى لـ أحمد بن علي البوني .
- الأدب الشعبي العجيب لـ فاروق خورشد .
- لفظ المرجان في أحكام الجان للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي.
- من أسرار الروح لـ عبد الرازق نوفل .
- صنع الله لـ عبد الرازق نوفل .
- مقدمة بن خلدون – المجلد السادس .

صدر للمؤلف

- وبدأ الظلام – رواية
- حديث الموتى – مجموعة قصصية
- في مملكة الغيلان – رواية
- الملعون – رواية
- نصف حياة – رواية
- الشفق الأسود – رواية
- همسات - رواية
- عزيف – رواية
- UFO - رواية
- أيام الرماد – رواية
- سايكو – مجموعة قصصية
- المسخ – مجموعة قصصية